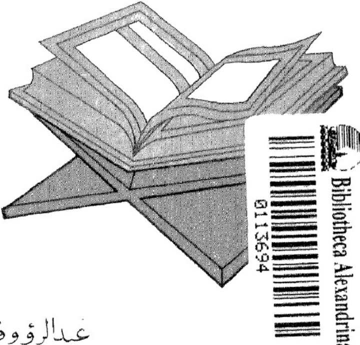
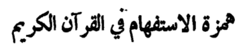
همزة الاستفهام في القرآن الكريم



الجزء الأول

عبد الرؤوف سعيد عبد الغني اللبدي
عضو هيئة التدريس في الجامعة الإسلامية
بالمدينة المنورة سابقاً



همزة الاستفهام في القرآن الكريم

٢١١،٦١
عبد الرؤوف سعيد عبد الغني اللبدي
همزة الاستفهام في القرآن الكريم/عبد الرؤوف
سعيد عبد الغني اللبدي ــ عمان ــ الاردن

١٩٩٢
(ــ ٣٥٢ ــ) ص
ر. أ (٢١١/٤/١٩٩٢)
١ ــ القرآن الكريم ــ الفاظ أ ــ العنوان
(تمت الفهرسة بمعرفة المكتبة الوطنية)

بسم الله الرحمن الرحيم

وأصلي وأسلم على سيد المرسلين محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أما بعد فهذا الكتاب الذي بين يديك أيها القارىء الكريم :

١ ــ أول كتاب ــ فيما أعلم ــ يدرس همزات الاستفهام في القرآن الكريم دراسة تطبيق واستقراء واستقصاء وشمول.

٢ ــ يدرس كل همزة على انفراد ضمن الآية التي وردت فيها دراسة بلاغية.

٣ ــ لايكتفي بعرض الآية التي وردت فيها همزة الاستفهام، بل يعرض معها الآيات التي تتصل بها في المعنى لتتم الرؤية وتتضح الصورة.

٤ ــ يشرح الآيات التي وردت فيها همزات الاستفهام والآيات التي تتصل بها شرحا أدبيا يتضمن المعانى التي تنص عليها الآيات ومعانى أخرى توحي بها ويتطلبها السياق والمقام.

٥ ــ يشرح المعانى البلاغية لهمزات الاستفهام ويخرجها من أكمامها الاصطلاحية، فيبين معنى الإنكار وما المراد بالتقرير، ومم كان التعجيب والتعجب، وعلام كان التوبيخ والتقريع، ومم كانت السخرية والاستهزاء، وهكذا بقية المعانى.

٦ ــ يعرب الكلمات التي وردت في صيغ الاستفهام حيث يكون الإعراب مساعدا على فهم المعنى، فالإعراب تحليل للكلمات وبيان لموقع كل كلمة من أختها وعلاقتها بها، ولاشك أن ذلك يعطيك عمقا في الفهم ودقة في الإدراك.

٧ ــ يعتمد على كتب المفسرين المذكورة في مراجع هذا الكتاب، يعتمد عليها في شرح الآيات وفي بيان المعانى البلاغية لهمزات الاستفهام.

٨ ــ يتجافى عن الخلافات بين المفسرين في معاني الآيات، ويختار منها ما اتفق عليه المفسرون.

ويتجنب الخلافات في المعاني البلاغية ويختار منها ماأتفق عليه معظمهم، أو ما رأى هذا الكتاب أنه الأحق الأصوب.

٩ ــ يجتهد هذا الكتاب ويبدى رأيه في المعاني البلاغية لهمزات الاستفهام التي لم يذكرها المفسرون.

١٠ ــ لم يذيل هذا الكتاب أسافل صفحاته بحواش تشير إلى مراجع آراء العلماء التي تذكر في أثناء البحث، لم يفعل ذلك اكتفاء بذكر صاحب الرأي وتفسيره، فآيات القرآن الكريم قد عُيّنت أرقامها في هذا الكتاب وسميّت سورها، فمن السهل بعد ذلك الرجوع إلى الرأي في كل تفسير دون حاجة إلى بيان الصفحة والجزء وذكر الطابع والناشر.

١١ ــ يحرص هذا الكتاب على أن يريك النهج الذي نهجه والدرب الذي سار عليه فيقدم إليك صورة مما جاء فيه، وإليك هذه الصورة:

« أما الفعل الثاني والعشرون من الأفعال الماضية التي دخلت عليها همزة الاستفهام في القرآن الكريم فهو (عجز)، وقد ورد ذلك في موضع واحد، في قوله تعالى: « **واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق إذ قرّبا قرباناً فتُقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر قال لأقتلنّك قال إنما يتقبل الله من المتقين (٢٧) لئن بسطت إليّ يدك لتقتلني ماأنا بباسط يدي إليك لأقتلك إني أخاف الله رب العالمين (٢٨) إني أريد أن تبوء بإثمي وإثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين (٢٩) فطوّعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين (٣٠) فبعث الله غرابا يبحث في الأرض ليريه كيف يوارى سوءة أخيه قال ياويلتا أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سوءة أخي فأصبح من النادمين (٣١) » الآيات: (٢٧ ــ ٣١) من سورة المائدة.**

تتضمن هذه الآيات الكريمة أن الله سبحانه وتعالي يأمر رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم أن يتلو بالحق وبالصدق على بني إسرائيل خبر ابني آدم هابيل وقابيل إذ قرّب كل منهما قربانا إلى الله تعالى، وكان هابيل صاحب ماشية يعمل الصالحات، فعمد إلى خير ماشيته فتقرب به إلى الله تعالى يبتغي مرضاته، فتقبل الله منه.

أما قابيل فكان صاحب زرع يعمل السيئات فعمد إلى أردأ زرعه فتقرب به إلى الله تعالى خداعا ورياء، فلم يتقبل الله منه.

فغضب قابيل أشد الغضب على أخيه هابيل، وحسده أن يتقبل الله قربانه، فقال ينذر ويتوعد: لأقتلنك ياهابيل شر قتلة!!

قال هابيل في هدوء ورفق وسكينة: وماذنبي فتقتلني؟! أنا لم أسيء إليك في شيء، كل مافعلته أني تقربت إلى الله تعالى بأفضل ماعندي أبتغي به وجهه، فتقبل الله تعالى مني.

أما أنت فلم تحسن اختيار ماتتقرب به إلى الله، لقد تقربت إليه تعالى بأردأ ماعندك، فلم يتقبل منك، إنما يتقبل الله من الذين يخشونه ويقومون بطاعته وكانوا متقين.

ولئن مددت إليّ يدك لتقتلني فلن أدفعك ولن أدافع عن نفسي، وماأنا بمادٍّ إليك يدي لأقتلك، إني أخاف الله رب العالمين، وإن الله لايحب المعتدين.

وإذا كان القتل لابد منه، فإما أن تقتلني وإما أن أقتلك، فأنا أختار أن تقتلني على أن أقتلك لتحمل إثم قتلي وإثم معاصيك من قبلُ فتكون أنت من أصحاب النار، وتلك النار جزاء الظالمين.

وتسكن سورة غضب قابيل حين سمع أخاه هابيل يقول له قولا ليّنا، ويقف منه موقفا مسالما، ويترك باب القتل أمامه مفتوحا دون مدافع.

وينام النهار، وتتلفع الأرض بليل ضاع فيه القمر وعميت فيه النجوم، وتأوى نفس قابيل إلى قابيل تهمس وتوسوس وتزيّن له قتل أخيه، وبعد لأي وعناء وأخذ وعطاء طوّعت له نفسه قتل أخيه فقتله.

وتشرق شمس الصباح لتذيع أسرار الليل، وينهض قابيل من مضجعه ليرى ماذا صنعت يداه.

ماالذي تريد أن تراه ياقابيل؟! هاهي ذي جثة أخيك غارقة في الدماء مهشمة الرأس والأعضاء، أرأيت أبشع منها صورة وأقبح منها منظرا؟! وهل شممت أخبث منها ريحا وأنتن منها رائحة؟! أوطبت نفسا بعد هذا وهدأت بالا ياقابيل؟!

لقد هزّت تلك الجثة المشوّهة البائسة البشعة حنانا كان نائما في صدر قابيل، واستصرخت أخوّة حانية كانت نائية عنه فأصبح من النادمين.

لقد أسقط في يد قابيل، ووقف أمام جثة أخيه باكيامشدوها يصيح وينوح ولايدري ماذا يصنع:

واحسرتاه! واحسرتاه! ماذا أصنع بجثتك ياهابيل؟! لقد كنت من قبل هذا ملء السمع وملء البصر، وهاأنت ذا جثة هامدة خرساء لاتسمع النداء!! ماذا أصنع ياهابيل؟! أأودعك هكذا لقى فوق الأرض وتحت السماء؟! ياإلهي، هب لي من لدنك هدى ورشدا!.

لقد كان هابيل أول قتيل فوق الأرض، وماكان قابيل يدري سنة الله في الموتى، فبعث الله غرابين يقتتلان على مرأى منه ومسمع، ويقتل أحدهما الآخر ويحفر له في الأرض حفرة ويلقيه فيها ويحثو عليه التراب.

ويشهد قابيل هذا المشهد فيصيح: ياويلتا! أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب الحقير فأواري سوءة أخي؟!

ويصنع قابيل ماصنع الغراب القاتل، ويوارى سوءة أخيه في جوف الأرض، ولكنه لم يستطع أن يوارى حسرة تتلظى في صدره، وندما ينهش قلبه، وجزاء عند الله لايزال ينتظر.

وقد أفاد هذا الاستفهام: (**أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سوءة أخي**) أفاد الإنكار والتوبيخ والتعجب والتحسر:

فقد أنكر قابيل على نفسه ونعى عليها وأنّبها أن لاتبلغ مبلغ هذا الغراب في حسن التصرف وسداد الرأي.

وتعجب من عجزه عن أن يهتدي إلى مااهتدى إليه هذا الطائر المزدرى وهذا الغراب الحقير.

وتحسر من جراء هذا العجز الفاضح المهين.

وقد ذهب الزمخشري في كشافه إلى أن (فأوارى) منصوب على أنه جواب الاستفهام، وقد ردّ هذا الرأي أبو حيان في تفسيره البحر المحيط، فبعد أن ذكر رأي الزمخشري هذا قال: «وهذا خطأ فاحش لأن الفاء الواقعة جوابا للاستفهام علامتها أن ينعقد من الجملة الاستفهامية والجواب شرط

وجزاء مع صحة المعنى، ولو قلت هنا : إن أعجز أن أكون مثل هذا الغراب أوار سوءة أخـى لم يصح المعنى، لأن المواراة لاتترتب على عجزه عن كونه مثل هذا الغراب» اهـ بتصرف.

ثم بيّـن أبو حيان أن النصب في الفعل المضارع (فأواري) لأنه معطوف على الفعل المضارع المنصوب (أن أكون). فالفاء الداخلة على الفعل المضارع في (فـأواري) ليست فاء السببية المسبوقة بالاستفهام، وانما هي لمجرد العطف.

قارئى الكريم :

على هـذا الطريق سرت في دراسة همزة الاستفهام الداخلة على الفعل الماضي، وهذا هو النهج الذي نهجته في هذا الكتاب الذي بين يديك.

وإذا كـان المؤلفون قديما وحديثا قد درجوا على أن يذكروا في مقدمات كـتبهم الأسبـاب الـداعية إلى تأليف تلك الكتب ونشرها على الناس، فإن الحديث عن كتاب الله تعالى وبيان شيء من خصائص أساليبه ومزايا آياته واجب على كل من استطاع إليه سبيلا.

ولـقـد جـاء الاسـتـفـهـام في القرآن الكريم أسلوبا ممتازا في كثرة وروده ووفرة اسـتـعـمـالـه ودواعيـه وتنوع معانيه ومراميه، فقد ورد في حوالي ألف ومـئـتين وستين موضعا، وإذا كانت آيات القرآن الكريم قد بلغت حوالى ستة آلاف ومـئـتين وسـت وثـلاثين آية ــ على خلاف بين العلماء في هذا العدد ــ تبيّن لك مبلغ هذه الكثرة ومدى انتشار الاستفهام في كتاب الله العظيم.

وهـذه الكثرة في استعمال أسلوب الاستفهام في القرآن الكريم تدل على قوة هذا الأسلوب ومبلغ تأثيره ووفرة مقتضياته ودواعيه.

ومما يشهد لتلك القوة وذلك التأثير ووفرة هاتيك الدواعى والمقتضيات أن القصائد التي تتضمن السؤال والحوار من أمتع القصائد، وأن الأدب المسرحي الـذي يقـوم عـلـى الأسئلة والحوار من أروع أنواع الأدب، وأن طريقة الحوار في الـتـدريس التي تعتمد على الأسئلة من أنجع طرق التعليم، وأن الخطيب الـذي لايـثير عـواطـف مستمعيه من حين إلى حين بتساؤلاته خطيب أعجم، وأن الـصـحـفـي الـذي لايـتـقـن إلقاء الأسئلة لايأتيك بالأخبار، وأن الأطباء

والقضاة والمحامين والمدرسين ومراسلي وسائل الإعلام ـــ وغيرهم كثير ـــ لاينالون النجح والفوز في مهماتهم إلا إذا كانوا ذوى مقدرة فائقة على إنشاء الأسئلة الدقيقة وإلقاء الاستفهامات العميقة، ولا أكون متجانفا عن الحق إذا قلت لك أن معظم مافي هذا العالم من مسائل العلم والمعرفة كان جوابا عن سؤال.

ولقد استعملت أدوات الاستفهام كلها في القرآن الكريم، غير أن همزة الاستفهام كان لها القدح المعلى ونصيب الأسد، فقد استعملت في حوالي خمسمائة وستين موضعا، وهذا العدد يكاد يبلغ نصف المقدار الذي جاء عليه الاستفهام بأدواته كلها في القرآن الكريم.

وكما تميزت همزة الاستفهام دون أخواتها بكثرة الاستعمال تميزت كذلك بكثرة الأساليب وكثرة المعانى، وربما كان سبب ذلك كله أن الهمزة جاءت على حرف واحد فخفت على اللسان وخفت في الآذان، وأنها تصلح لأن يسأل بها عن مضمون الجملة وعن مفرداتها، وأنها تدخل على الأفعال والأسماء والحروف وأدوات الشرط، و يسأل بها عن متعلقات الفعل، ولم يتأت هذا كله لأداة استفهام أخرى غير الهمزة.

ومما أحب أن أنبهك عليه في هذه المقدمة :

أولا : أن الاستفهام في القرآن الكريم جاء على ضربين:

الضرب الأول : الاستفهام الحقيقي :

وهو مايطلب به معرفة المستفهم عنه، والله سبحانه وتعالى منزه عن أن يسأل سؤالا حقيقيا، لأن السؤال الحقيقي يستلزم الجهل بما يسأل عنه، والله سبحانه وتعالى عالم بكل شيء لاتخفى عليه خافية، وما ورد في القرآن الكريم من سؤال حقيقي ــ وهو قليل جدا ــ جاء محكيا عن غير الله تعالى، كقول سليمان عليه السلام لمن حوله: **(أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين)** الآية (٣٨) من سورة النمل.

الضرب الثاني : الاستفهام غير الحقيقي :

وهو مايخرج عن معناه الحقيقي إلى معنى آخر أو أكثر كالإنكار والتوبيخ والتعجب والتحسر في سؤال هابيل السابق: **(أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب)** (من الآية (٣١) من سورة المائدة). فهو لايريد أن يسأل عن عجزه، ولكنه يريد أن ينكر على نفسه هذا العجز، وأن يؤنبها عليه وأن يتحسر له ويتعجب منه.

ثانيا : أن المعاني البلاغية التي يخرج إليها الاستفهام كالإنكار والتوبيخ والتعجب والتحسر والتهديد وغير ذلك مما سيأتي في هذا الكتاب، هذه المعاني ليس لها قواعد موضوعة مضبوطة منظمة يحتكم إليها، وإنما يعتمد في ادراكها على التذوق الأدبي الذاتي وعلى القرائن اللفظية والمعنوية التي تحيط بالاستفهام، ومن الطبيعي أن يختلف المفسرون في أذواقهم الأدبية وفي اكتناه مايحيط بالاستفهام من أحوال وقرائن، فكان طبيعيا أن يختلفوا أحيانا فيما يدل عليه الاستفهام من معنى أو معان بلاغية.

ولهذا كان لابد من ذكر همزات الاستفهام ضمن آيات تامات، وأن يذكر مع آيات الاستفهام آيات تتصل بتلك الآيات في المعنى ليتهيأ المناخ الصالح والقرائن المسعفة لاكتناه مايدل عليه الاستفهام من معان بلاغية.

وكما تفقد الزهرة المخضلة كثيرا من جمالها النضر وأريجها العطر إذا فارقت بيئتها الطبيعية وأرضها المخضرة وغصنها المياس، كذلك تفقد الجملة الاستفهامية كثيرا من بلاغتها المعبرة وروعتها المؤثرة وأدائها اللمّاح إذا ذكرت مبتورة من آياتها وآيات أخر تتصل بها ويتم بها المعنى المراد.

قارئي الكريم :

هذا الكتاب الذي بين يديك هو الجزء الأول من أجزاء ثلاثة :

وقد اختص هذا الجزء الأول بدراسة همزة الاستفهام الداخلة على الفعل الماضي في فصله الأول، وعلى أدوات الشرط في فصله الثاني.

أما الجزء الثاني فسوف يختص – إن شاء الله تعالى – بدراسة همزة الاستفهام الداخلة على الفعل المضارع وعلى متعلقات الفعل.

أما الجزء الثالث فسوف يكون بمشيئة الله تعالى لدراسة همزة الاستفهام الداخلة على الجملة الإسمية.

والله تعالى أسأل أن يسدّد خطاي وخطاك على طريق الخير، وأن يعين على فهم شيء من كتاب الله الكريم، وعلى تذوق بعض ماجاء في أساليبه البلاغية، إنه نعم المولى ونعم المعين.

المؤلف

عبد الرؤوف سعيد عبد الغنى اللبدى

الفصل الأول
الهمزة الداخلة على الأفعال الماضية
مرتبة بحسب الحرف الأول من فعلها الثلاثي المجرد

١ ـــ اتخــذ

الفعل الماضي الأول الذي دخلت عليه همزة الاستفهام في القرآن الكريم هو (اتخذ)، وقد ورد ذلك في ثلاثة مواضع:

الموضع الأول في قوله تعالى:

فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ
ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ
فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ
﴿٧٩﴾ وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ۚ قُلْ
أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ ۖ أَمْ تَقُولُونَ
عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً
وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ
فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ
أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨٢﴾

الآيات: (٧٩ ـــ ٨٢) من سورة البقرة.

تتضمن هذه الايات الكريمه:

أن الله سبحانه وتعالى يهدد بالعذاب الشديد يوم القيامة أحبار اليهود الذين كانوا يكتبون التوراة بأيديهم يختلقون فيها و يبدلون، و يقولون لليهود

الأميين الذين لايعرفون من التوارة إلا مايقرأ لهم، يقولون عن هذا الذي اختلقوه وافتروه هو من عند الله، وكانوا يفعلون ذلك لينالوا منافع دنيوية حقيرة خسيسة، ولتظل لهم على سائر اليهود رئاسة وهيمنة وسلطان.

وكان اليهود يرجعون إلى هؤلاء الأحبار يستفتونهم فيا يحل ويحرم، فينال الأحبار من وراء هذا الاستفتاء رشا ظالمة، ومآكل دسمة، وهدايا آثمة، ومآدب يملئون منها البطون.

وكان مما بدّل هؤلاء الأحبار وغيرّوا صفات رسول الله صلى الله عليه وسلم الواردة في التوارة الأصلية قبل أن تحرف وتبدل، فقام الأحبار فاستبدلوا بها صفات بعيدة كل البعد عن صفاته صلى الله عليه وسلم، وكتبوا هذه الصفات المختلقة في التوراة مكان تلك، وقالوا إن صفات الرسول في التوراة لايتصف بها محمد.

فعل أحبار اليهود ذلك لئلا ينفضّ اليهود من حولهم و يتبعوا الرسول عليه الصلاة والسلام، ولئلا يضيع عليهم مآكل لذيذة دسمة، وهدايا آثمة ظالمة، ولئلا يضيع مع هذا كله رئاسة وهيمنة وسلطة وسلطان.

هؤلاء الأحبار المفترون المختلقون سيضاعف الله لهم العذاب يوم القيامة ضعفين، لكل جرم مما ارتكبوا ضعف، فعذاب على ماكتبوه في التوراة مختلقا مفترى وقالوا هو من عند الله، وعذاب على مااكتسبوه من سحت ورشا يستحلون به ماحرّم الله.

ومما افتراه هؤلاء الأحبار واختلقوه وقالوا هو من عند الله زعمهم أن اليهود لايعذبون يوم القيامة في نار جهنم إلا أياما معدودة ثم يخرجون إلى الجنة.

وقد أمر الله سبحانه وتعالى رسوله صلى الله عليه وسلم أن يسألهم إنكارا عليهم وتوبيخاً لهم: أنّى لكم هذا الذي تزعمونه؟! أعهدا اتخذتموه عند الله والله لايخلف عهده، أم تقولون هذا من عند أنفسكم وتكذبون به على الله وتدّعون مالا تعلمون؟!

وقد ردّ الله سبحانه وتعالى على أولئك الأحبار الذين قالوا لن تمسّنا النار إلا أياما معدودة، ردّ عليهم بأن النار سوف تمسّهم مسًّا أليما، وأنهم قد

اكتسبوا إثما عظيما، وأن هذا الذي يقولونه و يفعلونه خطيئة أحاطت بهم من كل جانب، وضربت بينهم وبين الإيمان بسور ليس له باب، فهم وأمثالهم سيكونون يوم القيامة أصحاب النار، لا تنفك عنهم ولايخرجون منها، فهم فيها خالدون.

أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فأولئك أصحاب الجنة يقيمون فيها سرمدا، ولا يخرجون منها أبدا، وهم فيها خالدون.

أما هذا الاستفهام : (**أتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده أم تقولون على الله مالا تعلمون**) فقد جاء مفيدا التقرير والتوبيخ:

التقرير على معنى طلب الاعتراف بأحد الأمرين أيهما واقع: اتخاذكم العهد عند الله أم قولكم على الله مالا تعلمون، والأمر الأول لم يقع فهم لم يتخذوا عهدا عند الله، فلم يبق إلا أن يعترفوا بالأمر الثاني وهو أنهم يقولون على الله الكذب في ادعائهم أن النار لا تمسهم إلا أياما معدودة.

و يفيد توبيخ أحبار اليهود على كذبهم وافترائهم في قولهم : لن تمسّنا النار إلا أياما معدودة.

وإفادة هذا الاستفهام التقرير والتوبيخ قائمة على أن (أم) متصلة عاطفة، عطفت الجملة التي بعدها على الجملة الواقعة بعد همزة الاستفهام.

وأكثر المفسرين يجوزون أيضا أن تكون (أم) منقطعة، و يفسرها بعضهم ببل والهمزة، و يكون تقدير الكلام على رأيهم هذا: أتخذتم عهدا عند الله فلن يخلف الله عهده، بل أتقولون على الله مالا تعلمون. وعلى هذا يكون استفهام (**أتخذتم**) للإنكار بمعنى النفي، أي ماتخذتم عهدا عند الله، و يكون استفهام (**بل أتقولون**) للتوبيخ.

وذهب السيوطي في تفسير الجلالين إلى أن استفهام (**أتخذتم**) لإنكارالاتخاذ ونفيه، وأن (أم) للإضراب الانتقالي، و يكون تقدير الكلام على رأيه: ماتخذتم عند الله عهدا، بل تقولون على الله مالا تعلمون.

والرأي الأقوى — فيما يبدو لي — أن تكون (أم) متصلة، وأن الاستفهام للتقرير والتوبيخ على ماتقدم بيانه وشرحه، ذلك لأنه هو المتبادر إلى الذهن، ولهذا قدّمه معظم المفسرين، و بعضهم لم يذكر غيره، ولأن فيه

حمل المخاطبين على الاعتراف بخطيئتهم وافترائهم، وهذا مايتطلبه المقام وتستدعيه بلاغة الكلام.

وهنا أمور أحب أن أنبهك عليها :

الأول : همزة (أتخذتم) هي همزة الاستفهام، والأصل (أإتخذتم) بهمزتين: الأولى همزة الاستفهام وهي مفتوحة، والثانية همزة الوصل وهي مكسورة. فحذفت همزة الوصل تخفيفا واستغناء عنها بهمزة الاستفهام.

الثاني : (اتخذ) هذا الفعل تارة يتعدى إلى مفعولين اثنين، وتارة إلى مفعول به واحد، وهنا تعدى إلى مفعول به واحد هو (عهدا)، وأما (عند) فظرف متعلق ب (اتخذ).

الثالث : الفعل الماضي (اتخذ) الذي دخلت عليه همزة الاستفهام فعل خماسي على وزن (افتعل)، وقد اختلف في فعله الثلاثي المجرد فذهب الجوهري إلى أن فعله الثلاثي المجرد هو (أخذ يأخذ) من باب نصر ينصر، فالحرف الأول فيه هو الهمزة، وأصل (اتخذ) على رأيه (إأتخذ) بهمزتين: الأولى همزة وصل زائدة والثانية أصلية هي فاء الكلمة، فاجتمع همزتان ثانيتهما ساكنة وقبلها همزة مكسورة فقلبت الثانية الساكنة ياء لمجانسة الكسرة قبلها، فصارت الكلمة (إيتخذ) فوقعت الياء التي هي فاء الكلمة قبل تاء الافتعال فأبدلت تاء وادغمت في تاء الافتعال، فصارت الكلمة اتّخذ.

وذهب ابن الاثير إلى أن فعل (اتخذ) على وزن افتعل وهو مأخوذ من (تخذ يتخذ) من باب (علم يعلم) فالحرف الأول فيه التاء، وليس في الكلمة إبدال وقد ذهبت في دراستي هذه إلى ماذهب إليه الجوهري، لأنه الأصوب (راجع تاج العروس شرح القاموس للزبيدي في مادة (تخذ)).

الموضـــع الثاني

الموضع الثاني من مواضع همزة الاستفهام الداخلة على (اتخذ) قد ورد في قوله تعالى: ﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ ۗ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ ﴿١٦﴾﴾

الآية (١٦) من سورة الرعد.

في هذه الآية الكريمة :

يأمر الله تعالى رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم أن يسأل المشركين من قومه: **(من رب السموات والأرض)**، والغرض من هذا السؤال أن يقروا بما لامفّر من الإقرار به فيقولوا: ربها الله. ثم يأمره عز وجلّ أن يجيب هو نفسه عن هذا السؤال بقوله: **(هو الله)**، للتنبيه على أن المشركين يقرون بهذا الجواب ولايقدرون على انكاره.

ثم يأمره تعالى أن يقول للمشركين مايتضمن :

وإذا كنتم تقرون بأن الله هو رب السموات والأرض فلم تتخذون الأصنام آلهة تعبدونهم من دون الله وهم لايملكون لأنفسهم نفعا ولاضرا، ولم تتركون عبادة رب السموات والأرض الذي بيده النفع والضر والموت والحياة؟!

قل لهم ــ يامحمد ــ تصويرا لآرائهم وتوبيخا لهم عليها وتهكما بهم: لايستوى الأعمى الذي لايرى شيئا، فهو يسير على طريق ذي عوج خابط ليل لايدرى أين يذهب، والبصير الذي يرى كل شيء، فهو يسير على طريق مستقيم ثابت الخطا لايكبو ولايتعثر.

كذلك لايستوى المشركون الذين لايرون الحق ولايبصرون الهدى،

والمؤمنون الذين يبصرون الحق فيتبعونه، و يرون سبيل الهدى فيسلكونه.

الظلمات والنور لايستويان، وكذلك الشرك والإيمان لايستويان. قل لهم توبيخا لهم وتهكما بهم: أخلقت أصنامكم التي تعبدونها من دون الله أشياء كما خلق الله، فاشتبه عليكم ماخلقتْ وماخلق فجعلتموها شركاء لله من أجل ذلك؟!

أروني ماذا خلقتْ أصنامكم ياعبدة الأصنام، وماذا تقدر أن تخلق؟! إنها لاتستطيع أن تخلق ذبابا ولو اجتمعت له وتنادت إليه.

أيها المشركون، إن الله هو خالقكم وخالق أصنامكم وخالق كل شيء، وإن الله هو الواحد الذي لم يشاركه أحد في الخلق، وهو الذي لايعجزه شيء في السموات والأرض، وهو على كل شيء قدير، فعبادة غيره جهالة وسفاهة وضلال.

أما هذا الاستفهام : (**أفاتخذتم من دونه أولياء لايملكون لأنفسهم نفعا ولاضرا**) فقد جاء مفيدا الإنكار والتوبيخ والتهكم.

الإنكار بمعنى لاينبغي لكم أيها المشركون أن تتخذوا من دون الله أصناما آلهة لاتضر ولاتنفع ولاتقدر على شيء، وأن تتركوا عبادة الله الذي تعترفون بأنه رب السموات والأرض، خلقها وخلقكم وخلق أصنامكم، وهو خالق كل شيء.

و يفيد التهكم بهم وتوبيخهم على جهالتهم وسفاهتهم وضلالتهم في عبادتهم مالايعقل ولايسمع ولايبصر ولايقدر على شيء، وعلى تركهم عبادة رب السموات والأرض الواحد القهار القادر على كل شيء.

والفاء الواقعة بعد همزة الاستفهام في (أفاتخذتم) عاطفة، وقد اختلف في المعطوف عليه، فعلى رأي سيبو يه والجمهور يكون المعطوف عليه هو ماقبل الهمزة، وعلى رأي الزمخشري يكون المعطوف عليه مقدرا بعد الهمزة يدل عليه السياق، وقد قدّره أبو السعود في تفسيره على النحو التالي: «**أعلمتم أن ربها هو الذي ينقاد لأمره من فيها كافة فاتخذتم**».

وتقدير هذا المعطوف عليه تكلف لاداعي إليه.

والجار والمجرور (من دونه) يتعلقان بفعل (اتخذتم) و(أولياء) مفعول به، وجملة (لايملكون لأنفسهم نفعا ولاضرا) في محل نصب صفة لأولياء.

الموضــع الثالث

الموضع الثالث من مواضع همزة الاستفهام الداخلة على (اتخذ) قد ورد في قوله تعالى:

﴿هَٰذَا ۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ ﴿٥٥﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿٥٦﴾ هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ﴿٥٧﴾ وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ ﴿٥٨﴾ هَٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ ۖ لَا مَرْحَبًۢا بِهِمْ ۚ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ ﴿٥٩﴾ قَالُوا بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًۢا بِكُمْ ۖ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا ۖ فَبِئْسَ الْقَرَارُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ ﴿٦١﴾ وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ الْأَشْرَارِ ﴿٦٢﴾ أَتَّخَذْنَٰهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الْأَبْصَٰرُ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ ﴿٦٤﴾﴾

الآيات: (٥٥ ــ ٦٤) من سورة ص.

تتضمن هذه الآيات الكريمة:

للذين استكبروا عن الإيمان بربهم واتباع ماجاءهم به الرسل، لهؤلاء يوم القيامة شر مآب، سيؤوبون إلى نار جهنم يصلونها و يعذبون فيها أنواعا شتى من العذاب.

وإذا كانوا في الدنيا قد اعتادوا أن يناموا على فراش لين وثير، ومن فوقهم أغطية ناعمة من حرير أو كالحرير، فسوف يكون لهم يوم القيامة في جهنم مهاد جديد ولكنه من نار، وسوف يكون لهم أغطية لم يعرفوها من قبل هي ألسنة لهب جهنم، فبئس المهاد مهادهم في جهنم، و بئس الدثار دثارهم في السعير.

لقد كان لهم في الدنيا طعام شهيّ هنيء، وشراب سائغ مريء، يتذوقونه فيجدون في مذاقه لذة أيّما لذة، ومتعة مابعدها متعة، ولن تبخل جهنم يوم القيامة على هؤلاء الذين كانوا في الدنيا طغاة قد استكبروا عن الإيمان بالله، وأعرضوا عما دعاهم إليه الرسل، سوف تقدم لهم ماء كالمهل يغلى في البطون، وصديدا يسيل من جلودهم وجلود غيرهم حين تشوى في نار جهنم.

ولن تكتفي جهنم بهذا، سوف تقدم معه أنواعا كثيرة من شكله وجنسه يجدون في مذاقها أنواعا من الآلام وألوانا من العذاب.

و يرى الطاغون وهم يقتحمون نار جهنم فوجا مزدحما من أتباعهم الذين أضلوهم في الحياة الدنيا، يرونهم يقتحمون نار جهنم معهم فيقول الطاغون بعضهم لبعض في ضيق وتضجر: لا مرحبا بهؤلاء الأتباع، إنهم يصطلون معنا النار، فياللهوان و ياللعار!! أنجتمع نحن العلّية ذوو الشرف والرفعة وهؤلاء السّفلة ذوو الهوان والضعة، أو يضمنا جميعا مكان واحد على درجة سواء؟!! ماكان هذا ليقع من قبل في دار الدنيا، ولكنه اليوم واقع!! واحرباه!!.

و يسمع الأتباع ــ وقد سقطت عنهم ذلة التابعية وأوضارها، وتعرّى الطغاة مما كان لهم من هيبة وهيمنة وسلطان ــ فيقولون للطغاة بصوت ينضح بالحقد والكراهية والنقمة، و ينفح الشر والغلظة والسوء: بل أنتم لامرحبابكم، أنتم الذين ثنيتمونا عن الإيمان بما جاءت به الرسل، وزيّنتم لنا الكفر وعبادة الأصنام، فكانت عاقبة أمرنا أن اقتحمنا معكم هذه النار وبئس القرار!!.

ربنا هؤلاء الطغاة هم الذين أضلونا في الحياة الدنيا وجنوا علينا حياة الآخرة، اللهم آتهم ضعفين من العذاب، جزاء ضلالهم ضعفا، وجزاء إضلالهم الضعف الآخر.

و يتذكر الطغاة أناسا آخرين امنوا بالله واتبعوا الرسل، فيقول بعضهم لبعض: مالنا لانرى رجالا كنّا نعدّهم من الأشرار، آذيناهم كثيرا، وسخرنا منهم طويلا، وحقرناهم أسوأ تحقير، فصبروا على أذانا، ولم يبالوا بما كان

منا، ترى أين هم اليوم؟! أتراهم ذهبوا إلى الجنة فلم نعد نراهم، أم تراهم معنا في النار ولكن زاغت عنهم الأبصار؟!

لقد أخطأنا في اتخاذهم سخريا وهزوا، فقد تبين اليوم أنهم كانوا من الأخيار، وكنا نحن من الأشرار.

إن هذا التخاصم بين الطغاة وأتباعهم لواقع يوم القيامة في نار جهنم، وإنه لحق لاينكره ولايشك فيه إلا مجرم كفار.

هذا، وقد قرأ أربعة من القراء السبعة قوله تعالى: (**أتخذناهم سخريا أم زاغت عنهم الأبصار**) بهمزة القطع في أتخذناهم على أنها همزة الاستفهام استغنى بها عن همزة الوصل، ويكون الاستفهام على هذه القراءةمفيدا الإنكار والتوبيخ والتحسر.

على معنى أن الطغاة ينكرون على أنفسهم يوم القيامة وهم يعذبون في النار سخريتهم في الحياة الدنيا بأولئك الذين آمنوا بالله وصدقوا الرسل، وأنهم ماكان ينبغي لهم أن يفعلوا ذلك.

ومع هذا الإنكار يؤنبون أنفسهم على تلك السخرية، ويتحسرون على مافرطوا في جنب أولئك الذين كانوا يعدونهم من الأشرار.

والجملة الاستفهامية (**أتخذناهم سخريا**) على هذه القراءة جملة استئنافية لامحل لها من الإعراب.

وقرأ ثلاثة من القراء السبعة (اتخذناهم) بهمزة الوصل، ويجوز على هذه القراءة أن تكون همزة الاستفهام مقدرة، فتتحد القراءتان في الدلالة على الاستفهام، ويجوز أن لاتكون همزة الاستفهام مقدرة، ويكون الكلام إخبارا، وتكون جملة (**اتخذناهم سخريا**) حينئذ صفة ثانية ل (رجالا).

هذا، وفعل (اتخذ) في قوله تعالى: (**اتخذناهم سخريا**) متعد إلى مفعولين: المفعول الأول (هم)، والمفعول الثاني (سخريا)، والياء المشددة في (سخريا) ياء النسب تزاد في المصادر والصفات للمبالغة في الفعل، وقد زيدت هنا في المصدر للمبالغة في السخرية.

٢ ـــ أمِــن

أما الفعل الثاني من الأفعال الماضية التي دخلت عليها همزة الاستفهام في القرآن الكريم فهو (أمن)، وقد ورد ذلك في سبعة مواضع:

الموضع الأول والثاني والثالث في قوله تعالى:

وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّبِىٍّ إِلَّآ
أَخَذْنَآ أَهْلَهَا بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ﴿٩٤﴾ ثُمَّ
بَدَّلْنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوا۟ وَّقَالُوا۟ قَدْ مَسَّ
ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ فَأَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩٥﴾
وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ
مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟
يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا
وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا
ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ
مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾

الآيات: (٩٤ ـــ ٩٩) من سورة الأعراف.

تتضمن هذه الآيات الكريمة:

ما من نبي أرسله الله تعالى إلى أهل قرية إلا قابلوا دعوته بالإعراض والعناد، فعاقبهم الله تعالى بالبؤس والفقر وشتى المصائب لعلهم يدركون أن كفرهم بالله تعالى سبب مانزل بهم من بأساء وضراء، فيتضرعون إليه تعالى أن يتوب عليهم وأن يكشف عنهم ماأنزله بهم، ولكنهم لايتضرعون ولايتوبون، ويظلون في ضلالهم سادرين.

ثم يكشف سبحانه وتعالى عنهم ماأنزله بهم من سوء وضر، وينعم عليهم بالخير الوافر والرزق الحسن وسلامة أجسامهم من الأمراض، فيكثر عددهم،

وتكثر أموالهم ومواشيهم، و يكثر ماتنبت لهم الأرض، ينعم الله تعالى عليهم بذلك استدراجا وإمهالا لعلهم يعتبرون و يشكرون.

ولكنهم يظلون في حالة السرّاء كما كانوا في حالة الضراء على ضلال وعناد، و يقولون تماديا في الباطل وإمعانا في الجهل: هذه هي عادة الأيام والليالي، تسيء وتحسن، وتمسك وتجود، وليس للإعراض عما جاءت به الرسل صلة بما أصابنا من قحط وخصب وضر ونفع وسوء وإحسان، هاهم أولاء آباؤنا من قبلنا أصابهم ماأصابنا ولم تأتهم رسل!!

ابتلاهم الله تعالى بالضرّاء والسرّاء فلم يكن لهم في هذه ولا تلك معتبر ومدّكر، فأخذهم بالعذاب الذي لايبقى ولايذر، أخذهم بغتة وهم أبعد مايكونون تفكيرا في عذاب الله أو توقعا لنزوله، ليكون العذاب أشد وليكون العقاب أنكى وأشقى.

ولو أن أهل تلك القرى التي أرسل الله إليها نوحا وهودا وصالحا ولوطا وشعيبا، لو أنهم آمنوا بالله وبما دعتهم إليه الرسل واتقوا ماأنذروا به لفتح الله عليهم أبواب الرزق المبارك من كل جانب في السماء وفي الأرض، ولكنهم أبوا إلا الضلال، فلم يؤمنوا بالله معبودا لاشريك له، ولم يعترفوا بأن السرّاء والضرّاء من عند الله عزّ وجلّ، فأخذهم الله أخذا وبيلا بكفرهم وتكبرهم عن اتباع الرسل.

لقد أمن أهل تلك القرى عذاب الله المباغت أن يأتيهم بياتا وهم نائمون، أو أن يأتيهم ضحى وهم في غفلة ساهون، لقد أمنوا عذاب الله أن يأتيهم فجأة وهم لايشعرون، وماكان ينبغي لهم أن يأمنوا عذاب الله أبدا، إنه لايأمن عذاب الله إلا القوم الخاسرون.

هذا، وقد أفاد استفهام (أأمن) في مواضعه الثلاثة الإنكار والتوبيخ والتعجيب والتهديد والوعيد:

أفاد الإنكار بمعنى لاينبغي لأهل تلك القرى الذين جاءهم الأنبياء المرسلون: نوح وهود وصالح ولوط وشعيب، لاينبغي لهم أن يأمنوا عقاب الله تعالى وعذابه وقد اجترحوا مايستحقون عليه العقاب والعذاب من كفرهم بالله تعالى، وتكذيبهم أولئك الأنبياء المرسلين، وتكبرهم عما دعوهم إليه، وتماديهم

في الغرور والعناد، وأفاد توبيخ أهل تلك القرى على أن يأمنوا العذاب والعقاب مع أنهم اقترفوا مايستحقون عليه العذاب والعقاب.

وأفاد التعجيب من أمنهم مع أن حالهم تستدعى أن يتخوفوا العذاب وأن يتوقعوا العقاب.

وأفاد هذا الاستفهام أيضا (بطريق التعريض): التحذير والتهديد والوعيد لمشركى مكة بأن يأخذهم الله كما أخذ أهل القرى من قبلهم لإشراكهم بالله تعالى، وتكذيبهم الرسول محمدا صلى الله عليه وسلم، وتكبرهم عن اتباعه، وتماديهم في العناد والغرور، فليتعظوا بما أصاب غيرهم، وليحذروا أن يصيبهم ماأصاب المشركين المكذبين من قبلهم.

وقد صرح الزمخشري في تفسيره الكشاف بأن الفاء الواقعة بعد همزة الاستفهام في (أفأمن)، والواو الواقعة بعد همزة الاستفهام في (أوأمن) حرفا عطف، وأن المعطوف عليه قوله تعالى (**فأخذناهم بغتة**) المذكور قبلهما، وأن مابين المعطوف والمعطوف عليه اعتراض.

وهذا يدل على أن الزمخشري لم يلتزم مذهبه وهو أن حروف العطف الواقعة بعد همزة الاستفهام تعطف على كلام مقدر بعد الهمزة يدل عليه السياق، ويدل أيضا على أن الزمخشري يذهب أحيانا مذهب سيبويه والجمهور وهو أن حروف العطف (الفاء والواو وثم) بعد همزة الاستفهام تعطف دائما على ماقبل الهمزة.

والمصدر المؤول من (**أن يأتيهم**) في قوله تعالى (**أفأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتا وهم نائمون**) في محل نصب مفعول به ل (أمن) و(بياتا) مصدر يجوز أن يكون ظرف زمان على تقدير مضاف أي وقت بيات، ويجوز أن يكون حالا من ضمير (يأتيهم) على تأويله باسم الفاعل أي بائتين، وهناك إعرابات أخرى، ولكن أفضل هذه الإعرابات أن يكون منصوبا على الظرفية الزمانية، ليجانس (ضحى) في الآية التي بعدها، وقوله (وهم نائمون) جملة في محل نصب على الحال، وصاحب الحال (هم) في يأتيهم، ورابط جملة الحال بصاحبها الواو وهم في الجملة الحالية.

و(ضحى) في قوله تعالى : (أو أمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا

ضحى وهم يلعبون) ظرف زمان منصوب وعلامة نصبه فتحة مقدرة على الألف للتعذر، وقد حذفت هذه الألف لالتقاء الساكنين.

ومن تذوقات المفسرين البلاغية ماذكره أبو حيان في تفسيره البحر المحيط، قال: «وتكرر لفظ **(أهل القرى)** في قوله تعالى **(إفأمن أهل القرى)** وفي قوله تعالى **(أوأمن أهل القرى)** بعد قوله تعالى (ولو أن أهل القرى)، لأن في ذلك التكرار من التسميع والإبلاغ والتهديد والوعيد مالايكون في الضمير لو جاء (أفأمنوا) (أوأمنوا)، فإنه متى قصد التفخيم والتعظيم والتهويل جيء بالاسم الظاهر» اهـ بتصرف.

الموضـــع الرابـع

الموضع الرابع من مواضع همزة الاستفهام الداخلة على الفعل الماضى (أمن) ورد في قوله تعالى:

وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا
وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا
وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾ أَفَأَمِنُوٓا۟ أَن تَأْتِيَهُمْ غَٰشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ ٱللَّهِ
أَوْ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٠٧﴾

الآيات: (١٠٥ ــ ١٠٧) من سورة يوسف.

تتضمن هذه الآيات الكريمة أن آيات الله الدالة على وحدانيته وعظيم قدرته منبثة في السموات والأرض لاتعدّ ولاتحصى، ففي كل خلق من مخلوقاته في السموات وفي الأرض حجة بالغة على أنه الخالق الواحد الأحد.

وما اكثر مايرى المشركون هذه الآيات، ولكنهم يمرون عليها معرضين لايفكرون فيها ولايعتبرون.

وكثير من هؤلاء المشركين يؤمنون بالله فيقولون: الله خالقنا، وهو الذي يميتنا ويحيينا، ولكن إيمانهم يشوبه الشرك، فهم يتخذون الأصنام آلهة يعبدونهم من دون الله تعالى.

فلاينبغي لهؤلاء المشركين أن يأمنوا عذابا من الله ينزله بهم، فلاينجو منهم أحد في الدنيا، أوتأتيهم الساعة فجأة وهم في غفلة لايشعرون، فيكون مصيرهم إلى جهنم وبئس المصير.

هذا، وقد جاء استفهام (**أفأمنوا أن تأتيهم غاشية من عذاب الله أو تأتيهم الساعة بغتة وهم لايشعرون**)، جاء مفيدا الإنكار والتوبيخ والتعجيب والتهديد والوعيد.

مفيدا الإنكار بمعنى لاينبغى لهؤلاء المشركين أن يأمنوا عذاب الله جزاء على كفرهم واتخاذهم الأصنام آلهة يعبدونها من دونه.

ومفيدا توبيخهم على أمنهم عذاب الله أو مباغتة الساعة، ومفيدا التعجيب من هذا الأمن، مع أنهم يرون الآيات الدالة على وحدانيته تعالى تملأ السموات والأرض فيعرضون عنها و يتكبرون ولايؤمنون.

ومفيدا التهديد والوعيد بإنزال غاشية من عذاب الله تغشاهم أجمعين فلا تبقى على أحد منهم في الدنيا، أو بإتيان الساعة فجأة وهم على شركهم فيكون لهم في جهنم مستقر ومقام.

و(بغتةً) في قوله تعالى : (**أو تأتيهم الساعة بغتة**) مصدر، وهو حال من الساعة، والمصدر إذا وقع حالا يؤول بوصف على رأي سيبويه والجمهور، وهنا يؤول باسم الفاعل، ويكون التقدير: أوتأتيهم الساعة باغتة.

ومن النحاة من يرى أن (بغتة) مفعول مطلق.

الموضـــع الخامس

الموضع الخامس من مواضع همزة الاستفهام الداخلة على الفعل الماضي (أمن) ورد في قوله تعالى:

أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخْسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٤٥﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِى تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٤٦﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٤٧﴾

الآيات: (٤٥ ـــ ٤٧) من سورة النحل.

تتضمن هذه الآيات الكريمة أنه لاينبغي لأهل مكة الذين أشركوا بالله تعالى وكذبوا الرسول صلى الله عليه وسلم وآذوه وآذوا أصحابه سرا وعلانية، لاينبغي لهم أن يأمنوا خسف الله بهم الأرض، أو إتيان العذاب إليهم بغتة أو إتيانه إليهم وهم يتخوفونه و يتوقعون مجيئه، أو إتيانه إليهم وهم يتقلبون في البلاد، فليسوا بمعجز ين الله أن ينزل بهم أي نوع من أنواع العذاب في أي وقت يشاء، وعلى أي حال يكونون.

ومن رحمة الله تعالى ورأفته بهم أنه لم يجعل لهم العذاب مع استحقاقهم كل عذاب.

وقد أفاد هذا الاستفهام: **(أفأمن الذين مكروا السيئات)** الوارد في الآيات السابقة: أفا الإنكار والتوبيخ والتعجيب والتهديد والوعيد.

أفاد الإنكار بمعنى لاينبغي لأهل مكة وقد أشركوا بالله تعالى وكذبوا رسوله صلى الله عليه وسلم، وآذوه وآذوا أصحابه، لاينبغي لهم أن يأمنوا خسف الله بهم الأرض، أو إتيان العذاب إليهم على حين غرة أو على تخوف وتوقع أو مسافر ين في البلاد.

وأفاد هذا الاستفهام أيضا توبيخ الله تعالى لهم على أن يأمنوا عذاب

الله تعالى وقد أشركوا به وكذبوا رسوله صلى الله عليه وسلم وآذوه وآذوا أصحابه المؤمنين.

وأفاد أيضا التعجيب من هذا الأمن الذي فقد دواعيه وأسبابه.

ومع إفادة هذا الاستفهام الإنكار والتوبيخ والتعجيب أفاد تهديد الله سبحانه وتعالى إياهم وتوعدهم بإنزال العذاب بهم عقابا على هذا الإشراك والتكذيب والإيذاء.

هذا، وكلمة (السيئات) الواردة في هذا الاستفهام يجوز أن تكون مفعولا به لمكروا على تضمينه معنى فعلوا وعملوا، ويجوز أن تكون صفة لمصدر محذوف، والتقدير: مكروا المكرات السيئات.

والمصدر المؤول من (أن يخسف) في محل نصب مفعول به لأمن.

الموضـــع السادس

الموضع السادس من مواضع همزة الاستفهام الداخلة على الفعل الماضي (أمن) ورد في قوله تعالى:

رَّبُّكُمُ ٱلَّذِى يُزْجِى لَكُمُ ٱلْفُلْكَ
فِى ٱلْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٦٦﴾
وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ
إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾ أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ
بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ
وَكِيلًا ﴿٦٨﴾ أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ
عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ ٱلرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ۙ ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟
لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِۦ تَبِيعًا ﴿٦٩﴾

الآيات: (٦٦ ــ ٦٩) من سورة الاسراء.

تتضمن هذه الآيات الكريمة :

أن ربكم أيها المشركون هو الذي يجرى لكم الفلك في البحر تحملكم إلى أماكن شتى تبتغون فيها الرزق وتلتمسون فيها الربح من فضله، إنه كان بكم رحيما حيث هيأ لكم ماتحتاجون إليه و يسّر لكم الأسباب.

وإذا ما اضطرب الموج كالجبال، وبلغت القلوب الحناجر من الخوف، وأوشك البحر أن يبتلع الفلك، غاب عن بالكم آلهتكم وأصنامكم التي كنتم تعبدونها من دون الله، ولم تجدوا مغيثا يغيثكم من ضركم هذا غير الله، لاعتقادكم أنه لايكشف الضر غيره.

فلما أنجاكم إلى البر عدتم إلى ماكنتم عليه من شرك وعبادة أصنام، ولم تشكروا لله نعمة النجاة فتخلصوا له العبادة، وهذا هو الإنسان كان ولايزال بنعمة الله كفورا.

لاينبغي لكم أيها المشركون أن تظنوا وقد أنجاكم الله من غرق البحر أنكم أفلتم من عذابه، فالله سبحانه وتعالى قادر على كل شيء، قادر على أن يخسف بكم جانب البر فإذا أنتم أموات في جوف الأرض من فوقكم صخور وتراب، وقادر على أن يرسل من السماء ريحا تحصبكم بحجارة، فلا تبقى منكم أحدا، قادر على أن يعذبكم بما يشاء دون أن تجدوا ناصرا ينصركم من دونه وحافظا يحفظكم من عذابه.

وكذلك لاينبغى لكم ـ وقد كفرتم بنعمة النجاة من البحر وعدتم إلى عبادة الأصنام، لاينبغى لكم أن تأمنوا أن يعيدكم في البحر تارة أخرى، فيرسل عليكم ريحا تقصف الفلك الذي أنتم فيه، ويجعلكم من المغرقين، دون أن تجدوا لكم ناصرا يحول بينكم وبين الغرق، أو تابعا يسأل الله تعالى تبعة هذا الإغراق.

وقد جاء استفهام (**أفأمنتم أن يخسف بكم جانب البر أو يرسل عليكم حاصبا ثم لاتجدوا لكم وكيلا**) جاء مفيدا الإنكار والتوبيخ والتعجيب والتهديد والوعيد:

مفيدا الإنكار بمعنى لاينبغي لكم أيها المشركون، وقد عدتم إلى الإشراك بالله تعالى وعبادة الأصنام وكفرتم بنعمة الله عليكم إذ نجاكم من البحر،

لاينبغي لكم بعد هذا أن تأمنوا أن يخسف الله بكم الأرض، أو أن يرسل عليكم ريحا حاصبا ترجمكم فلا تبقى على أحد منكم أبدا.

ومفيدا توبيخهم على هذا الأمن من عذاب الله والتعجيب من هذا الأمن مع كفرانهم نعمة النجاة من البحر وعودتهم إلى عبادة الأصنام، وإعراضهم عن عبادة الله الذي أغاثهم ولايجدون مغيثا سواه.

ومفيدا التهديد والوعيد بأن يخسف الله بهم الأرض من تحتهم، أو أن يرسل عليهم من فوقهم ريحا حاصبا فلا تبقى ولا تذر، إذا مااستمروا على أصنامهم عاكفين.

والفاء في (أفأمنتم) عاطفة على ماقبل همزة الاستفهام، وهذا هو رأى سيبويه والجمهور، وذهب الزمخشري إلى أنها عاطفة على فعل مقدر بعد الهمزة، وتقدير الكلام عنده: أنجوتم فأمنتم. والمصدر المؤول من (أن يخسف) في محل نصب مفعول به لأمنتم، و(جانب) مفعول به ليخسف.

الموضع السابع

الموضع السابع من مواضع همزة الاستفهام الداخلة على الفعل الماضي (أمن) ورد في قوله تعالى:

هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ
الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ
﴿١٥﴾ ءَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ
تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا
فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ
كَانَ نَكِيرِ ﴿١٨﴾

الآيات: (١٥ ـــ ١٨) من سورة الملك.

تتضمن هذه الآيات الكريمة :

أن الله عزّ وجلّ هو الذي خلق لعباده هذه الأرض وجعلها سهلة طيّعة لاتعيا على الانتفاع بما فيها من خيرات وأرزاق ونعم.

وقد أمر الله عباده بالسير في أرجائها طلبا للرزق الذي أعدّه لهم، وسعيا وراء الكسب مما أنعم به عليهم، وأخبرهم بأنهم سوف يرجعون إليه يوم القيامة ليجزي الشاكرين المؤمنين جزاء كريما، ويعاقب الكافرين المشركين عقابا أليما.

وقد هدّد الله تعالى المشركين بأن يخسف بهم الأرض فإذا هي من فوقهم تضطرب وتمور، أو أن يرسل عليهم ريحا ترميهم بحجارة فلا تبقى على أحد، سوف يعلمون العواقب المفزعة المروّعة لإنذار الله تعالى إياهم في قرآنه الكريم، وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم.

ثم إن هؤلاء المكذبين من قريش ليسوا بأول من كذب، فقد كذب الرسل من قبلهم أمم كثيرة كعاد وثمود وقوم لوط، فكان إنكار الله عليهم عذابا مدمّراً لم يبق منه باقية.

وقد جاء استفهام **(أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض فاذا هي تمور)** جاء مفيدا الإنكار والتوبيخ والتعجيب والتهديد والوعيد.

مفيدا الإنكار بمعنى لاينبغى لكم أيها المشركون وقد كفرتم بالله وأشركتم به وعبدتم الأصنام من دونه، لاينبغى لكم أن تأمنوا أن يخسف الله بكم الأرض بغتة فتموج بكم وتمور وتصبحوا في جوفها من الهالكين.

ومفيدا توبيخهم على أن يأمنوا عذاب الله، ومفيدا التعجيب من هذا الأمن، مع أنهم أحقاء أن لايأمنوا لأنهم يشركون بالله ويعرضون عن عبادته وهو الذي خلق هذه الأرض وذلّلها لهم، وجعلهم قادرين على أن يمشوا في مناكبها يكسبون من رزقه ويأكلون من فضله.

ومفيدا تهديدهم ووعيدهم بأن الله الذي خلق هذه الأرض وجعلها أرض رزق وكسب وأمن ومتاع ودعة قادر على أن يجعلها أرض نقمة وعذاب فيدمرهم من فوقها لمع البرق، أو يغيبهم في جوفها لمح البصر، فليتقوا عذاب الله وليحذروا عقابه.

هـذا، و(مَـنْ) الـواقـعـة بـعـد أمنتم اسم موصول في محل نصب مفعول به لأمـنتم، والمـراد بـه هـو الله سبحانه وتعالى، والمصدر المؤول من (أن يخسف) فـي محـل نـصـب بدل اشتمال من (مَنْ)، ويجوز أن يكون هذا المصدر المؤول في محل جر ب (مِنْ) مقدرة، أو في محل نصب على نزع الخافض.

٣ ـ آمن

أما الفعل الثالث من الأفعال الماضية التي دخلت عليها همزة الاستفهام في القرآن الكريم فهو (آمن)، وقد ورد ذلك في ثلاثة مواضع:

الموضع الأول

الموضع الأول من مواضع همزة الاستفهام الداخلة على الفعل الماضي (آمن) ورد في قوله تعالى:

ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ
فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٠٣﴾
وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرْعَوْنُ إِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾
حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ قَدْ جِئْتُكُم
بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِىَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٠٥﴾ قَالَ إِن كُنتَ
جِئْتَ بِـَٔايَةٍ فَأْتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٠٦﴾ فَأَلْقَىٰ
عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ
لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٠٨﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ
عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ ۖ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿١١٠﴾
قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿١١١﴾ يَأْتُوكَ
بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿١١٢﴾ وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوٓا۟ إِنَّ
لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ
لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿١١٤﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن

تَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ ﴿١١٥﴾ قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا
أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾
۞ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا
يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾ فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُوا
هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَاغِرِينَ ﴿١١٩﴾ وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ ﴿١٢٠﴾
قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿١٢٢﴾ قَالَ
فِرْعَوْنُ آمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَكَرْتُمُوهُ
فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١٢٣﴾ لَأُقَطِّعَنَّ
أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٢٤﴾
قَالُوا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا تَنْقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا
بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ

الآيات: (١٠٣ ــ ١٢٦) من سورة الأعراف.

تتضمن هذه الآيات الكريمة أن الله سبحانه وتعالى قد بعث رسله نوحا وهودا وصالحا ولوطا وشعيبا إلى أقوامهم، ثم بعث من بعدهم موسى ومعه آيات الله الدالة على أنه رسول من رب العالمين، بعثه الله تعالى إلى فرعون مصر حين ذاك وإلى قومه وأشراف قومه وإلى بني إسرائيل الذين كانوا تحت حكمه، وقد خُصّ فرعون وملؤه بالذكر لأنهم أصحاب الحل والعقد وتصريف الأمور وتدبير شؤون الناس.

ثم كان من فرعون وملئه أن كذبوا موسى وكفروا بالآيات الدالات على صدقه، فظلموا أنفسهم إذ لم يؤمنوا بها، وسعوا في الأرض فسادا إذ منعوا الناس من الإيمان، فكانت عاقبة أمرهم أن أغرقهم الله في اليم، وجعلهم عبرة لمن يعتبر، وعظة لمن يتدبر و يفكر.

أما تفصيل ماوقع بين موسى وفرعون فقد جاء موسى فرعون وقال: يافرعون، إني رسول من رب العالمين، وحقٌّ الله عليّ أن لا أقول إلا الحق، وقد جئتكم ببينة من ربكم شاهدة على أني رسول، فأذن لبني إسرائيل أن يخرجوا معي لأهديهم إلى دين رب العالمين، ولأرشدهم إلى أنه لا إله إلا الله لاشريك له وأن ألوهية غيره باطلة، وأن عبادة غيره ضلال.

قال فرعون مستخفًّا زاريا: إن كنت صادقا فيا تقول وتزعم فأت بتلك الآية التي تبين دعواك وتثبت صدق رسالتك.

وبلا ريث وفي مثل لمح البرق ألقى موسى عصاه، فإذا هي ثعبان مبين، لاشك في ثعبانيته ولاريب في حيوانيته، ونزع يده السمراء من جيبه، فإذا هي بيضاء ذات شعاع للناظرين.

بهت فرعون وملؤه، وغشيهم صمت وذهول، فقد فجأهم موسى بما لم يكن ليخطر لهم على بال أو يدور في خيال، وزلزل عرش فرعون، وزلزلت مناصب الذين من حوله، وألقي الرعب في قلوبهم جميعا.

وسرعان ما أفاق فرعون وملؤه وأشراف قومه مما أصابهم من هول وذهول، وأحسّوا بخطر موسى الداهم، وأخذوا جميعا يتبادلون الرأي والمشورة: ماذا نصنع بموسى! وكيف ندرأ خطره، ونحول بينه وبين الناس الذين لو رأوا منه مارأينا لافتتنوا به وصدقوه واتبعوه، ولأخرجونا نحن وأنت يافرعون من هذه الأرض؟!

واستقر رأيهم آخر الأمر على أن موسى ساحر عليم، وأن الحديد بالحديد يفلح، ولايدفع سحره إلا سحر مثله أو سحر أعظم منه، وأشاروا على فرعون أن لايدع موسى يفلت من بين يديه، وأن يحول بينه وبين الناس، وأن يجمع له كل سحّار عليم، وأن يعقد بينه وبين السحرة مباراة سحرية على مرأى ومسمع من جموع الناس، ليتبين لهم أن موسى ساحر، وأنه ليس برسول كما يقول ويزعم.

ويرسل فرعون في المدائن حاشرين ليأتوه بكل سحّار عليم، ويتفق موسى وفرعون على اليوم والمكان اللذين ستقوم فيهما المباراة بين موسى والساحرين.

وفي اليوم الموعود والمكان المحدود تجتمع حشود الناس من كل صوب وحدب، ويحضر فرعون وملؤه، و يقف السحرة صفوفا منظمة متراصة في جانب، و يقف في الجانب المقابل موسى وحده رابط الجأش رافع الرأس منتظم الأنفاس.

وقبل أن تبدأ المباراة يقول سحرة فرعون لفرعون وهو أشد مايكون حاجة إليهم، يقولون ليطمئنوا إلى أنهم ليسوا عبيدا مسخرين في هذه المباراة: أإن لنا لأجرا إن كنا نحن الغالبين؟

و يراها فرعون فرصة مواتية ليشدّ من أزرهم فلا يألوا جهدا في السحر، ولايدخروا وسعا في المباراة، فيقول: نعم، إن لكم لأجرا، وإنكم لمن المقربين، وسوف يكون لكم عندى حظوة عظيمة ومقام كريم.

و يلتفت السحرة إلى موسى وأعطافهم تهتز عجبا ومخيلة مما أسمعهم فرعون ومنّاهم، و يقولون: إما أن تلقى عصاك وتظهر سحرك أول، وإما أن نكون أول من ألقى.

أعطوا خيار البدء لموسى ثقة منهم بالنصر على كل حال، وليبينوا لفرعون وللناس أنهم أعز وأقوى.

ولكن موسى كان يرى أن الأمور بخواتمها، فاختار أن يكونوا هم البادئين، قال: ألقو أنتم. فألقوا حبالهم وعصيهم، فسحروا أعين الناس، وألقوا في قلوبهم الرعب، وخيلوا إليهم أن حبالهم وعصيهم أفاع تضطرب وتسعى.

وأوحى الله تعالى إلى موسى أن يلقي عصاه فالقاها، فإذا هي حية تزدرد كل ماأتى به سحرة فرعون واسترهبوا به الناس فلم تبق منه شيئا.

ظهر الحق و بطل سحر الساحرين، وتبيّن للناس المشاهدين أن السحرة قد غُلبوا وأصبحوا أذلة صاغرين، وأيقن السحرة أن عصا موسى آية صادقة من آيات الله، وأنها ليست من السحر في شيء، فلم يتمالكوا أن خرّوا لله ساجدين، يقولون آمنا برب العالمين رب موسى وهارون.

أما فرعون وملؤه فقد بهتوا بما آلت إليه هذه المباراة، وفجأهم سجود السحرة مؤمنين بموسى وهارون ورب موسى وهارون.

قال فرعون ينكر و يوبخ : أآمنتم به قبل أن آذن لكم؟!

قال هذا كأنما هم لايزالون مسخرين بأمره، وكأنما الإيمان يحتاج إلى استئذان.

ثم قال ليصدّ الناس عن الإيمان بموسى وقد ظهر لهم أن عصاه آية من آيات الله، وليبين أن السحرة ماغلبوا عن ضعف، وأن موسى لم ينتصر عن صدق وحق، وأن ماآلت إليه هذه المباراة كان أمرا دبّر في ليل، ومكرا اتفق عليه السحرة وموسى من قبل.

قال للسحرة : إن هذا الغلب الذي أعطيتموه موسى، وإن هذا الانتصار الذي منحتموه عصاه، كان مكرا مكرتموه في المدينة من قبل أن تقوم هذه المباراة.

ثم قال يثير العصبية القومية لدى الأقباط، وليضرم نار الحقد والكراهية لبني إسرائيل : ولقد أردتم بمكركم هذا أن تخرجوا أهل هذه البلاد من أوطانهم، وأن تجعلوها ملكا خالصا لبني إسرائيل وموسى وهارون.

ثم ختم قوله بما يثير الرعب والفزع في قلوب السحرة لعلهم عن إيمانهم يرجعون، وليقطع الطريق على من خامر قلبه التصديق بموسى وعصاه، قال : لأقطّعنَّ أيها السحرة أيديكم وأرجلكم من خلاف، ثم لأصلبنكم في جذوع النخل أجمعين.

قال فرعون ماقال، وماكان يدرى أن السحرة بإيمانهم هذا قد انتقلوا إلى دنيا غير دنياه، وإلى عالم آخر لايدركه ولايتذوقه ولايستطيع أن يراه.

قالوا يافرعون إنا إلى ربنا راجعون، لسنا براجعين إليك، وليس مصيرنا بين يديك، فالله ربنا هو الذي يحكم بيننا، وعنده الجزاء الحق، وهو أرحم الراحمين، وماهذه النقمة التي امتلأ بها صدرك، وهذا الحقد الذي انطلق به لسانك، إلا لأننا آمنا بآيات ربنا ورسله، وكنا بطاعتك وربوبيتك كافرين.

وبهذا انتهت المباراة السحرية بين موسى وسحرة فرعون، على أن قصة موسى وفرعون لم تنته بعد، وسيأتي ماتبقى منها عند الحديث عن همزة الاستفهام الداخلة على المضارع في قوله تعالى : **(وقال الملأ من قوم فرعون أتذر موسى وقومه ليفسدوا في الأرض)** ... الآية(١٢٧) من سورة الأعراف.

هذا، ومن القراء السبعة من قرأ (**قال فرعون آمنتم به قبل أن آذن لكم**) بدون همزة استفهام في (آمنتم)، وعلى هذه القراءة يحتمل أن تكون (آمنتم) إخباراً محضا، ويحتمل أن تكون استفهاما على تقدير الهمزة لدلالة السياق عليها.

ومن القراء من قرأ (أآمنتم) بهمزة استفهام صريحة.

وسواء أكانت همزة الاستفهام صريحة أم مقدرة، فقد أفاد هذا الاستفهام الإنكار والتوبيخ والتهديد والوعيد.

أنكر فرعون على السحرة أن يؤمنوا برب العالمين قبل أن يأذن لهم بهذا الإيمان، فقد كان ذلك في رأي فرعون عصيانا وخروجا على طاعته، ومما لاينبغي أن يكون.

ووبخهم على ذلك الإيمان الذي أطاح بربوبيته أمام الناس، وحطم سلطانه وكبرياءه، وتحداه جهارا وعلانية دون مبالاة به وبعقابه.

وهددهم وأوعدهم بتقطيع أيديهم وأرجلهم من خلاف، ثم تصليبهم في جذوع النخل أجمعين.

وقبل أن أنتقل إلى الموضع الثاني من مواضع هذا الاستفهام أود أن أنبه على الأمور التالية :

١ ــ الفعل الذي دخلت عليه همزة الاستفهام وهو (آمن) فعل ماض أصله (أأمن) على وزن أفعل وأكرم، فالهمزة الأولى زائدة والهمزة الثانية أصلية هي فاء الكلمة، وإذا اجتمع همزتان في أول الكلمة وكانت الثانية ساكنة قلبت الثانية من جنس حركة ماقبلها، وعلى هذا قلبت الثانية هنا ألفا لتجانس الفتحة قبلها، فصار الفعل آمن.

٢ ــ و(آذن) في قوله (**قبل أن آذن لكم**) فعل مضارع على وزن أفعل وأعلم منصوب بأن، وأصل (آذن) (أأذن) بهمزتين : الأولى همزة المضارعة للمتكلم، والثانية أصلية هي فاء الكلمة، وبناء على القاعدة السابقة قلبت الهمزة الثانية الساكنة ألفا لتجانس الفتحة قبلها.

٣ ــ و(من خلاف) في قوله (**لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف**) جار ومجرور في محل نصب على الحال من أيديكم وأرجلكم،

ومعنى (من خلاف) أن تقطع اليد اليمنى مع الرجل اليسرى، أو اليد اليسرى مع الرجل اليمنى، ليبقى من فعل به ذلك متمكنا من المشي وهو يتوكأ على عصا من جهة الرجل المقطوعة.

الموضـــع الثاني

الموضع الثاني من مواضع همزة الاستفهام الداخلة على الفعل الماضي (آمن) قد ورد في قوله تعالى :

قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ
لَكُمْ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ
وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ
أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴿٧١﴾

الآية (٧١) من سورة طه.

الموضع الثالث

الموضع الثالث من مواضع همزة الاستفهام الداخلة على الفعل الماضي (آمن) قد ورد في قوله تعالى:

قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُۥ
لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ
وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٩﴾

الآية (٤٩) من سورة الشعراء.

الموضع الأول

وقد تقدم أن الموضع الأول من مواضع همزة الاستفهام الداخلة على الفعل الماضي (آمن) قد ورد في قوله تعالى: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِى ٱلْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا۟ مِنْهَآ أَهْلَهَا ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١٢٣﴾ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٢٤﴾﴾

الآيتان: (١٢٣ — ١٢٤) من سورة الأعراف.

وإذا أنعمنا النظر في المواضع الثلاثة المتقدمة وجدنا أن القائل لهذا الاستفهام: (ءآمنتم به قبل أن آذن لكم) هو فرعون، وأن المخاطب فيها بهذا الاستفهام هم سحرة فرعون الذين آمنوا برب موسى وهارون بعد أن تبين لهم أن عصا موسى التي ألقاها أمامهم فإذا حية تسعى — لم تكن سحرا من سحرهم الذي يعلمون، وإنما هي معجزة من عند الله رب العالمين.

ولما كانت الآيات المشتملة على الموضع الأول الواردة في سورة الأعراف، والآيات المشتملة على الموضع الثاني الواردة في سورة طه، والآيات المشتملة على الموضع الثالث الواردة في سورة الشعراء، لما كانت هذه الآيات في هذه المواضع الثلاثة تكاد تكون واحدة في معانيها الرئيسة اكتفيت بذكر الآيات المشتملة على الموضع الأول الواردة في سورة الأعراف، ولم أذكر الآيات المشتملة على الموضع الثاني في سورة طه ولم أذكر الآيات المشتملة على الموضع الثالث الواردة في سورة الشعراء.

على أن القصص القرآنية من حيث البلاغة والعبرة والأسلوب لايغني بعضها عن بعض مهما تكررت وأعيدت وجاءت مفصلة حينا، وموجزة حينا، وحينا بين بين.

وإنك لتحس وأنت تقرؤها على رغم تكرارها أنها جديدة في كل مرة كأن لم تقرأها من قبل، وهذا سر من أسرار البلاغة القرآنية.

والقول الذي تقدم عن الاستفهام في الموضع الأول من هذه المواضع الثلاثة يقال أيضا عن الاستفهام في الموضع الثاني وعن الاستفهام في الموضع الثالث، فلا حاجة إلى الإعادة والتكرار.

٤ ــ بشّــر

أما الفعل الرابع من الأفعال الماضية التي دخلت عليها همزة الاستفهام في القرآن الكريم فهو (بشّر)، وقد ورد في موضع واحد، في قوله تعالى:

وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٥١﴾

إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَـٰمًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟

لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَـٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٥٣﴾ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِى عَلَىٰٓ أَن

مَّسَّنِىَ ٱلْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴿٥٤﴾ قَالُوا۟ بَشَّرْنَـٰكَ بِٱلْحَقِّ

فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْقَـٰنِطِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ

رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴿٥٦﴾

الآيات: (٥١ ــ ٥٦) من سورة الحجر.

تتضمن هذه الآيات الكريمة أن الله سبحانه وتعالى قد أمر نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم أن يخبر عباد الله خبر الملائكة الذين نزلوا ضيوفا على ابراهيم عليه السلام، إذ دخلوا عليه فقالوا سلاما، قال سلام، إنا منكم خائفون، قالوا لاتخف، إنا نبشرك بغلام سيكون على جانب من العلم عظيم، قال ابراهيم ــ وقد فوجىء بهذه البشارة التي لم يكن يتوقع، وما كانت لتخطر له على بال ــ أتبشرونني بغلام وقد مسّني الكبر وغشيتني غواشي الشيخوخة، وأصبحت امرأتي عجوزا عاقرا؟!! فما هذا الذي تبشرونني به أيها الأضياف؟!!

قالوا بشرناك بالحق الذي لامرية فيه ولاشك في إتيانه، فلاتكن من اليائسين من رحمة رب العالمين.

قال ابراهيم ــ وقد أفاق من ذهول المفاجأة السارة ومن فرحة البشارة الغامرة، وأدرك أن الأمر من عند الله ــ قال: ومن ذا الذي يقنط من رحمة الله؟! إنه لايقنط من رحمة الله إلا القوم الضالون.

هذا، وقد أفاد استفهام : (**أبشرتموني على أن مسّني الكبر**) أفاد الإنكار بمعنى ماكان ينبغى، وأفاد الاستبعاد والتعجب، فقد أنكر ابراهيم عليه السلام في بداية الأمر هذه البشارة التي بُشّر بها، واستبعدها، وتعجب منها، لأنه كان قد تقدمت به السن وأصابته الشيخوخة، وأصبحت امرأته عجوزا عاقرا جاوزت الفترة التي تحمل فيها النساء عادة وتضع، لقد أنكر واستبعد وتعجب لأن ذلك ممالم تجر به العادة، ولم يك مألوفا لدى الناس.

وفي قوله (**على أن مسّني الكبر**) : (على) حرف جر و(أنْ) مصدرية تؤول هي والفعل الذي بعدها بمصدر، وهذا المصدر في محل جر بعلى، و(على) ومجرورها في محل نصب على الحال من ياء المتكلم في (**أبشرتموني**) و(على) بمعنى مع، أى أبشرتموني مع مسّ الكبر إياي.

٥ ـ بعث

أما الفعل الخامس من الأفعال الماضية التي دخلت عليها همزة الاستفهام في القرآن الكريم فهو (بعث)، وقد ورد في موضع واحد في قوله تعالى:

وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟ إِذْ جَآءَهُمُ
ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٤﴾ قُل لَّوْ كَانَ
فِى ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم
مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا ﴿٩٥﴾

الآيتان: (٩٤ ـ ٩٥) من سورة الإسراء.

تتضمن الآية الأولى من هاتين الآيتين الكريمتين أن المشركين من قريش لم يمنعهم أن يؤمنوا بالقرآن وبنبوة محمد صلى الله عليه وسلم بعد نزول الوحي وظهور الحق إلا شبهة تلجلجت في صدورهم وهي إنكارهم أن يبعث الله إلى الناس رسولا يكون من البشر لا من الملائكة.

وقد جاء الرد على هذه الشبهة في الآية الثانية، فقد تضمنت: لو كان في الأرض ملائكة يمشون على أقدامهم كما يمشي الإنس ساكنين فيها مطمئنين لبعث الله إليهم رسولا يكون من الملائكة، فلا بد من التجانس والتناسب بين الرسول ومن يرسل إليهم، كي يتأتى أن يفهموا عنه وأن يبلغهم ماأرسل به، فالملك لايبعث إلا إلى ملائكة، وأما البشر فلا يبعث إليهم إلا بشر.

هذا، وقد أفادت همزة الاستفهام في (**أبعث الله بشرا رسولا**) أفادت الإنكار والتعجب، فقد أنكر الكافرون وتعجبوا أن يبعث الله إلى البشر رسولا يكون بشرا مثلهم، وماكان ينبغي (على زعمهم)، وإنه لأمر عجيب عندهم أن يبعث الله إليهم بشرا رسولا.

وفي قوله تعالى: (**أبعث الله بشرا رسولا**) جعل بعض المفسرين (رسولا) مفعولا به، و(بشرا) حالا منه، على قاعدة أن نعت النكرة إذا قدم عليها ينصب حالا.

وذهب بعضهم إلى أن (بشرا) هو المفعوله به، وأن (رسولا) نعت له.

٦ ـ جـاء

أما الفعل السادس من الأفعال الماضية التي دخلت عليها همزة الاستفهام في القرآن الكريم فهو (جاء) وقد ورد في خمسة مواضع:

الموضع الأول

الموضع الأول من مواضع همزة الاستفهام الداخلة على الفعل الماضي (جاء) ورد في قوله تعالى:

۞ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ
هُودًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ أَفَلَا تَتَّقُونَ
﴿٦٥﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى
سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦٦﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ
لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٧﴾
أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾ أَوَعَجِبْتُمْ
أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ
وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ
فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ
﴿٦٩﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ
يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ
﴿٧٠﴾ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ

أَتُجَٰدِلُونَنِي فِيٓ أَسۡمَآءٖ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم
مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٖۚ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ
ٱلۡمُنتَظِرِينَ  فَأَنجَيۡنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا
وَقَطَعۡنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۖ وَمَا كَانُواْ مُؤۡمِنِينَ
٧٢

الآيات: (٦٥ ــ ٧٢) من سورة الأعراف.

تتضمن هذه الآيات الكريمة أن الله سبحانه وتعالى قد أرسل إلى قوم عاد واحدا منهم يعرفون صدقه وأمانته وشرف نسبه، أرسل إليهم هودا عليه السلام.

قال: ياقوم اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئا، فإنه ليس لكم من إله غيره، واتقوا الله واحذروا أن يحل بكم عقابه كما حل بقوم نوح من قبل.

قال أشراف قومه الذين أنكروا وحدانية الله تعالى وكذبوه رسولا إليهم: إنا لنراك ياهود في ضلالة عن الحق وبعد عن الصواب بتركك ديننا وإنكارك آلهتنا ودعوتك إيانا أن نعبد الله وحده وننبذ الأصنام، وإنا لنظنك كاذبا في قولك إني رسول رب العالمين.

قال: ياقوم ليس بي ضلالة عن الحق ولا بعد عن الصواب، ولكني رسول من رب العالمين، أبلغكم رسالات ربي كما أمرني ربي أن أبلغكم إياها، وإني لناصح لكم إذ أدعوكم إلى عبادة الله وترك ماعداه، وإني لأمين فيما أبلغكم عن الله، فلا زيد ولانقص ولا تبديل، وماكان ينبغي لكم ياقوم أن تعجبوا من أن ينزل الله وحيه عليّ وأنا رجل من البشر مثلكم، كي أنذركم بأس الله وأحذركم من عقابه.

كان ينبغي لكم ياقوم أن تحمدوا الله أن بعث إليكم رجلا منكم يهديكم إلى الحق، وأن تذكروا نعمة الله عليكم إذ جعلكم خلفاء نوح في الأرض، وإذ خلقكم أطول منهم أجساما وأحسن قواما وأشد قوة، اذكروا نعم الله هذه واشكروه عليها بإخلاص العبادة له ونبذ ماعداه لعلكم تفلحون.

قال أشراف قومه منكرين موبخين مكذبين: أجئتنا ياهود لنعبد الله وحده وندع عبادة الأصنام والآلهة التي كان يعبدها آباؤنا؟!! إنا لن نتبعك على هذا ولن نؤمن بك، فأتنا بما تعدنا من العقاب والعذاب إن كنت من الصادقين فيما تقوله لنا وتهددنا به.

قال لهم هود : قد وقع عليكم من ربكم سخط وغضب، أتجادلونني في أصنام سميتموها آلهة أنتم وآباؤكم ماجعل الله لكم في عبادتكم إياها من حجة تحتجون بها ولا معذرة تعتذرون بها، انتظروا حكم الله فينا وفيكم، إني معكم من المنتظرين. وينجي الله هودا والذين معه، ينجيهم الله برحمة منه، ويهلك الذين كذبوا بآياته فلا يبقى منهم أحدا.

وقد جاء هذا الاستفهام : **(أجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ماكان يعبد آباؤنا)** جاء مفيدا الإنكار والتوبيخ والتعجب:

أفاد الإنكار بمعنى ماكان ينبغي لك ياهود أن تجيئنا تطلب منا عبادة الله وحده ونبذ عبادة أصنامنا والإعراض عن تلك الأصنام وأنت تعلم مبلغ تعظيمنا إياها ومدى حرصنا على التمسك بما ورثناه عن آبائنا وأجدادنا.

وأفاد التوبيخ توبيخ قوم هود ـــ لعنهم الله ـــ هودا عليه السلام على مجيئه إليهم داعيا إلى إفراده تعالى بالعبادة ونبذ الأصنام وعبادة الأصنام التي ورثوها عن آبائهم الضالين.

أنكروا عليه ذلك ووبخوه عليه وتعجبوا أن يجيئهم يطلب منهم عبادة الله وحده ونبذ عبادة الأصنام التي ورثوها عن آبائهم، إذ لم يكونوا يتوقعون منه ذلك.

ومما هو جدير بالملاحظة :

١ ـــ أن هودا عليه السلام كان في محاورته قومه هيّنا ليّنا رفيقا شفيقا، يناديهم بلسان عذب وقلب رطب: ياقوم أنا واحد منكم، حريص على مافيه خيركم وصلاحكم، أمين لا أقول لكم كذبا، وإنما أبلغكم مايأمرني به الله الذي أنعم عليكم بهذه النعم التي أنتم فيها، فأخلصوا له العبادة، وانبذوا هذه الأصنام، واحذروا عقاب الله إن لم تؤمنوا بي رسولا ولم تستجيبوا إلى ماأدعوكم إليه.

٢ ــ ولكن قوم هود ــ لعنهم الله ــ كانوا في محاورتهم هودا عليه السلام جفاة أجلافا غلاظ القلوب، لم يشفع له عندهم أنه كان شريف النسب حليا حكيا حصيفا لايفيل رأيه، مترفعا عن سفاسف الأمور، مبرأ من كل عيب ودنس.

٣ ــ قالوا له إنا لنراك في سفاهة، ولم يقولوا سفيها، لأنهم يريدون أنه غارق فيها وأنها تحيط به من كل جانب.

وقالوا وإنا لنظنك من الكاذبين ــ والظن هنا بمعنى العلم واليقين ــ ولم يقولوا وإنا لنظنك كاذبا، لأن (كاذبا) تصدق على من يكذب مرة واحدة، أما (من الكاذبين) فتعنى من الذين عرفوا بالكذب وأصبحوا مشهورين فيه، وصار الكذب ديْدناً لهم وعادة.

٤ ــ لم تستفزّ هودا عليه السلام سفاهة أقوالهم ولاخشونة ألفاظهم ولاتحديهم إياه بأن يأتيهم بالعذاب إن كان من الصادقين، لم يزد في نهاية الحوار على أن قال في هدوء وسكينة فانتظروا إني معكم من المنتظرين.

هذا، و(وحده) في (**أجئتنا لنعبد الله وحده**) منصوب على الحال من اسم الجلالة (الله) على التأويل باسم المفعول أى موحداً بالعبادة مُفْرَداً بها.

الموضــع الثاني

الموضع الثاني من مواضع همزة الاستفهام الداخلة على الفعل الماضى (جاء) ورد في قوله تعالى:

ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ
فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ بِهِۦ مِن قَبْلُ ۚ كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ
ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٧٤﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ إِلَىٰ
فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٧٥﴾
فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٦﴾

قَالَ مُوسَىٰٓ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمْۖ أَسِحْرٌ هَٰذَا وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ ﴿٧٨﴾

الآيات: (٧٥ ــ ٧٨) من سورة يونس.

تتضمن هذه الآيات الكريمة أن الله سبحانه وتعالى قد بعث من بعد الرسل الذين أرسلهم إلى أقوامهم بعد نوح ــ بعث موسى وهارون إلى فرعون وأشراف قومه بالآيات المعجزات الدالات على صدق مايدعوان إليه، ولكن فرعون وأشراف قومه استقبلوا دعوة موسى وهارون بالاحتقار والازدراء فقد كان موسى وهارون مثلهم من بني البشر، وكانا من بني إسرائيل المستعبدين لهم في مصر، فاستكبروا عن تصديقهما والإيمان بما يدعوان إليه، ولم يك هذا الاستكبار غريبا من فرعون وملئه، فقد كانوا قوما مجرمين اعتادوا الذنوب الجسام والآثام العظام.

وحين رأى موسى تكذيب فرعون وملئه له ولأخيه ألقى عصاه فإذا هي حية تسعى، ونزع يده من جيبه فإذا هي بيضاء من غير سوء، فبهت فرعون ومن كان في مجلسه من أشراف قومه، وأخذتهم الحيرة من كل جانب، واستولت عليهم دهشة ووجوم، ولكن عتوهم لم ينحطم، وكبرياءهم لم تنهزم، فما لبثوا أن قالوا: إن هذا لسحر مبين، فصاح موسى في وجوههم: ماهذا القول الذي تقولون؟! أتقولون لهذا الحق اليقين، وهذا الدليل المعجز المبين، أتقولون إنه لسحر مبين!! أهذا الذي ترونه بأعينكم دون تمويه، وتشاهدونه بأنفسكم دون خداع، أهذا سحر، وإن الساحر لايفلح حيث أتى، وإن السحر لايفوز أبدا؟!

وخشي فرعون وأشراف قومه أن يعلم الناس بحجة موسى ومعجزته، فيؤمنوا به ويتبعوه، وتضيع السلطة والسلطان من فرعون وملئه، فلجئوا إلى اتهامه بما ينفر الناس منه ويبعدهم عن اتباعه، وتلمسوا ما يسوّغ عنادهم وعتوهم وكفرهم بموسى وتكذيبهم إياه.

قالوا لقد جئتنا ياموسى لتصدنا عن دين آبائنا وأجدادنا الذي نشأنا فيه وشببنا عليه، و يكون لك ولأخيك العظمة والسلطان في أرضنا مصر، إنا لسنا بمؤمنين أنكما رسولان أرسلتما إلينا، إنا لسنا لكما بمؤمنين.

وقد أفاد هذا الاستفهام : (**أجئتنا لتلفتنا عما وجدنا عليه آباءنا وتكون لكما الكبرياء في الأرض**) أفاد الإنكار والتوبيخ والتعجب.

أفاد إنكار فرعون وأشراف قومه على موسى عليه السلام أن يجيئهم ليصرفهم عن عبادة غير الله إلى عبادة الله تعالى وحده، وليكونوا بهذا أتباعا له، وليكون (في زعمهم) له ولأخيه هارون الكبرياء والعظمة والسلطان عليهم وعلى أرضهم.

وأفاد توبيخ فرعون واشراف قومه موسى عليه السلام على أن يجيئهم ليخرجهم من دين ورثوه عن آبائهم وأجدادهم، وليكون (في زعمهم) له ولأخيه الهيمنة والسلطان على أرضهم.

وأفاد تعجب فرعون وملئه من أن يجيء موسى هذا المجيء وهو من قوم أذلاء مستعبدين يُذبَّح أبناؤهم وتستحيا نساؤهم، إنه لمجيء ما كان ليخطر لهم على بال.

الموضـــع الثالث

الموضع الثالث من مواضع همزة الاستفهام الداخلة على الفعل الماضي (جاء) ورد في قوله تعالى:

وَلَقَدْ أَرَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ﴿٥٦﴾ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٥٧﴾ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا سُوًى ﴿٥٨﴾ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى ﴿٥٩﴾ فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ ثُمَّ أَتَىٰ ﴿٦٠﴾ قَالَ لَهُم

مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ ۖ
وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ ﴿٦١﴾ فَتَنَٰزَعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا۟
ٱلنَّجْوَىٰ ﴿٦٢﴾ قَالُوٓا۟ إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم
مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ ﴿٦٣﴾ فَأَجْمِعُوا۟
كَيْدَكُمْ ثُمَّ ٱئْتُوا۟ صَفًّا ۚ وَقَدْ أَفْلَحَ ٱلْيَوْمَ مَنِ ٱسْتَعْلَىٰ ﴿٦٤﴾
قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ
بَلْ أَلْقُوا۟ ۖ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ
﴿٦٦﴾ فَأَوْجَسَ فِى نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ
أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِى يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓا۟ ۖ إِنَّمَا صَنَعُوا۟
كَيْدُ سَٰحِرٍ ۖ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾ فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا
قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ
لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ ۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ
وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ
أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴿٧١﴾ قَالُوا۟ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ
ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ
ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا
عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ ۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿٧٣﴾

الآيات : (٥٦ ــ ٧٣) من سورة طه.

تتضمن هذه الآيات الكريمة أن فرعون كذّب موسى عليه السلام وأبى أن يؤمن بآيات الله ومعجزاته، وقال في غطرسة وغضب : لقد جئتنا ياموسى بسحرك هذا تظن أنك تستطيع أن تخدع به هذه الأمة فيصدقوك و يتبعوك،

ويجعلوك ملكا عليهم، وتخرجني من أرض مصر وتكون لك ولأخيك الكبرياء فيها والسلطة والسلطان.

هيهات هيهات أن تخدعنا وتخدع الناس من حولنا وأكون أنا وهؤلاء الخيرة من قومي مخرجين من أرضنا مبعدين!!

ثم قال بلهجة المتكبر المتعالى يتحدى موسى في مباراة سحرية منّته نفسه الغلبة فيها: لنأتينك ياموسى بسحر مثل سحرك هذا، ولتعلمنّ أينا أعز وأقوى!! اجعل بيننا وبينك موعدا لانخلفه نحن ولاأنت، وليكنِ في مكان سواء نصف بين الناس لايتعيا على أحد الوصول إليه، وتكون المشاهد فيه واضحة أمام النظّارة.

وتغمر الفرحة قلب موسى وهو يقول لفرعون دون أن تصيب لسانه حُبسة عُهدت فيه ولكنة عرفت عنه: موعدنا يوم الزينة يافرعون يوم يحتشد الناس ضحى.

واختار موسى الموعد يوم العيد يوم يفرغ الناس من أعمالهم ويخلصون لأنفسهم ويحتشدون في الساحة الكبرى وسط المدينة في أبهى حُلل وأحلى حَلْي ينشدون المتع الجديدة، ويتلمسون المشاهد البديعة الفريدة، اختار موسى العيد ومكان الحشد ليشهد المباراة السحرية بينه وبين سحرة فرعون معظم الناس، فيروا كيف ينتصر الحق على الباطل، ويتبين لهم أنه من عند الله رسول، وأن دعوته حق وصدق، وأن لامأرب له في سلطة وسلطان.

واختار موسى من يوم العيد ضحاه، فنسمات الصباح لاتزال عليلة بليلة، وأشعة الشمس لاتزال هينة لينة، وهجيرى الظهيرة لاتزال في قيلولتها لم تستيقظ بعد، فالناس نشاط وعيون وآذان وترقب واستطلاع.

ماذا صنعت بنفسك يافرعون بعد أن حدّد موسى الموعد الذي طلبت والمكان الذي وصفت؟!

مضى فرعون لطيَّته، والملأ من حوله يشدون عضده ويشيرون عليه، ويبعث في المدائن الدانية والقاصية أن يأتوه بكل سحّار عليم.

وفي اليوم الموعود يوم الزينة والعيد، وشمس الضحى لايزال في أجفانها بقايا فتور ونعاس، وهي تنظر إلى مافوق الأرض إلى الساحة الكبرى وسط

مدينة فرعون، وقد غصّت بالجموع الغفيرة التي استيقظت هذا الصباح قبل أن تستيقظ شمسه، لتشهد الحرب السحرية التي ستدور بين سحرة فرعون وموسى، في ذلك اليوم وقف السحرة في وسط الساحة صفوفاً منظمة مرصوصة قد غرّتهم كثرتهم ورعاية فرعون لهم، ووقف موسى أمامهم وجها لوجه وحيدا، ولكنه رابط الجأش، رافع الرأس، واثق بنصر الله.

لم ينس موسى في هذا الموقف المهيب الرهيب أن ينذر و يعظ و يقول: أيها السحرة المجتمعون، لكم الويل والهلاك إن كذبتم على الله وافتريتم، إنه سوف يسحتكم بعذاب منه فلايبقى منكم باقية، الصدق الصدق فيا تقولون وتفعلون، إياكم والكذب والكيد والخداع، فما كان عاقبة الكذب إلا الخسار، ولا عاقبة الكيد والخداع إلا البوار.

لم تذهب هذه العظة المنذرة ضياعا وسدى، لقد وجدت آذانا صاغية وقلوبا واعية لدى قليل منهم، على حين جعلها الكثير دبر أذنبه وتحت قدميه، واختلفوا فيا بينهم وتنازعوا أمرهم، وأخذت الآراء تموج وتضطرب في أعماق هذا الخضم المائج بالسحر وأصحابه، وأخيرا غلبت الكثرة القلة، وظهر من يصيح بأعلى صوته و ينادي: إن موسى وهارون لساحران يريدان أن يخرجاكم من أرضكم و يفقداكم هذه الحياة الهنيئة التي لن تجدوا أفضل منها، وهذا النعيم المقيم الذي لن تجدوا خيرا منه، وأن يسلباكم المناصب العالية الرفيعة التي سوف يبوئكم إياها فرعون، وهذا الأمن والأمان والاستقرار.

لا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم، وأجمعوا كيدكم، لاتختلفوا فتضعفوا وتلاقوا الذل والهوان من فرعون وملئه، والاحتقار والازدراء من هذه الجموع المحتشدة التي جاءت تنظر ماذا تصنعون.

قفوا صفًا واحدا، وارموا عن قوس واحدة، فقد أفلح اليوم من طلب العلو وسعى له سعيه.

ثم صاحوا صيحة واحدة: ياموسى، إما أن تلقى وإما أن نكون أول من ألقى.

أعطوا موسى الخيار غرورا بأنفسهم واعتزازا بكثرتهم، وظنهم أن الغلبة

ستكون لهم على كل حال.

واختار موسى أن يكونوا أول من يلقى، لأن ذلك سيكون أكثر تبيانا لمعجزته، وأعمق تأثيرا في نفوس الناس، وأدعى إلى تصديقه واتباعه فيما يدعو إليه.

قال لهم موسى : ألقوا أنتم، فألقوا فإذا حبالهم وعصيهم يخيل إليه من سحرهم أنها أفاع حية تضطرب وتموج وتسعى، فأوجس موسى في نفسه خيفة، لم يخف موسى من هذه الأفاعى، لأنه كان يعلم أنها أفاع كاذبة خادعة، ولكنه خاف من شيء آخر، خاف أن يتساوى في نظر الناس انقلاب حبال سحرة فرعون وعصيهم أفاعي وهي كذب وخداع وانقلاب عصاه حية وهي حق وصدق، حينئذ لايظهر للناس انتصاره عليهم، بل ربما تظهر الغلبة لهم في أعين الناس، لكثرة أفاعيهم، وأنه ليس له إلا أفعى واحدة.

وماكاد هذا الخاطر المخيف يعلق بنفس موسى ويمرّ بباله حتى سمع قوله تعالى يطمئن نفسه و يؤكد له النصر والغلبة : (**لاتخف إنك أنت الأعلى وألق مافي يمينك تلقف ماصنعوا إنما صنعوا كيد ساحر ولايفلح الساحر حيث أتى**).

و بنفس مطمئنة واثقة بنصر الله كل الثقة يلقى موسى عصاه التي كانت بيمينه، فإذا هي حية حقا وصدقا تتلقف أفاعيهم الكاذبة الزائفة واحدة إثر أخرى حتى لم تبق منها باقية.

وهكذا تغيب عن الساحة الكبرى وعلى مشهد من فرعون وملئه، وعلى مشهد من تلك الآلاف المحتشدة، تغيب أفاعى السحر الكاذب، ويخيب كيد سحرة فرعون كما خاب كيد كل ساحر حيث أتى.

ترى ماذا فعل سحرة فرعون حين رأوا مارأوا، وماذا صنع فرعون وعناده وكبرياؤه؟! إن الناس لايزالون قياما في أماكنهم يتطلعون ماذا يفعل فرعون بعد أن هزم كل سحّار عليم، وماذا يفعل السحرة بعد أن خاب سحرهم وضاع كيدهم وماصنعوا.

أما السحرة فقد بهتتهم حية موسى وماصنعت، وأيقنوا ــ وهم أعلم

الناس بالسحر ـ أنها آية معجزة من عند الله شاهدة على صدق موسى وهارون، فخرّوا سجّداً لله تعالى مؤمنين قائلين آمنا برب موسى وهارون.

أما فرعون فكاد يتميز من الغيظ، ولكنه لم يتخل عن جبروته وكبره.

قال للسحرة : آآمنتم لموسى قبل أن آذن لكم؟! (متى كان الإيمان يحتاج إلى استئذان يافرعون؟!، أتراك آذنالهم لواستأذنوك؟! إنك لن تفعل).

ثم قال للسحرة : إنكم لم تؤمنوا لموسى إلا لأنه كبيركم الذي علمكم السحر، أتحتم له الفرصة كي ينتصر ويغلب، وماذاك إلا أمر دبّر في ليل ومكر مكرتموه في المدينة من قبل، لن أترككم بدون عقاب، لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف، ولأصلبنكم في جذوع النخل، ولاجعلنكم عبرة لكل من آمن إيمانكم، ولتعلمن أينا أشد عذابا وأبقى: أنا أم هذا الذي آمنتم به.

وبهذا الاتهام الكاذب الذي اتهم به فرعون السحرة المؤمنين، وبهذا العقاب المروّع الذي توعدهم به، بهذا وذاك استطاع فرعون أن يثنى عزم كثير من المشاهدين عن الإيمان برب موسى وهارون كما آمن سحرة فرعون.

وإذا كان فرعون قد نجح في صدّ كثير من الناس عن الإيمان باتهامه السحرة بالتآمر، وبتهديده المروّع بالتصليب في جذوع النخل وتقطيع الأيدي والأرجل، فإنه لم يدر مافعل الإيمان بأولئك السحرة المؤمنين.

قال السحرة المؤمنون يردّون على فرعون وماقاله فرعون، دون أن يكون له في نفوسهم هيبة، أو في قلوبهم رهبة، أو أن يتلجلج لسان او يتعثر بيان: قالوا: لقد كفرنا بك يافرعون إلى غير رجعة، ولقد رأينا من البينات ماجعلنا نؤمن بالله وحده لاشريك له، وإن أولئك السحرة الذين كنت تعدّهم عبيدا لك يرجون رضاك ويسألون قربك أصبحوا عبيدا لله الذي فطرهم، يسألونه أن يغفر لهم خطاياهم، ولاسيا خطيئة السحر الذي أكرهتنا عليه لإفساد دعوة موسى الصادقة الحقة، افعل يافرعون ماتريد، واقض ماأنت قاض، فلم يعد يهمنا فعلك وقضاؤك، فأنت وقضاؤك وظلمك إلى فناء في هذه الدنيا الفانية.

الذي يهمنا يافرعون هو الآخرة الباقية الخالدة، هو حكم الله العدل

وقضاؤه الحق فيها، فهو الحكم الذي يدوم ولاينقطع، والقضاء الذي لايزول ولايفنى، نسأله تعالى أن يغفر لنا خطايانا، وأن يعفو عن سيئاتنا، وأن يجعلنا من المقربين الأبرار.

وهكذا ينتهي ذلك اليوم المشهود.

هذا، وقد جاء استفهام (**أجئتنا لتخرجنا من أرضنا بسحرك ياموسى**) جاء مفيدا الإنكار والتوبيخ والتعجب.

مفيدا الإنكار بمعنى ماكان ينبغي لك ياموسى أن تجيئنا بهذا السحر مدعيا أنك رسول، لتخدعنا وتخدع هذه الأمة فيصدقوك و يتبعوك ويجعلوك ملكا عليهم فتنزع الملك مني وتخرجني أنا وقومي من هذه الأرض التي ورثناها عن آبائنا وأجدادنا.

ومفيدا توبيخ فرعون لموسى على هذا المجيء الذي كان يقصد به في زعم فرعون انتزاع الملك منه وإخراجه هو وقومه من أرض مصر.

ومفيدا تعجب فرعون من هذا المجيء الذي جاءه موسى وهو الذي قد تربى في قصره وليدا، ولبث في ذلك القصر من عمره سنين، ثم هو من شعب يعيش ذليلا في ظل حكومة فرعون.

الموضع الرابع

الموضع الرابع من مواضع همزة الاستفهام الداخلة على الفعل الماضي (جاء) قد ورد في قوله تعالى:

۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا
بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ
أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾
قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوٓا۟
أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ

وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ
٥٦ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ ٥٧
فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ
٥٨ قَالُوا۟ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٥٩
قَالُوا۟ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ٦٠ قَالُوا۟ فَأْتُوا۟ بِهِۦ
عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ٦١ قَالُوٓا۟ ءَأَنتَ فَعَلْتَ
هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ٦٢ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ
هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ ٦٣ فَرَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ
أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٦٤ ثُمَّ نُكِسُوا۟ عَلَىٰ
رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ٦٥ قَالَ
أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا
يَضُرُّكُمْ ٦٦ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَفَلَا
تَعْقِلُونَ ٦٧ قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ
فَٰعِلِينَ ٦٨ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ٦٩
وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ٧٠ وَنَجَّيْنَٰهُ
وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ ٧١

الآيات: (٥١ — ٧١) من سورة الأنبياء.

تتضمن هذه الآيات الكريمة أن الله سبحانه وتعالى قد آتى ابراهيم عليه السلام رشده فيما يقول ويفعل وفيما يأتي ويذر من قبل أن يؤتى موسى وهارون الفرقان وضياء وذكرا للمتقين.

لقد آتى الله جل وعلا إبراهيم ذلك الرشد العظيم على علم منه تعالى

بأن إبراهيم يستحق ذلك الرشد وأنه به قمين.

ولقد كان من ذلك الرشد أن قال ابراهيم لأبيه وقومه وهم مجتمعون في يوم عيد لهم أمام أصنامهم، قال لهم بلهجة العائب الزارى: ماهذه التماثيل التي تنحتها الأيدي و يصورها الصانعون، وأراكم لها عابدين وعليها عاكفين؟!

فما كان جواب قوم إبراهيم إلا أن قالوا: إنا وجدنا آباءنا لها عابدين، وإنا على آثارهم مقتدون.

ظن القوم أنهم قد أجابوا إبراهيم إجابة له فيها مقنع وسداد ورشاد، ولكن إبراهيم حين رأى أنهم لم يفطنوا إلى أنهم يعبدون أشياء لاتحس ولا تعقل، ولاتجلب نفعا ولا تدفع ضرا، جبههم بالحق وفجأهم بما لم يكن ليخطر لهم على بال، وقال: لقد كنتم أنتم وآباؤكم من قبل في ضلال مبين.

ماكان القوم يتوقعون أن يخرج إبراهيم على دين أبيه وقومه، وأن يطعن فيما أجمع عليه الناس من حوله، فأخذتهم الحيرة، واستولت عليهم الدهشة، وراحوا يسألونه على استبعاد وتعجب: أجئتنا ياإبراهيم بالحق والصدق أم أنت تمزح وتلعب ولا تعنى ماتقول؟!

قال إبراهيم: لست ممن يمزح و يلعب، ولقد جئتكم بالحق المبين الذي لامرية فيه ولاريب، لعلكم عن ضلالكم وضلال آبائكم ترجعون، فما هذه الأصنام التي تعبدونها آلهة، وأنى لها أن تكون آلهة وهي لا ترزق ولاتخلق ولا تقدر على شيء، فإلهكم إله واحد، هو الذي خلق السموات والأرض ومافيهن، وخلقكم وخلق آباءكم من قبل، فهو ربي وربكم ورب كل شيء، فاعبدوه وحده ولا تشركوا به شيئا، إن كل من رزق عقلا قويما وفطرة سليمة يشهد على ماأقول، وأنا على ماأقول من الشاهدين.

كان قوم إبراهيم عما قال ابراهيم في صمم، فلم يفقهوه ولم يأبهوا له، ومضوا مسرعين إلى باب معبدهم يريدون الخروج إلى أماكن لهوهم في العيد، لينالوا مااعتادوا أن ينالوا من لهو وعبث ومتع.

رأى ابراهيم قومه يتولون مدبرين عما دعاهم إليه، فلم يتمالك أن قال من غضب لدين الله، وغيظ من تلك التماثيل: تالله لأكيدن أصنامكم، قال

ذلك وقومه في زحمة الصراع والسباق على الخروج من المعبد، وفي ضجة التدافع وهمهمة المتدافعين، فلم يسمع قوله إلا الذين كانوا في مؤخرة القوم عازفين عن الإسراع أو عاجزين عن الصراع.

وألقى المعبد من كان فيه من عابديه وعاكفيه، ولم يبق فيه إلا إبراهيم وهذه التماثيل المنحوتة من حجر وخشب قد ملأت صدر المعبد وجناحيه، فمال عليها إبراهيم ضربا بفأس كانت بيمينه، يشدّ عضده إيمان قوي بالله، وشباب نما وترعرع على التوحيد وكراهية الشرك، وغيظ شديد من هذه الأصنام، وقسم مؤكد هو حريص على أن يبرّ به.

وسرعان ماأصبحت التماثيل كسراً مبعثرة وقطعا مُنثّرة.

وأبقى إبراهيم على كبير هذه التماثيل قائما في وسط المعبد تاركا فأسه معلقة في عنقه، أبقى عليه لأمر في نفسه، فقد كان يتوقع أن يعود القوم إلى المعبد ويسألوه عمن فعل بآلهتهم هذه مافعل.

وعاد القوم إلى المعبد فإذا تماثيلهم حطام وآلهتهم ركام، فأخذتهم الحمية حمية الجاهلية، وراحوا يتساءلون في سخط وغضب: من فعل هذا بآلهتنا، وخرج على ديننا ودين آبائنا، وكان من المعتدين الظالمين؟!

رأوا أصنامهم صارت حطاما، وتماثيلهم أمست مواطىء أقدام، رأوها لم تستطع أن تدفع عن نفسها ولا أن تمنع حماها، ومع ذلك ظلوا يزعمونها آلهة لهم، ويقولون من فعل هذا بآلهتنا، فياللجهل وياللغباء، ويا للقلوب المظلمة المغلقة!!

قال قائلون منهم حين سمعوا رؤساء قومهم يتساءلون عمن فعل هذا بآلهتهم، قالوا سمعنا فتى غَمْراً ليس بذى شهرة يقال له إبراهيم، سمعناه يذكر الآلهة بالسوء ويتهددها بالويل، وماكنا نظنه يفعل مايقول.

قال الرؤساء فأتوا به وقفوه نُصْب أعين الناس لعلهم يشهدون مانحن به فاعلون.

وسرعان ماجاءوا بإبراهيم، جاء يمشى ثابت الخطو رابط الجأش، وعلى وجهه حزم وعزم وثقة واعتزاز بالله، قد أعد العدة من قبل لهذا الموقف حين ترك كبير آلهتهم قائما وترك الفأس معلقة في عنقه لعلهم إليه يرجعون، وهاهم

أولاء إلى إبراهيم يرجعون.

قال رؤساء القوم على مشهد من الناس ومسمع: أأنت فعلت هذا بآلهتنا ياابراهيم؟ قال ابراهيم زارياً يتهكم: بل فعله كبيرهم هذا، فاسألوه واسألوا الآلهة من حوله، اسألوهم وسوف تقول لكم آلهتكم من فعل هذا إن كانت تسمع أو تعقل أو تقدر أن تقول.

بهت إبراهيم الناس بما قال، وردّت كلماته رؤساء القوم إلى أنفسهم، فقالوا بعضهم لبعض فيما بينهم: ماكان إبراهيم ظالما فيا قال وفعل، وإنا لنحن الظالمون في عبادتنا أصناما لا تسمع ولا تعقل ولا تقدر أن تقول، لم تستطع أن تدفع عن نفسها ولا أن تضر من آذاها، فما هي بصالحة أن تكون لنا آلهة.

لقد هزّت كلمات ابراهيم الفطر النائمة، وأزالت شيئا من غشاوة كانت على الأبصار، وأدخلت في قلوبهم الغلف شعاع نور وهداية، ولكن ذلك كان كالبرق الخاطف أضاء ثم توارى في ظلمات الليل.

وسرعان ماانقلبوا وعادوا إلى ضلالهم القديم، عادوا إلى التعصب للأصنام وعبادة الأصنام.

قالوا لإبراهيم لقد علمت أن آلهتنا لايسمعون ولاينطقون، فكيف تطلب منا أن نسألهم لنعرف من طوّح بهم وجعلهم فوق الأرض جذاذا.

وجد إبراهيم الفرصة مواتية ليرمي بسهمه المصمي، فصاح في وجوههم: ويلكم! كيف تعبدون من دون الله أخشابا وحجارة لا تضر ولا تنفع، هاهي ذى قد طُوّح بها وتُركت من فوق الأرض مواطىء أقدام، ولم تستطع أن تدفع عن حماها، ولا أن تضّر من آذاها، تبًا لعبادتكم ولأصنامكم، وأفّ لكم ولما تعبدون من دون الله، إنكم قوم لا تفقهون شيئا ولا تعقلون!!

ورأى الذين يتولون حوار إبراهيم وجداله أن إبراهيم قوي الحجة لايُغالب، شجاع لايُروّع، وأنه سوف يظل ينعى عليهم عبادة الأصنام، ويدعو إلى عبادة الله وحده، وأنه سيجد ــ لامحالة ــ على كرّ الأيام أنصارا وأتباعا مؤمنين.

فأجمعوا أمرهم على إماتته والقضاء عليه قبل أن يستفحل أمره، وقبل أن

تفلت أزمة الأمور من أيديهم، أجمعوا على أن الإماتة خير سبيل.

قال الذين بأيديهم مقاليد الأمور بصوت واحد حاقد، قالوا للناس من حولهم حرّقوه فقد صبأ عن ديننا ودين آبائنا، وانصروا آلهتكم إن أردتم أن تكونوا لها منتصرين.

اختاروا هذه الميتة لأنها أشد عذابا لإبراهيم، وأشد تهديدا ووعيدا لمن يهمّ أن يسير على دربه وخطاه، ولأنها لن تبقى له على أثر، فسوف يحور جسمه دخانا يضيع في آفاق السماء، ورمادا تذروه الريح في أرجاء الأرض.

وتبارى القوم في جمع الحطب انتصارا لآلهتهم، وانتقاما ممن خرج على دين آبائهم، وحرصا على أن تكون نارا عظيمة تحرّق مايلقى فيها فلا يبقى له أثر.

واشتعلت نار القوم واتقدت، وكانت ألسنة اللهب تتعالى سابحة في السماء، وجاءوا بإبراهيم مقيدا وألقوه فيها وهم يظنون أنهم قد قدروا عليه وأماتوه، وماكانوا يدرون أن الموت والحياة بيد الله الذي دعاهم إبراهيم إلى عبادته وحده فأبوا إلا نفورا.

(يانار كوني بردا وسلاما على إبراهيم) كانت هذه هي كلمة الله القادرة القاهرة النافذة التي دمّرت تدبيرهم، وجعلت عملهم هباء منثورا، ونصر الله بها رسوله إبراهيم، وجعلهم الأخسرين في الدنيا والآخرة.

هذا، وقد جاء هذا الاستفهام : **(أجئتنا بالحق أم أنت من اللاعبين)** جاء استفهاما حقيقيا، يريدون به أن يجيبهم إبراهيم عما سألوه عنه، ولكن استفهامهم هذا مع إفادته ترددهم بين أن يكون إبراهيم جادًّا معتقدا مايقول وأن يكون مازحا لاعبا لايعنى مايقول، كان استفهامهم مع إفادته هذا التردد يشوبه التعجب من قول ابراهيم لهم: **(لقد كنتم أنتم وآباؤكم في ضلال مبين)** ويشوبه أيضا استبعادهم أن يقول ابراهيم هذا القول يريد به الجد والحق.

ولقد أجابهم إبراهيم بأنه قد جاءهم بالحق والصدق، وأنه يعتقد مايقول حين قال لهم: **(ربكم رب السموات والأرض الذي فطرهن وأنا على ذلك من الشاهدين)**، وهذا يعنى أن هذه الأصنام التي تعبدونها من دون

الله ليست أربابا، ولا تستحق العبادة، فالله وحده هو رب كل شيء، وخالق كل شيء، المستحق لأن نعبده مخلصين له الدين، وأن ذوي الفطر السليمة يعتقدون ذلك و يشهدون عليه، وأنا من المعتقدين الشاهدين.

الموضـــع الخامس

الموضع الخامس من مواضع الهمزة الداخلة على الفعل الماضي (جاء) قد ورد في قوله تعالى:

﴿وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٢١﴾ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ آلِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٢﴾ قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِندَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُم مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَٰكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُم بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰ إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴿٢٥﴾

الآيات: (٢١ ــ ٢٥) من سورة الأحقاف.

تتضمن هذه الآيات الكريمة أن الله سبحانه وتعالى أمر رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم أن يذكر لقومه قصة هود وقومه عاد، ليعتبروا بها، ولتكون تسلية وتعزية له صلى الله عليه وسلم تهوّن عليه تكذيب قومه له.

لقد أنذر هود عليه السلام قومه عادا الذين كانوا يسكنون في مكان يسمى بالأحقاف، وحذّرهم عذاب الله إن لم ينبذوا عبادة الأصنام ويفردوا

الله تعالى بالعبادة، ولقد جاء الرسل الذين أرسلوا قبله والذين سوف يرسلون من بعده، جاءوا جميعا منذرين مثل إنذاره.

قال هود لقومه : إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم إن لم تتركوا عبادة الأصنام وتخلصوا العبادة لله وحده.

قالوا : أجئتنا ياهود لتصرفنا عن عبادة أصنامنا إلى عبادة من تدعونا إلى عبادته؟! هانحن أولاء عاكفون على عبادة أصنامنا، فأتنا بما تعدنا من العذاب إن كنت من الصادقين فيما تقول وتنذر.

قال لهم هود : إنما العلم بإتيان العذاب عند الله وحده، وأنا أبلغكم ماأرسلني الله به، ولكني أراكم قوما تجهلون طريق النجاة، ولا تدرون أي ضرر سيحل بكم من جراء عبادتكم غير الله واستعجالكم عذابه.

ونظرت عاد فإذا سحاب يعترض بين السماء والأرض سائر نحو أوديتهم، فاستبشروا وقالوا هذا سحاب ممطرنا، ولكن سرعان ماخاب فألهم، فإذا بالسحاب الذي ظنوه ماطرهم ريح عاصفة فيها العذاب الذي استعجلوا به.

لقد دمّرت تلك الريح كل شيء أمرها الله بتدميره، وأبقت على ما أمرها الله بالإبقاء عليه، وأصبحت عاد لاترى إلا مساكنهم خاوية خالية! والله سبحانه وتعالى يجزى كل مشرك يكذب رسله كما جزى عادا بما كانوا يكفرون، فاعتبروا ياكفار مكة بما صنع الله بعاد.

هذا، وقد جاء استفهام : (**أجئتنا لتأفكنا عن آلهتنا**)، جاء مفيدا الإنكار والتوبيخ والتعجب.

مفيدا الإنكار بمعنى لاينبغى لك ياهود أن تجيئنا داعيا إلى نبذ الأصنام ونبذ عبادتها، وإلى إخلاص العبادة لله وحده.

ومفيدا التوبيخ : توبيخ قوم هود ــ لعنهم الله ــ هودا عليه السلام ــ على أن يجيئهم داعيا إلى ترك آلهتهم وترك عبادتها التي ورثوها عن آبائهم.

ومفيدا التعجب : فقد كان هود معروفا بين قومه بشرف النسب وحسن الخلق وسداد الرأي، وكان قومه يتوقعون منه أن يكون أشدهم تعلقا بدين الآباء والأجداد، فكان عجيبا عندهم أن يجيئهم لينبذوا هذه الأصنام وليعرضوا عن عبادتها، وليخلصوا العبادة لله وحده.

٧ ـ جعل

أما الفعل السابع من الأفعال الماضية التي دخلت عليها همزة الاستفهام في القرآن الكريم فهو (جعل)، وقد ورد ذلك في ثلاثة مواضع:

الموضع الأول

الموضع الأول من مواضع همزة الاستفهام الداخلة على الفعل الماضي (جعل) ورد في قوله تعالى:

﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ
الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ
وَجَٰهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ
الظَّٰلِمِينَ ١٩ ﴾

الآية: (١٩) من سورة التوبة.

تتضمن هذه الآية الكريمة أن الله سبحانه وتعالى قد أنكر على المشركين ووبخهم أن يجعلوا الذين يقومون على سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كالذين آمنوا بالله واليوم الآخر وجاهدوا في سبيل الله، فهؤلاء وأولئك لايستوون عند الله منازل وأعمالا، فالله سبحانه وتعالى لايقبل عملا ممن لايؤمن به وباليوم الآخر، وهو جل وعلا لايوفق لصالح الأعمال من يكفر به ويجحد وحدانيته.

هذا، وقد أفاد استفهام: **(أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله)**، أفاد الإنكار والتوبيخ.

فقد أنكر الله عز وجل على الذين افتخروا بسقايه الحجاج وعمارة المسجد الحرام في الجاهلية وهم على الشرك أن يجعلوا تلك السقاية والعمارة كالإيمان بالله واليوم الآخر، أنكر عليهم بمعنى ماكان ينبغي لهم ذلك.

ولقد وبّخ الله عز وجل أولئك المشركين على هذا الجعل، لأن أعمال أهل الكفر محبطة وأعمال أهل الإيمان مثبتة، ولايستوى الذين هم وأعمالهم في جهنم والذين هم وأعمالهم في الجنة.

(وجعل) في هذا الاستفهام فعل ينصب مفعولين : المفعول الأول سقاية الحاج على تقدير مضاف أى أهل سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام، وبهذا التقدير تتم المقابلة وتكون الموازنة بين طرفين يدل كل منهما على ذات: الطرف الأول: أهل سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام، والطرف الثاني: مَنْ آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله.

أما السقاية والعمارة بدون تقدير مضاف قبلهما فهما مصدران يدلان على معنى المصدرية فلا يصلحان أن يكونا في مقابلة مَنْ آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله، لأن (مَنْ) تدل على ذات، أما المفعول الثاني ل (جعل) فهو الكاف في (كمن آمن) على اعتبار أن هذه الكاف اسم بمعنى مثل مضاف إلى مَنْ، أما على اعتبار أنها حرف جر جرّت مابعدها فيكون المفعول الثاني الجار والمجرور (كمن) أو متعلق الجار والمجرور.

الموضـــع الثاني

الموضع الثاني الذي دخلت فيه همزة الاستفهام على الفعل الماضى (جعل) ورد في قوله تعالى:

صٓ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ﴿١﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ﴿٢﴾
كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ فَنَادَوا۟ وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ﴿٣﴾ وَعَجِبُوٓا۟
أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ۖ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٤﴾
أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾ وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ
مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ ﴿٦﴾
مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْءَاخِرَةِ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ ﴿٧﴾ أَءُنزِلَ

عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَا ۚ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّن ذِكْرِى ۖ بَل لَّمَّا يَذُوقُوا۟ عَذَابِ
﴿٨﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ ٱلْعَزِيزِ ٱلْوَهَّابِ ﴿٩﴾ أَمْ لَهُم
مُّلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ فَلْيَرْتَقُوا۟ فِى ٱلْأَسْبَٰبِ ﴿١٠﴾
جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ ٱلْأَحْزَابِ ﴿١١﴾

الآيات: (١ ــ ١١) من سورة ص.

تتضمن هذه الآيات الكريمة قسما من الله تعالى بالقرآن ذى الذكر والشهرة والشرف على أن محمدا من المرسلين، ولكن الذين كفروا أخذتهم عزة وتكبر وعناد وشقاق، فكذبوا محمدا وأنكروا أن يكون رسولا.

لقد أهلك الله أمما كثيرة من قبلهم كذبوا الرسل، واستغاثوا الله حين رأوا العذاب نازلا بهم، ولكن استغاثتهم ذهبت أدراج الرياح، فقد جاءت حين لاينفع النداء، وحين لامناص ولانجاء.

فليحذر الذين يشركون بالله تعالى، و يكذبون رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم، فليحذروا أن ينزل بهم من العذاب مانزل بالذين من قبلهم، إن في ذلك لذكرى لأولى الألباب.

هم يعجبون، وليس فيا يعجبون منه عجب، يعجبون و ينكرون أن جاءهم محمد رسولا منهم وأنزل عليه القرآن من بينهم، فإذا كان عجبهم أن محمدا لم يكن أعلاهم منزلة ولا أوسعهم شهرة ولا أكثرهم مالا، فهذه المقاييس الدنيوية لا تزن عند الله جناح بعوضة، والله تعالى أعلم حيث يجعل رسالته.

وإذا كان عجبهم وإنكارهم أن يكون بشرا مثلهم، فهذه سنة الله تعالى في الذين خلوا من قبلهم، بعث إلى كل أمة رسولا منهم، **(قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم ملكا رسولا)** (١)، ولو كنتم أيها المشركون ملائكة لنزل الله عليكم من السماء ملكا رسولا، ولكنكم كنتم بشرا فأرسل الله إليكم بشرا مثلكم، لتفهموا عنه ويفهم عنكم، وليتأتى له خلاطكم واطلاعه على شؤون حياتكم، وليتسنى لكم أن تتخذوا منه قدوة تقتدون بها في شؤون دنياكم وأخراكم.

---

(١) الآية (٩٥) من سورة الإسراء.

تعجبون أيها المشركون من أن يدعوكم محمد إلى عبادة إله واحد قادر على كل شيء، ولاتعجبون من عبادة آلهة متعددة لاتضر ولاتنفع ولاتحس ولاتعقل، إن هذا الذي أنتم فيه هو العجب العجاب.

لو كان في أشرافكم عقل يفكر وقلب يتدبر ماقالوا تضليلا وشقاقا: سيروا أيها القوم على طريقتكم، واستمروا على عبادة أصنامكم، واصبروا على هذه العبادة، فما هذا التوحيد الذي يدعوكم إليه محمد إلا شيء يريد به إفساد دينكم والقضاء على أصنامكم، فما سمعنا بهذه الوحدانية في الملة الآخرة ملة النصارى، وماسمعنا بها في ملة آبائنا وآباء آبائنا من قبل، ماهذه الوحدانية التي جاءكم بها محمد إلا اختلاق، وما ادعاؤه إنزال القرآن عليه من بيننا إلا افتراء، وما محمد إلا ساحر كذاب.

يقول المشركون محمد ساحر، وهم على يقين من أن محمدا لم يتعلم السحر، وماخالط الساحرين، ولايقول لهم سحرا.

ويقول المشركون محمد كذاب، وهم على علم لايشوبه شك بأن محمدا أبعد الناس عن الكذب، لقد عرفوه من قبل أن ينزل عليه القرآن الصادق الأمين، فكيف يصير كذابا بعد أن نزل عليه القرآن ذو الذكر؟!

ساحر كذاب!! يقولون هذا بألسنتهم وتكذبه قلوبهم، تقوله ألسنة الحسد الذي يأكل قلوبهم، وحب الرئاسة الذي ملك عليهم أقطار حياتهم، ويقوله التكبر والعناد والشقاق الذي كان يحيط بهم من كل جانب.

لقد أخذتهم الحيرة في هذا القرآن ماذا يقولون عنه: تارة يقولون افتراء، وتارة يقولون شعر شاعر، وتارة سحر ساحر، وتارة قول كاهن، وتارة هو أساطير الأولين.

إن هؤلاء المشركين لما يذوقوا عذاب الله بعد، ويوم يذوقونه سيذهب عنهم التكبر والعناد والشقاق، ويزول عنهم الشك في أن القرآن وحي أنزله الله من عنده على محمد، يومئذ يؤمنون بما كانوا يعجبون منه وينكرون، يومئذ يستغيثون وينادون ولات حين استغاثة ونداء.

علام التكبر والعناد والشقاق يامشركي مكة؟! وفيم الإنكار والتعجب ياكفار قريش؟! أعندكم خزائن رحمة الله فأنتم لها مالكون وبها تتصرفون،

وتصيبون بها من تشاءون، وتصرفونها عمن تشاءون، وتصطفون للنبوة من تريدون؟! ليس عندكم شيء من ذلكم، وإنما هي عند الله العزيز الغالب الذي لايغلب، الوهاب الذي يهب مايشاء لمن يشاء.

ألكم ياكفار قريش ملك السموات والأرض ومابينهما؟! إن زعمتم ذلكم فهاهي ذى من فوقكم، فلتصعدوا في المعارج والمناهج، ولتأتوا بالوحي فتختصوا به من تشاءون!! إنكم ياكفار مكة أعجز من ذلكم وأحقر؟!.

لاتكترث يامحمد بهؤلاء المتكبرين المعاندين، فهم جند حقير من الأحزاب التي تكبرت على الرسل من قبلك، وقد قهر الله أولئك وأهلكهم، وعما قريب يكون هؤلاء من المهلكين.

هذا، وقد جاء استفهام : (**أجعل الآلهة إلهاً واحدا**) جاء مفيدا الإنكار والتعجب.

الإنكار بمعنى لاينبغي لمحمد أن يجعل الآلهة إلهاً واحدا، فهم ينكرون عليه أن يبطل آلهتهم الكثيرة المختلفة وأن يحصر الألوهية في إله واحد هو الله تعالى.

ويفيد التعجب بمعنى أن المشركين قد عجبوا من قول محمد صلى الله عليه وسلم: لا إله إلا الله، فقد حصر الألوهية في إله واحد هو الله سبحانه وتعالى ونفاها عن غيره، فكان ذلك عجيبا كل العجب في نظر أولئك المشركين، لأنه مخالف لما أطبق عليه أسلافهم من الشرك وتعدد الآلهة.

و(جعل) في هذا الاستفهام : (**أجعل الآلهة إلها واحدا**) أخذ مفعولين :

المفعولا الأول (الآلهة) والمفعول الثاني (إلها)، و(واحدا) صفة المفعول الثاني. و(جعل) هنا بمعنى صيّر، وليس تصييرا في الخارج بل في القول والتسمية، كما في قوله تعالى: (**وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا**) (١٩) الزخرف.

الموضــــع الثالث

الموضع الثالث الذي دخلت فيه همزة الاستفهام على الفعل الماضى (جعل) ورد في قوله تعالى:

وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ
أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾

الآية (٤٥) من سورة الزخرف.

تتضمن هذه الآية الكريمة :

إنك لو استقريت يامحمد شرائع الرسل من قبلك وكتبهم وأخبارهم ماوجدت فيها أننا قد أمرنا بعبادة آلهة من دوننا على لسان أحد من رسلنا، فلست بدعاً بين الرسل ان تدعو إلى عبادة إله واحد لاشريك له، وأن عباده غير الله ماأنزل الله بها من سلطان.

وقد أفاد هذا الاستفهام : **(أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون)** أفاد الإنكار بمعنى النفي أي ماجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون، وما أمرنا بذلك ولا شرعناه.

والجار والمجرور (من دون الرحمن) في محل نصب مفعول أول لجعلنا، و(آلهة) منصوب على أنه مفعول ثان، وجملة (يعبدون) في محل نصب صفة لآلهة.

٨ ـ حســب

أما الفعل الثامن من الأفعال الماضية التي دخلت عليها همزة الاستفهام في القرآن الكريم فهو (حسب)، وقد ورد ذلك في ثلاثة مواضع:

الموضــع الأول

الموضع الأول من مواضع همزة الاستفهام الداخلة على الفعل الماضى (حسب) ورد في قوله تعالى:

أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن يَتَّخِذُوا۟ عِبَادِى مِن دُونِىٓ
أَوْلِيَآءَ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَـٰفِرِينَ نُزُلًا ﴿١٠٢﴾

الآية (١٠٢) من سورة الكهف.

تتضمن هذه الآية الكريمة :

لاينبغى للذين كفروا بالله أن يظنوا اتخاذهم الملائكة والمسيح ابن مريم أولياء من دون الله نافعالهم، لقد أعدّ الله جلّ وعلا لهؤلاء وأمثالهم منزلا ينزلون فيه يوم القيامة هوجهنم، فبئس المأوى وبئس المصير.

هذا، وقد جاء استفهام : **(افحسب الذين كفروا أن يتخذوا من دونى أولياء)** جاء مفيدا الإنكار والتوبيخ.

مفيدا الإنكار بمعنى لاينبغى لهؤلاء الكافرين الذين عبدوا الملائكة والمسيح بن مريم أن يظنوا أن هؤلاء المعبودين من دون الله قادرون على نفعهم.

ومفيدا التوبيخ : توبيخ هؤلاء الكافرين على اتخاذهم الملائكة والمسيح ابن مريم أولياء من دون الله، وعلى تركهم اتخاذ الله وليا لاوليّ غيره ولا معبود سواه.

والفاء في (أفحسب) عاطفة، عطفت مابعدها على ماقبل الهمزة، وهذا العطف على ماقبل الهمزة مذهب سيبويه والجمهور، ومن المفسرين من ذهب

مذهب الزمخشرى فجعل المعطوف عليه فعلا مناسبا مقدرا بعد الهمزة، قدّره الألوسي في تفسيره: اكفروا بى فحسبوا، وقدّره ابن عاشور في تفسيره التحرير والتنوير: أأمنوا عذابى فحسبوا، والتقدير بعد الهمزة تكلف بعيد لايتطلبه معنى ولايستدعيه سياق.

وفعل (حسب) الوارد في هذا الاستفهام نصب مفعولين: المفعول الأول المصدر المؤول من (أن يتخذوا)، والمفعول الثاني محذوف دل عليه السياق، والتقدير: أفحسب الذين كفروا اتخاذهم عبادى أولياء من دونى نافعالهم.

ومن العلماء من يرى أن المصدر المؤول من (أنْ يتخذوا) سدّ مسدّ المفعولين، والفعل المضارع في (أن يتخذوا) نصب مفعولين أيضا: المفعول الأول: عبادى، والمفعول الثاني: أولياء، و(من دونى) جار ومجرور في محل نصب على الحالية من أولياء، والذي سوّغ مجيء الحال من النكرة تقدمه عليها.

الموضـــع الثاني

الموضع الثاني من مواضع همزة الاستفهام الداخلة على الفعل الماضى (حسب) ورد في قوله تعالى:

أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾

الآية : (١١٥) من سورة المؤمنون

تتضمن هذه الآية الكريمة :

لاتظنوا أيها الأشقياء المنكرون للبعث أن الله تعالى قد خلقكم تلهيا بكم، ولاتظنوا كذلك أنكم لاتردون إليه أحياء بعد مماتكم، فالله جلّ وعلا قد خلقكم لتعبدوه، وسوف تردون إليه ليجازيكم على أعمالكم.

هذا، وقد جاء استفهام (أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لاترجعون) جاء مفيدا الإنكار والتوبيخ.

الإنكار بمعنى لا تظنوا ولاينبغي أن تظنوا أن الله جل وعلا قد خلقكم دونما غاية وبلا فائدة، وأنكم لا ترجعون إليه أحياء بعد الممات ليجازيكم على أعمالكم.

وأفاد التوبيخ على تركهم عبادة الله تعالى وعلى انصرافهم إلى ما لايرضيه عزّ وجلّ ظنًّا منهم أن البعث ومابعد البعث من ثواب وعقاب لن يكون.

والفاء في (أفحسبتم) عاطفة، عطفت مابعدها على ماقبل الهمزة، و يرى الزمخشري وأتباعه أن المعطوف عليه مقدر بعد الهمزة، وقد قدره الألوسي في تفسيره : **الم تعلموا** شيئًا فحسبتم، ولايخفى مافي هذا التقدير من تكلف وتعسف.

وحسب في (أفحسبتم) متعدية إلى مفعولين، والمصدر المؤول من أنَّ والفعل الذي بعدها في محل نصب سدّ مسدّ المفعولين، و(ما) التي بعد أنّ زائدة كافة كفّت أنَّ عن العمل، و(عبثا) يجوز أن تكون حالا من (نا) في خلقناكم فتؤول باسم الفاعل، أي أفحسبتم أنما خلقناكم عابثين، ويجوز أن تكون مفعولا لأجله، أي للعبث.

و(**أنكم إلينا لا ترجعون**) : (أنَّ) مصدرية تؤول هي وفعل (ترجعون) بمصدر معطوف على المصدر المؤول من (**أنما خلقناكم**)، وتقدير الكلام مع تأويل المصدرين. أفحسبتم خلقنا إياكم عبثا وعدم رجوعكم إلينا.

الموضـــع الثالث

الموضع الثالث من مواضع همزة الاستفهام الداخلة على الفعل الماضي (حسب) ورد في قوله تعالى:

أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾

الآيتان : (٢ ــ ٣) من سورة العنكبوت

قيل : نزلت الأولى من هاتين الآيتين الكريمتين في جماعة من المؤمنين كانوا بمكة، وكان كفار قريش يؤذونهم على إسلامهم، فكانت صدورهم تضيق بذلك، وربما استنكر أن يُمكّن الله الكفار من المؤمنين.

وجاءت الآية الثانية معلمة أن هذه هي سيرة الله في عباده المؤمنين ليتبيّن الصادق منهم من الكاذب.

ومعنى الآية الأولى عام باق في أمة محمد صلى الله عليه وسلم إلى يوم القيامة وإن نزلت في مناسبة خاصة.

وتتضمن هاتان الآيتان الكريمتان :

لقد ظنّ الناس الذين آمنوا بالله ورسوله فآذاهم المشركون على إيمانهم، ظنوا أن يكتفى منهم بقولهم آمنا، وأن يتركوا فلا يمتحنوا بما يتبيّن به حقيقة هذا الإيمان.

ليس افتتان المؤمنين في مكة على إيمانهم بدعا من الأمر، وإنما هو سنة الله في الذين آمنوا من قبل، ليظهر الله الذين صدقوا من الذين كانوا كاذبين.

هذا، وقد جاء استفهام : **(أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمناوهم لايفتنون)** جاء مفيدا الإنكار والتوبيخ.

مفيدا الإنكار بمعنى لاينبغى لأولئك المؤمنين الذين عذبوا على إيمانهم أن يظنوا أنهم يتركون دونما اختبار في إيمانهم بمجرد قولهم آمنا.

ومفيدا توبيخهم على ظنهم ذلك الظن، فالله سبحانه وتعالى له التصرف التام في خلقه، وعلى المؤمنين أن يصبروا على ابتلاء الله إياهم دونما تذمر ودونما استنكار.

و(حسب) في هذا الاستفهام بمعنى ظنّ فتأخذ مفعولين، والمصدر المؤول من (أن يتركوا) في محل نصب سدّ مسدّ هذين المفعولين، والمصدر المؤول من (أن يقولوا) في محل جر بلام التعليل المقدرة، أو في محل نصب على نزع الخافض، وجملة (وهم لايفتنون) في محل نصب على الحال من واو الجماعة في (أن يتركوا).

٩ ـ خرق

أما الفعل التاسع من الأفعال الماضية التي دخلت عليها همزة الاستفهام في القرآن الكريم فهو (خرق)، وقد ورد ذلك في موضع واحد في قوله تعالى:

وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ
أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا بَلَغَا
مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾
فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا
هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ
ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ
فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا
قَصَصًا ﴿٦٤﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ
عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ
عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ
مَعِىَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ
سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ قَالَ
فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا
﴿٧٠﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِى ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا
لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ
لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِى بِمَا نَسِيتُ وَلَا
تُرْهِقْنِى مِنْ أَمْرِى عُسْرًا ﴿٧٣﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ
قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾

۞ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾ قَالَ إِن
سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي ۖ قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا
﴿٧٦﴾ فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا
أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ ۖ
قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي
وَبَيْنِكَ ۚ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾ أَمَّا
السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا
وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾ وَأَمَّا الْغُلَامُ
فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا
﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَا أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا
﴿٨١﴾ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ
تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا
أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُ
عَنْ أَمْرِي ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾

الآيات : (٦٠ — ٨٢) من سورة الكهف

روى أن سبب هذه القصة التي تضمنتها هذه الآيات الكريمة أن موسى عليه السلام قام خطيبا في بني إسرائيل، فقيل له: أي الناس أعلم؟ قال: أنا!! فأوحى الله تعالى إليه أن يسير على ساحل البحر حتى يبلغ مجمع البحرين، وهناك في المكان الذي يفقد فيه الحوت يجد الرجل الذي هو أعلم منه.

ويعزم موسى على السفر، ويأمر فتاه يوشع — وكان خادما له يتبعه ويأخذ عنه العلم — أن يستعد للرحيل، وأن يأخذ معه حوتا يكون لهما زادا.

قال موسى لفتاه يوشع وقد بدأ الرحلة: سوف أظل أسير حتى أبلغ مجمع البحرين، فإما أن أجد الرجل على مقربة ودون نصب، وإما أن أمضي حقبا وسفرا ناصبا قبل أن أعثر عليه وألقاه.

وبلغ موسى وفتاه مجمع البحرين، وهناك وجدا صخرة كبيرة شاهقة، فجلسا يستريحان في ظلها، وسرعان ماغلب النوم على موسى فنام، أما يوشع فقبل أن ينام رأى الحوت في مكتله يضطرب ثم يتخذ سبيله في البحر سربا، وينام يوشع على أن يخبر موسى خبر الحوت وماكان من أمره حين يستيقظان، ويستيقظان، ويواصلان الرحلة، ويتجاوزان ملتقى البحرين، ويقطعان شوطا بعيدا عن تلك الصخرة، ويحسّ موسى بالجوع والتعب فيقول لفتاه: آتنا غداءنا، لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا، ولكن يوشع يقول أسيفا معتذرا: أتذكر ياموسى إذ بلغنا مجمع البحرين وأوينا إلى تلك الصخرة نستريح وننام، هنالك نسيت الحوت، نسيت أن أذكر لك ماكان من شأنه، ومأأنسانى ذكره وقت الرحيل عن الصخرة إلا الشيطان، هنالك ياموسى أحيا الله الحوت فاتخذ سبيله في البحر عجبا.

لم يأس موسى ولم يغضب لفقدان الزاد والحوت، بل صاح يقول: ذلك ما كنا نبغى يايوشع، فالرجل الذي ننشده سنجده في ذلك المكان الذي نسينا فيه الحوت واتخذ سبيله في البحر عجبا.

وسرعان مادبّ النشاط والعزم في موسى وفتاه يوشع فارتدا على آثار أقدامهما قصصا قبل أن تضيع سافيات الرياح وأمواج البحر الممتدة آثار تلك الأقدام فيضلا الطريق إلى تلك الصخرة.

ويصلان الصخرة مكان فقدان الحوت، وإذا بهما يعثران على الرجل الذي كانا ينشدانه، عثرا على الخضر عليه السلام، وكان عبدا من عباد الله آتاه الله النبوة وعلّمه غيب أمور أوحى بها إليه.

لم يترك موسى وقته يضيع سدى، فسرعان ماقال للخضر في تواضع وتلطف: أتراك آذناً لى أن أصاحبك على أن تعلمنى مما علمك الله هدى ورشدا.

قال الخضر وهو يتوقع أن تكون هذه المصاحبة شاقة على موسى عسيرة:

إنك لن تستطيع معى صبرا، وأنّى لك أن تصبر على أشياء تراها رأي العين منكرة وأنت لاتحيط بمنافعها خبرا.

و يستمع موسى إلى إجابة الخضر تحذر وتنذر وتؤكد له أن هذه الصحبة لاطاقة له بها، وسوف يعيل لها صبره وتكون فوق احتماله، ولكنه مع ذلك يصرّ عليها و يقول: ستجدنى إن شاء الله صابرا ولا أعصي لك أمرا.

وعد موسى أنه سوف يصبر على مصاحبة الخضر، وأنه سوف يطيع أوامره طاعة مطلقة، ولكنه احتاط لنفسه فقيّد الصبر والطاعة بمشيئة الله تعالى.

و يوافق الخضر على أن يتبعه موسى و يصحبه بعد أن وعد الصبر والطاعة، ولكنه يشترط و يقول: فإن اتبعتنى فلا تسألنى عن شيء حتى أحدث لك منه ذكرا.

و يسكت موسى ولايحير جوابا، و يبدءان الرحلة يسيران على الشاطىء، وأمواج البحر تترامى عند أقدامها لاغبة ناصبة، والخضر يرمى ببصره حادًّا بعيدا في عرض البحر، ولم يلبث غير قليل حتى رأى سفينة تعلو بها الأمواج وتهبط، فيلوّح بيده مشيرا إليها أن تقترب.

و يركبان السفينة، وقبل أن تستقر قدما موسى على متنها يخرقها الخضر ويحدث فجوة فيها.

قال موسى وقد أسرع إليه الغضب: أتخرق السفينة ياخضر قبل أن نستقر فيها وتجرى بنا في البحر بسلام؟! أتريد أن تغرق أهلها وتلقي بهم في اليم؟! لقد جئت ياخضر أمرا عظيما عجيبا منكرا!!

لم يفاجأ الخضر بما قال موسى، ولم يزد على أن تبسّم وقال في هدوء وسكينة: ألم أقل ياموسى من قبل إنك لن تستطيع معى صبرا؟! لقد وعدتني أن تصبر، فأين صبرك الذي وعدت؟!

و يصحو موسى من حُميّا غضبه، و يقول وهو ينحو باللائمة على نفسه: لا تؤاخذنى بمانسيت.

و يعفو الخضر و يصفح، و يتركان السفينة ومن فيها، و ينطلقان على سيف البحر يمشيان في صمت وسكينة.

كان موسى يمشى صامتا يعاتب نفسه أن أخلف وعده، هاهى ذى

السفينة قد تركاها تركب البحر موجة بعد موجة دون أن تغرق أو يغرق من فيها كما كان يخشى أو يتوقع، لاحاجة به إلى أن يعيد الاعتذار، فقد عفا الخضر عنه وانتهى الأمر.

كان الخضر هادىء البال طيّب النفس بتنفيذ ماأمر الله، لقد انتهى من خرق السفينة، وهاهو ذا يمشي على الشاطىء ينتظر تنفيذ أمر آخر.

أغلب الظن أنهما نزلا من السفينة غير بعيد من قرية كان غلمانها يخرجون إلى شاطىء قريب من تلك القرية يلهون و يلعبون، وعلى حين فجأة يلقيان غلاما منهم لايزال في رونق الصبا وضحوة الشباب فيسرع إليه الخضر و يقتله.

قال موسى وقد ضل عنه صبره ووعده، وسالت نفسه حسرات مع دم القتيل الذي كان يسيل: أتقتل نفسا زكية طاهرة لم تقترف إثما وما اجترحت خطيئة ولا أودت بحياة نفس بريئة؟! لقد جئت ياخضر شيئا نكرا!!

بقي الخضر هادئا وادعا ساكن الجوارح غير لسان يقول في لهجة لائمة ونبرة عاتبة وصوت كان أقوى وأجهر من ذي قبل: ألم قل لك أنت ياموسى: إنك لن تستطيع معى صبرا.

و يعود موسى إلى نفسه وتعود نفسه إليه، لقد استحيا أن يعتذر بالنسيان مرة أخرى، ولو اعتذر لما كان من الكاذبين.

قال موسى والندم يضرّسه بأنيابه: إن سألتك عن شيء بعد هذه أو خالفتك في أمر فلاتجعلني صاحبا لك، ولك العذر كله في أن تفارقني دون أن يكون لى عليك معتب وملام.

و يستأنف الخضر وموسى انطلاقهما وفي نفس كل منهما العزم على شيء: أما الخضر فقد اعتزم مفارقة موسى إن أنكر عليه شيئا أو سأل شيئا بعد ماقد مضى، ولاسيا أن موسى قد جعله في حل من هذه المفارقة واعذر في قطع هذه الصحبة.

وأما موسى فقد اعتزم أن يأخذ نفسه بالصبر والصمت والإغضاء عما يفعله الخضر، وأن لايسأله عن شيء حتى يحدث له منه ذكرا، لقد اشترط

الخضر عليه هذا من قبل ولكنه لم يلتزمه ولم يعمل به، فلاينبغي له أن يفرّط وأن يضيع، فهذه آخر فرصة تفترص.

و يستأنفان انطلاقهما، و ينتهي بهما السير إلى قر ية، فاخذا يجوبان طرقاتها والأزقة، و يطرقان أبواب مساكنها باباً باباً لعلهما يجدان مايدفعان به عادية الجوع و ينقعان به غلة الظمأ، ولكنهما لم يلقيا من أهلها إلا الردّ والرفض ووجوها عابسة واستقبالا كريها.

و بعد أن أعياهما المسير و يئسا من المسألة وجدا جدارا ير يد أن ينقضّ ويهمّ أن يسقط، فأقامه الخضر وسوّى بناءه.

لقد ضيّع الجوع والظمأ والإعياء مااعتزمه موسى من الصمت والصبر والإغضاء، فقال للخضر وقد ضل عنه عاقبة مايقول: لو شئت لاتخذت على إقامة هذا الجدار أجرا، فقد رأيت الشح الذي استقبلنا به أهل هذه القر ية، واللؤم الذي عاملونا به، وأنت تعلم مدى حاجتنا إلى بلغة من طعام وشربة من ماء.

كانت مؤاخذة موسى للخضر قد خلت من العنف ولم تذهب مذهب الشطط، ولكن ردّ الخضر كان حازما حاسما، فقال دون تريث وتلبث: هذا فراق بيني وبينك؛ فلاصحبة بعد هذه، ولاحاجة إلى عذر جديد، وسوف أبين لك عاقبة ماتعجلت في إنكاره ولم تسطع عليه صبرا.

أما السفينة التي خرقتها فكانت لمساكين يعملون في البحر، ينفقون أجر ماتحمل من بضائع وأناسي على تكاليف عيش ومؤونات حياة، وهو لايكاد يكفي حاجة أو يسدّ خلة، وكان على طريقهم في البحر ملك ظالم يتصيد كل سفينة صالحة و يأخذها غصبا، فأردت أن اعيبها ليزهد ذلك الملك الظالم في اغتصابها، ولتسلم لأصحابها، أولا ترى أن خرقها كان خيرا لهم وأبقى؟!

أما الغلام الذي قتلته فكان كافرا، وكان أبواه مؤمنين، فخشينا اذا ما اشتدّ عوده و بلغ أشدّه أن يشتطّ عليهما فيكلفهما ضلالا وكفرا، فقتلته ابتغاء أن يرزقهما ربهما خيرا منه طهارة ونقاء، ودينا وصلاحا، و برا ورحمة، أو ماترى أن قتله كان خيرا لوالديه وأحسن عقبى؟!

وأما الجدار الذي أقمته فكان لغلامين يتيمين صغيرين في هذه المدينة

التي استطعمنا أهلها فأبوا أن يضيفونا، وكان تحت ذلك الجدار كنز لهما خبأه أبوهما، وكان أبا صالحا، فأراد ربك أن يبلغ ذانك الصغيران اليتيمان سن الرشد والقدرة على حسن التصرف فيستخرجا كنزهما و ينتفعا به، ولولا إقامتي ذاك الجدار وتسويتي بناءه لانقض وتساقط وصار نهبا للضياع، وفات اليتيمين الصغيرين ما أراد به أبوهما الصالح حين خبأه وأخفاه وأقام هذا الجدار من فوقه، أو ماترى أن إقامة الجدار كانت أبرّ وأحسن عاقبة وأتقى.

لم أفعل ياموسى مافعلته عن رأي ارتأيته واجتهاد اجتهدته، وإنما كان ذلك كله بأمر الله.

وافترقا، أما الخضر فلا يعلم طريقه إلا الله، وأما موسى فقد رجع أدراجه. هذا، وقد أفاد استفهام (أخرقتها لتغرق أهلها لقد جئت شيئا إمرا) أفاد الإنكار والتعجب.

أفاد الإنكار بمعنى ماكان ينبغى لك ياخضر أن تخرق هذه السفينة فتعرضها للغرق، وتعرض من فيها للموت، لقد جئت في فعلتك هذه أمرا عظيما وخطأ جسيما.

وأفاد تعجب موسى من أن يقوم الخضر بهذا الخرق والتخريب وارتكاب هذا المنكر الذي لم يكن يتوقعه موسى من الخضر، فقد كان يتوقع منه أن يعلمه مما علمه الله رشدا، وإذا به يفاجأ بشيء بعيد عن الرشد فيما ظن موسى وحسب. والفعل المضارع في (لتغرق) الوارد في هذا الاستفهام منصوب بأن مضمرة جوازا بعد اللام، وهذه اللام قيل إنها لام العاقبة، وقيل إنها لام العلة.

و(أن) المضمرة بعد اللام والفعل المضارع الذي دخلت عليه في تأويل مصدر، وهذا المصدر في محل جر باللام، والجار والمجرور يتعلقان بفعل (أخرقتها)، والتقدير: أخرقتها لإغراق إهلها.

أما استفهام (**أقتلت نفسا زكية بغير نفس لقد جئت شيئا نكرا**) فقد أفاد الإنكار بمعنى ماكان ينبغي لك ياخصر أن تقتل نفسا طهرت من الذنوب وبرئت من الآثام، ولم ترتكب جريمة قتل فتؤخذ بها.

ويفيد تقبيح قتل هذه النفس الزكية التي لاتزال في رونق الصبا

وزهرة الشباب، والتي لايدور بخلد أحد أن تكون قد قتلت نفسا أخرى بغير حق فتقتل بها وتلقى من جراء ذلك هذا القصاص.

ويفيد تعجب موسى من أن يقوم الخضر بهذا القتل الظالم، وهو الذي حرص موسى على صحبته ليعلمه مما علمه الله رشدا، فأين الرشد في قتل هذه النفس الزكية بغير نفس، لقد كان ذلك فيما بدا لموسى شيئا نكرا لم يستطع عليه صبرا.

والجار والمجرور (بغير نفس) يتعلقان بفعل (أقتلت)، ويجوز أن يتعلقا بمحذوف صفة لمصدر محذوف، والتقدير: أقتلت نفسا زكية قتلا كائنا بغير نفس.

وقد جوز بعضهم أن يكون (بغير نفس) في محل نصب على الحال من فاعل (أقتلت) أي أقتلت نفسا زكية حال كونك ظالما، أو على الحالية من المفعول، أي أقتلت نفسا زكية حالة كونها مظلومة، وإعراب الجار والمجرور على أنها حال بعيد جدا.

١٠ ـ أذهب

أما الفعل العاشر من الأفعال الماضية التي دخلت عليها همزة الاستفهام في القرآن الكريم فهو (أذهب) وقد ورد ذلك في موضع واحد في قوله تعالى:

﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ ۝٢٠﴾

الآية: (٢٠) من سورة الأحقاف

تتضمن هذه الآية الكريمة أن الذين كفروا بالله سوف يقال لهم يوم يعذبون في نار جهنم: لقد استوفيتم طيباتكم ولذاتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها حتى لم يبق منها شيء، واليوم ليس لكم إلا عذاب الإذلال والاحتقار والإهانة جزاء استكباركم في الدنيا عن الإيمان بالله وعن اتباع الرسل، وجزاء ماكنتم ترتكبونه من أنواع الفسوق والعصيان.

هذا، وقد قرأ معظم القراء السبعة: **(أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا)** بهمزة واحدة هي همزة أفعل، وعلى هذه القراءة يحتمل أن يكون الكلام إخبارا، ويحتمل أن يكون استفهاما حذفت منه همزة الاستفهام لدلالة السياق عليها.

وقرأ بعض القراء السبعة (أأذهبتم) بهمزتين: الأولى همزة الاستفهام والثانية همزة أفعل الزائدة، وعلى هذه القراءة وعلى تقدير همزة الاستفهام في القراءة الأولى يفيد هذا الاستفهام التقرير والتوبيخ: التقرير بمعنى الإخبار أى قد أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها.

ويفيد توبيخ الكافرين على انغماسهم في اللذات والشهوات والمعاصي في حياتهم الدنيا، وعلى انصرافهم عن الإيمان بالله وطاعاته واتباع رسله.

١١ ــ رأى

أما الفعل الحادي عشر من الأفعال الماضية التي دخلت عليها همزة الاستفهام في القرآن الكريم فهو (رأى)، وقد ورد ذلك في أربعة وثلاثين موضعا، وقد جاءت هذه المواضع الأربعة والثلاثون على أربعة أساليب:

١ ــ الأسلوب الأول : أرأيت.
٢ ــ الأسلوب الثاني : أرأيتم.
٣ ــ الأسلوب الثالث : أرأيتك.
٤ ــ الأسلوب الرابع : أرأيتكم.

وقد ذهب سيبويه وجماعة من النحاة (١) إلى أن أرأيت في أساليبها الأربعة إذا جاءت بمعنى أخبرني كانت علمية تنصب مفعولين: المفعول الأول مفرد منصوب يأتي بعدها ويكون هو المستخبر عنه، والمفعول الثاني جملة استفهامية هي مناط الاستخبار ومتعلقه ومصبه ومورده.

وقد التزم أبو حيان الأندلسى في تفسيره البحر المحيط رأي سيوبه هذا، وقد التزمته أنا أيضا تبعا لأبي حيان في حديثى عن (أرأيت) في أساليبها الأربعة السابقة وفي مواضعها الأربعة والثلاثين، ففسرتها بمعنى أخبرني، أخبرونى، وأعربتها على أنها علمية تنصب مفعولين: المفعول الأول مفرد منصوب يأتي بعدها، والثاني جملة استفهامية، وإذا لم يذكر أحدهما أو لم يذكرا كلاهما قدرت مالم يذكر.

وتفسير (أرأيت) بمعنى أخبرنى تفسير معنى لا تفسير إعراب، لأن أخبرنى تتعدى ب (عن)، تقول أخبرنى عن زيد، أما أرأيت فتتعدى بنفسها إلى مفعوليها.

---

(١) البحر المحيط لأبي حيان الاندلسى حـ ٤ ص ١٢٦.

والآن إلى بيان مواضع همزة الاستفهام الداخلة على الفعل الماضي (رأى): أما همزة الاستفهام التي دخلت على الفعل الماضي (رأى) وجاءت على أسلوب (أرأيت) فقد وردت في عشرة مواضع:

١ ــ أرأيت
الموضـــع الأول

الموضع الأول لاستفهام (أرأيت) ورد في قوله تعالى:

وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ
أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا بَلَغَا
مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾
فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا
هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ
ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ
فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا
قَصَصًا ﴿٦٤﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ
عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾

الآيات: (٦٠ ــ ٦٥) من سورة الكهف

سبق أن تحدثت عما تضمنته هذه الآيات والآيات التي بعدها المشتملة على قصة موسى والخضر عليهما السلام، وذلك في حديثي عن الفعل التاسع من الأفعال التي دخلت عليها همزة الاستفهام وهو (خرق).

وقد اختلفت آراء العلماء في معنى (أرأيت) الواردة في هذه الآية: **(أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت وماأنسانيه إلا الشيطان أن أذكره واتخذ سبيله في البحر عجبا).**

فقد ذكر أبو حيان في تفسيره البحر المحيط عند تفسيره هذه الآية أن أبا الحسن الأخفش ذهب إلى أن (أرأيت) هنا ليست بمعنى أخبرني، لأنها لا تكون كذلك إلا إذا جاء بعدها مفعول به صريح يكون هو المستخبر عنه، ومن بعده جملة استفهامية هي مناط الاستخبار ومتعلقه، و(أرأيت) في هذه الآية ليست كذلك، فهي — في رأيه — قد خرجت عن معناها بالكلية، فهي لا تعمل ولا تنصب مفعولا به ولا مفعولين، وإنما هي بمعنى أما أوتنبه.

ولم يرتض أبو حيان هذا الرأى وقال إنه إخراج لأرأيت عن معناها بالكلية، أما الزمخشري فقد رأى في تفسير الكشاف أن (أرأيت) هنا بمعنى أخبرني، وكأن المعنى على رأيه: أخبرني أي شيء دهاني إذ أوينا إلى الصخرة، أو أخبرني عما دهاني إذ أوينا إلى الصخرة.

ونقل الألوسي في تفسيره وصاحب الفتوحات في حاشيته على الجلالين، نقلا عن أبي حيان جواز أن تكون (أرأيت) هنا بمعنى أخبرني وقد حذف مفعولاها اختصارا، والتقدير: أرأيت أمرنا إذ أوينا إلى الصخرة ماعاقبته. وأبو حيان في هذا الرأي قد اتبع مذهب سيبويه في أن (أرأيت) إذا كانت بمعنى أخبرني فهي علمية تنصب مفعولين: الأول مفرد منصوب يأتي بعدها يكون هو المستخبر عنه وهو هنا (أمرنا) والثاني جملة استفهامية هي مناط الاستخبار ومتعلقه، وهي هنا (ماعاقبته).

وذهب أبو السعود في تفسيره إلى أن (أرأيت) في هذه الآية بمعنى أعرفت أو أشاهدت فهي متعدية إلى مفعول به واحد يدل عليه السياق.

أما استفهام (أرأيت) في هذا الموضع فقد أفاد التنبيه والتعجب، التنبيه: على معنى أن يوشع يريد بهذا الاستفهام أن ينبه موسى للحالة العجيبة التي سيذكرها بعد، وكأنه يقول له: استمع جيدا، وتنبه لما أذكره لك، فهو شيء عجيب.

وأفاد التعجب: على معنى أن يوشع نفسه قد تعجب كيف نسي أن

يذكر لموسى بعد أن استيقظا من نومهما عند الصخرة، أن يذكر له ماكان من الحوت، وأنه قد حيي واتخذ سبيله في البحر عجبا، فمثل ذلك لاينسى ولاينبغي أن يقع فيه نسيان.

وقد ذهب أبو السعود في تفسيره إلى أن استفهام (أرأيت) هنا يفيد التعجيب على معنى أن يوشع أراد بهذا الاستفهام أن يحمل موسى على التعجب من نسيانه (نسيان يوشع) أن يذكر له ماكان من الحوت مع أن ذلك ممالا ينبغي أن ينسى.

الموضـــع الثاني

الموضع الثاني من مواضع استفهام (أرأيت) ورد في قوله تعالى:

أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾ أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾ كَلَّا ۚ سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا ﴿٧٩﴾ وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴿٨٠﴾

الآيات: (٧٧ ــ ٨٠) من سورة مريم

ذكر أن هذه الآيات الكريمة نزلت في العاصى بن وائل السهمى: فقد عمل له خبّاب بن الأرتّ عملا، وتقاضاه أجر ماعمل، فقال العاصى: لا أنصفك حتى تكفر بمحمد.

قال خباب: لا أكفر بمحمد حتى يميتك الله و يبعثك.

قال العاصى: أو مبعوث أنا بعد الموت.

قال خباب: نعم.

قال العاصى: فائت إذا كان ذلك فسيكون لى مال وولد، وعند ذلك أقضيك دينك.

فالعاصي بن وائل هو المراد ب (**الذي كفر بآياتنا**).

وقد تضمنت هذه الآيات الكريمة :

أفرأيت يامحمد هذا الذي كفر بالقرآن الكريم وبالحجج الدالة على البعث، وقال مستهزئا متعنتا: لأوتينّ مالا وولدا، أو بلغ من عظمة شأنه أن ارتقى إلى علم الغيب الذي توحّد به الله تعالى فادعى أن يؤتى في الآخرة مالا وولدا، أم اتخذ من عالم الغيب عهدا أن يؤتى ذلك .

ليرتدع عن قوله الكاذب!! فليس الأمر كما قال، فهو لم يطلع الغيب، ولم يتخذ عند الرحمن عهدا، إنه مجرم كاذب كفار!!

سنحفظ عليه قوله هذا، فنجازيه به في الآخرة، ونزيده عذابا فوق عذاب، ونسلبه ماأعطيناه في الدنيا من مال وولد، ولسوف يأتينا يوم القيامة فردا ذليلا لامال ولا ولد ولاعشيرة.

وقد جاء استفهام (أفرأيت) في هذه الآية الكريمة، جاء مفيدا التعجب والتعجيب والتنبيه.

مفيدا التعجب والتعجيب من حال هذا الكافر الغريبة ومن جرأته الوقحة القبيحة، فقد كفر بآيات الله الدالة على البعث، وكفر بيوم القيامة، وقال هازئا مقسما أن يؤتى في الآخرة مالا وولدا، كأنما اطلع الغيب فعلم ذلك، أو اتخذ عند الرحمن عهدا بأنه يعطيه مالا وولدا.

وجاء مفيدا التنبيه على قصة هذا الكافر، وماحدث منه، وماقاله، فذلك شيء غريب جدير بأن يتعجب منه، وأن يكون فيه معتبر لمن أراد أن يتذكر.

هذا، ومما هو جدير بالتنبيه أن المفسرين، حين يقولون إن أرأيت بمعنى أخبرني أو إن أرأيتم بمعنى أخبروني لايريدون أن هذا هو المعنى الحقيقي المراد، وإنما هم يشيرون إلى الأصل في استعمالها وأنها حينئذ علمية، وأنها تنصب مفعولين: المفعول الأول اسم مفرد يأتي بعدها ويكون هو المستخبر عنه، والمفعول الثاني جملة استفهامية هي متعلق الفعل ومناطه ومورده.

ففي هذه الآية (**أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولدا**) لايصح أن يقال إن (أرأيت) بمعنى أخبرني ويكون هذا المعنى هو المراد

لأنه دل على أن الله سبحانه وتعالى يطلب من محمد صلى الله عليه وسلم أن يخبره عن الذي كفر بالآيات وأقسم أنه سيؤتى في الآخرة مالا وولدا، وهذا المعنى لايصح ولايكاد يصح لأن الله سبحانه وتعالى منزه عن أن يستفهم استفهاما حقيقيا أو أن يستخبر عن شيء ما، فالله سبحانه وتعالى عالم بكل شيء لاتخفى عليه خافية.

أما المعنى المراد من استفهام (أرايت) في هذه الآية الكريمة فهو التعجب والتعجيب والتنبيه وقد سبق بيانه.

وهكذا في كل استفهام وفي كل صورة من صور (أرأيت) يكون المعنى المراد هو مايدل عليه السياق ويدركه التذوق السليم الناضج لأساليب الكلام.

أما إعراب (أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولدا، أطلع الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهدا).

ف (رأيت) علمية تنصب مفعولين: المفعول الأول هو اسم الموصول (الذي) وجملة (**كفر بآياتنا**) صلة الموصول لامحل لها من الإعراب، والمفعول الثاني هو الجملة الاستفهامية (**أطلع الغيب**). واللام في (**لأوتين مالا وولدا**) واقعة في جواب قسم محذوف، و(أوتينّ) فعل مضارع مبني للمجهول، مبنى على الفتح لاتصاله بنون التوكيد، وهو في محل رفع لتجرده من الناصب والجازم، وقيل إذا بني الفعل المضارع ولم يسبقه ناصب ولاجازم فلا محل له، ونائب الفاعل ضمير مستتر وجوبا تقديره أنا، و(مالا) مفعول به، و(ولدا) معطوف على (مالا). وجملة (**لأوتين مالا وولدا**) واقعة جواب قسم محذوف لامحل لها من الإعراب، والقسم المحذوف وجوابه في محل نصب مقول القول، وجملة (**قال لأوتين مالا وولدا**) معطوفة بالواو على جملة (**كفر بآياتنا**) فهى مثلها لامحل لها من الإعراب، لأنها صلة الموصول.

و(**أطلع الغيب**) الهمزة حرف استفهام، و(اطلع) فعل ماض متعد بنفسه هنا، والغيب مفعول به وليس منصوبا على نزع الخافض، وأصل (أطلع): (أإطلع) بهمزتين: الأولى مفتوحة وهي همزة الاستفهام، والثانية مكسورة وهي همزة الوصل، وفي مثل هذا يستغنى عن همزة الوصل المكسورة

فتحذف تخفيفا لأن اجتماع همزتين في أول الكلمة على هذا النحو ثقيل، و(**أم اتخذ عند الرحمن عهدا**) : (أم) متصلة عاطفة، و(اتخذ) فعل ماض وهو هنا متعد إلى مفعول به واحد وهو (عهدا)، و(عند) ظرف مكان متعلق باتخذ، وجملة (**اتخذ عند الرحمن عهدا**) معطوفة على (أطلع الغيب) فهي داخلة في حيز الاستفهام.

و(اتخذ) على وزن افتعل، وأصلها، إئتخذ بهمزتين: الأولى همزة وصل مكسورة، والثانية ساكنة هي فاء الكلمة، فاجتمع في أول الكلمة همزتان: الأولى متحركة والثانية ساكنة، فوجب قلب الثانية ياء لتجانس حركة ماقبلها، فصارت الكلمة إيتخذ، فأبدلت الياء تاء لوقوعها قبل تاء الافتعال وأدغمت في تاء الافتعال، فصارت الكلمة اتّخذ بتاءين: التاء الأولى هي التاء التي أبدلت من الياء المبدلة من الهمزة، والتاء الثانية هي تاء الافتعال.

الموضـــع الثالث

الموضع الثالث من مواضع استفهام (أرأيت) ورد في قوله تعالى:

﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾﴾

الآية (٤٣) م سورة الفرقان

تتضمن هذه الآية الكريمة : أرأيت يامحمد حال هؤلاء المشركين كيف يختار الرجل منهم الإله الذي يعبده بحسب ماتهوى نفسه وتحب، يعبد أحدهم الحجر فإذا رأى حجرا آخر أحسن من الأول شكلا وصورة رمى بإلهه الأول في الأرض واتخذ الثاني إلها يعبده من دون الله.

لست يامحمد وكيلا على هذا المشرك ولا كفيلا حتى ترده إلى الإيمان وتخرجه من الشرك، وإنما عليك البلاغ.

وقد جاء استفهام (أرأيت) في هذه الآية الكريمة مفيدا التعجب والتعجيب والتنبيه.

مفيدا التعجب والتعجيب من حال هذا المشرك الذي يتخذ إلهه حجرا لايسمع ولايعقل ولايضر ولاينفع، ثم هو يعبث بهذه الأحجار الآلهة فيرمي بها في الأرض إلها إثر إله تبعا لما تهواه نفسه و يزين له هواه.

ومفيدا التنبيه لحال هذا المشرك الغريبة الدالة على الجهل والغباء وغروب التفكير وعزوب التعقل، التنبيه لحال عبادته الحجارة واتخاذها آلهة من دون الله الواحد القهار، ثم استبداله بعضها ببعض بحسب ماتشتهيه نفسه وتلذّ به عينه.

أما إعراب استفهام (أرأيت) في هذه الآية الكريمة :

فقد جاء في تفسير الجلالين أن (أرأيت) بمعنى أخبرني، و بناء على ذلك هي علمية تنصب مفعولين: المفعول الأول اسم الموصول (مَنْ) في (**من اتخذ إلهه هواه**) وهو المستخبر عنه، والمفعول الثاني الجملة الاستفهامية: (**أفأنت تكون عليه وكيلا**) وهي متعلق الاستفهام ومناطه، وهمزة الاستفهام في (أفأنت) مؤكدة لهمزة الاستفهام في (أرأيت) وليست استفهاما جديدا، والفاء في (أفأنت) واقعة في جواب اسم الموصول (من)، وكثيرا مايعامل اسم الموصول معاملة الشرط فيكون له جواب مقترن بالفاء.

و(**اتخذ إلهه هواه**) : اتخذ فعل ماض تعدى إلى مفعولين في هذه الآية الكريمة: المفعول الأول (إلهه)، والمفعول الثاني (هواه) من غير تقديم ولا تأخير بين المفعولين لاستوائها في التعريف، وهذا هو رأي أبي حيان في تفسيره البحر المحيط، وذهب الزمخشري في تفسيره الكشاف إلى التقديم والتأخير بين المفعولين، فيكون (إلهه) هو المفعول الثاني وقد قدم للعناية به، و يكون هواه هو المفعول الأول.

وعلى الإعراب الذي اختاره أبو حيان يكون المعنى: جعل إلهه الشيء الذي يحب أن يكون إلها، أي لمجرد الشهوة وليس لاستحقاقه الألوهية، وعلى إعراب الزمخشري يكون المعنى: جعل هواه كأنه إله، فهو لايأتي عملا إلا إذا كان وفاقا لشهوته.

الموضـــع الرابـــع

الموضع الرابع لاستفهام (أرأيت) ورد في قوله تعالى:

أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿٢٠٤﴾ أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يُمَتَّعُونَ ﴿٢٠٧﴾

الآيات : (٢٠٤ ــ ٢٠٧) من سورة الشعراء

كان المشركون يقولون للرسول صلى الله عليه وسلم أشرا وبطرا واستهزاء: يامحمد، إلى متى تعدنا بالعذاب ولاتأتينابه؟! ظنا منهم أن العذاب غير كائن ولا لاحق بهم، فهاهم أولاء يُمتّعون بأعمار طوال في سلامة وأمن، ويعيشون حياة طويلة بلا عذاب، فنزل قوله تعالى: **(أفبعذابنا يستعجلون)** توبيخالهم وسخرية بهم وتعجبا من استعجالهم العذاب، وليس هناك من عاقل يستعجل عذابا، ثم قال تعالى بعد ذلك مايتضمن :

هب أن الأمر كما يعتقدون، فتعناهم في الحياة الدنيا زمانا طويلا في أمن ودعة، وعمرناهم أعمارا طوالا في سلامة وأمن، وأملينا لهم السنين المديدة، ثم جاءهم بعد هذا مايوعدون من العذاب الأليم، فأي شيء أغنى عنهم هذا التأخير الذي أخرناه في آجالهم، والمتاع الذي متعناهم به في الحياة الدنيا؟! لقد جنى عليهم التأخير، فازدادوا فيه إثما على إثم وجرما على جرم.

أما إعراب هذا الاستفهام : **(أفرأيت إن متعناهم سنين. ثم جاءهم ما كانوا يوعدون. ماأغنى عنهم ماكانوا يمتعون)** :

فقد جاء في تفسير البحر المحيط لأبي حيان وفي تفسير أبي السعود وفي تفسير الألوسى وفي تفسير الجلالين ــ جاء فيها أن (أرأيت) هنا بمعنى

أخبرني، وبناء على هذا تكون علمية تنصب مفعولين: المفعول الأول ــ وهو المستخبر عنه ــ ضمير محذوف يعود على اسم الموصول (ما) في قوله (**ماكانوا يوعدون**)، على أساس أن المسألة هنا من باب التنازع، فقد تنازع الفعلان: فعل (أرأيت) وفعل جاءهم، تنازعا اسم الموصول في قوله (**ماكانوا يوعدون**)، فالفعل الأول وهو (أرأيت) يطلب هذا الموصول على أنه مفعوله، والتقدير: أفرأيت ماكانوا يوعدون، والفعل الثاني وهو (جاءهم) يطلبه على أنه فاعل له، والتقدير: جاءهم ماكانوا يوعدون، فأعمل الثاني في المتنازع فيه، وأعمل الأول في ضمير المتنازع فيه وحذف ذلك الضمير، وجملة (**كانوا يوعدون**) صلة الموصول (ما) والعائد محذوف، والتقدير: ماكانوا يوعدونه.

أما المفعول الثاني ل (أرأيت) ــ وهو متعلق الاستفهام ومناطه ــ فالجملة الاستفهامية: (**ماأغنى عنهم ماكانوا يمتعون**). و(ما) الأولى في هذه الجملة الاستفهامية اسم استفهام في محل نصب مفعول مقدم لأغنى بمعنى أيَّ شيء أغنى ماكانوا يمتعون، و(ما) الثانية اسم موصول في محل رفع فاعل لأغنى، وجملة (**كانوا يمتعون**) صلة لامحل لها من الإعراب، والعائد محذوف تقديره (به)، ويجوز في (ما) الأولى أن تكون مفعولا مطلقا، وفي الثانية أن تكون مصدرية، وعلى هذا يكون التقدير: أيَّ إغناء أغنى عنهم تمتيع الله إياهم أو كونهم ممتعين.

أما جواب الشرط في قوله تعالى: (**إن متعناهم سنين**) فمحذوف يدل عليه الجملة الاستفهامية الواقعة مفعولا ثانيا، والتقدير: إن متعناهم سنين لم يغن عنهم تمتعهم.

أما استفهام (أفرأيت) في هذه الآيات الكريمة فقد جاء مفيدا التعجب والتعجيب من حال هؤلاء المشركين الذين كانوا يستعجلون عذاب الله استهزاء وسخرية حين طالت آجالهم فظنوا أن ليس هناك عذاب.

وجاء هذا الاستفهام مفيدا أيضا التنبيه على أن تمتيع الله تعالى هؤلاء المشركين بحياة طويلة آمنة وادعة لاينجيهم من عذابه تعالى ولايغني عنهم شيئا، فعذابه تعالى واقع بهم لامحالة، ولكن الله ــ جلت حكمته ــ تارة

يعجل العذاب، وتارة يُنظر ويمهل ولكنه لايهمل.

والخطاب في (أفرأيت) ليس مقصورا على الرسول صلى الله عليه وسلم، بل هو عام يشمل كل من يصلح أن يكون مخاطبا حتى المجرمين.

الموضع الخامس

الموضع الخامس لاستفهام (أرأيت) ورد في قوله تعالى:

﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ اللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾﴾

الآية (٢٣) من سورة الجاثية.

تتضمن هذه الآية الكريمة:

أفرأيت يامحمد من اتخذ إلهه ماتهواه نفسه، وخذله الله عن سبيل الهدى والرشاد على علم سابق منه تعالى بأنه لايهتدي ولو جاءته كل آية، وختم على سمعه فلايسمع آيات كتاب الله فيتدبرها، وختم على قلبه فلا يفهم مافي كتاب الله من النور والهدى، وجعل على بصره غشاوة فلا يبصر به حجج الله فيستدل بها على أنه لا إله إلا هو.

من كان على هذه الصفات فلن يهتدى، ولن يستطيع أحد من بعد الله أن يهديه إلى الحق وطريق الرشد.

أفلا تتذكرون أيها الناس وتتعظون وتعتبرون فتعلموا أن من فعل الله به هذا الفعل فلن يهتدى أبدا، ولن يجد لنفسه وليا مرشدا.

وقد جاء استفهام (أفرأيت) في هذه الآية الكريمة مفيدا التعجب والتعجيب والتنبيه:

مفيدا التعجب والتعجيب من حال هذا المشرك يترك عبادة الله الواحد الخالق الرازق القهار إلى عبادة الأصنام التي لاتفهم ولاتعقل ولاتضر

ولا تنفع، ثم هو لايستقر به الحال على معبود واحد، تراه اليوم يعبد حجرا فإذا رأى في الغد حجرا آخر أحسن انتقل إلى هذا ورمى بالأول في الأرض، وهكذا ينتقل من معبود إلى معبود بحسب ما يختار هواه الأرعن، وتزينه له نفسه الأمارة بالسوء، لقد ضل طريق الهدى والنور، فهو لايسمع آيات الله فيتبين فيها الحق والرشد، ولايبصر خلائقه العظيمة فيستدل بها على وحدانيته، وليس له قلب يعقل أو يفقه، فأنى له التذكر والتدبر فيدرك أن الله لا إله إلا هو، وأن هذه الأصنام التي يعبدها من دونه ضلال وباطل.

ويفيد هذا الاستفهام أيضا التنبيه لحال هذا المشرك الغبي الضال، يعبث بآلهته وينتقي منها ويختار كما يشاء هواه وتشتهي نفسه، ويصم أذنيه ويغمض عينيه ويغلق قلبه عما في هذا الكون الواسع الرائع من آيات وخلائق تشهد بربوبية الله تعالى ووحدانيته، وأنه وحده الذي يستحق العبادة.

إن حال هذا المشرك لجديرة بأن ينبه لها، وجديرة بأن تثير التعجب وتبعث على الاستغراب، وأن يكون فيها ذكرى الأولى الألباب.

وفي تفسير البحر المحيط وتفسير الجلالين أن (أفرأيت) هنا بمعنى أخبرني، فهي علمية تنصب مفعولين: المفعول الأول ــ وهو المستخبر عنه ــ اسم الموصول (مَنْ) في قوله تعالى **(من اتخذ إلهه هواه)**، وجملة اتخذ إلهه هواه صلة الموصول لامحل لها من الإعراب، وجملة **(أضله الله على علم)** صلة ثانية للموصول معطوفة بالواو على الصلة الأولى، وجملة **(ختم الله على سمعه وقلبه)** صلة ثالثة معطوفة بالواو على الصلة الأولى، وجملة **(جعل على بصره غشاوة)** صلة رابعة معطوفة بالواو على الصلة الأولى، والجار والمجرور **(على علم)** في صلة الموصول الثانية في محل نصب حال من لفظ الجلالة (الله) أضله الله وهو (تعالى) يعلم أن هذا المشرك لايهتدى ويجوز أن يكون الجار والمجرور حالا من الضمير المفعول به في (أضله)، والمعنى أضل الله هذا المشرك وهو (أي المشرك) يعلم الحق.

أما المفعول الثاني ل (أفرأيت) ــ وهو متعلق الاستفهام ومناطه ــ فقد جعله أبو حيان في تفسيره البحر المحيط محذوفا يدل عليه قوله تعالى **(فمن**

يهديه من بعد الله)، والتقدير عنده: أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة أيهتدى.

وفي حاشية الفتوحات الإلهية على تفسير الجلالين من يرى رأيا آخر فيجعل الجملة الاستفهامية: (فمن يهديه من بعد الله) هي المفعول الثاني وهي متعلق الاستفهام ومناطه، وعلى هذا تكون الفاء في هذه الجملة واقعة في جواب اسم الموصول، وكثيرا مايقترن جواب اسم الموصول بالفاء تشبيها له بالشرط، ولعل هذا الرأي أفضل من رأي أبى حيان لأنه لاتكلف فيه، ولأن مالايحتاج إلى تقدير أولى مما يحتاج.

الموضـــع السادس

الموضع السادس لاستفهام (أرأيت) ورد في قوله تعالى:

أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ ﴿٣٣﴾ وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰٓ ﴿٣٤﴾ أَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ ﴿٣٥﴾

الآيات (٣٣ ــ ٣٥) من سورة النجم.

ذكر أن هذه الآيات نزلت في رجل أسلم فلقيه من يعيّره بإسلامه وبترك ملة آبائه، فقال الرجل: إنى خشيت عذاب الله في الآخرة، فقال المعيّر: ارجع إلى دين آبائك وأنا أحمل عنك كل عذاب يكون عليك إن اعطيتني كذا وكذا، فارتد الرجل وأعطى المعيّر قليلا مما وعد ثم أمسك وشحّ.

وقد تضمنت الآية الأخيرة من هذه الآيات الثلاث: كيف يرتد هذا الرجل الذي أسلم عن إيمان وهو لايعلم الغيب، ولايعلم أن ماضمنه له صاحبه من حمل أوزاره يوم القيامة حق؟!

وقد جاء استفهام (أفرأيت) هنا مفيدا التعجب والتعجيب والتنبيه: أفاد التعجب والتعجيب من حال هذا الرجل: يسلم عن رضا وطواعية، ثم يرتد

عن الإسلام إلى الكفر من غير ما سبب سوى أنه عُيِّر بترك ملة الآباء والأجداد، ثم إنه يصدّق بضمان صاحبه أن يتحمل عنه عذاب الآخرة، مع أنه لايعلم الغيب ولايعلم أن ضمان صاحبه حق، ثم هو يعد بأن يعطى صاحبه مالاً مسمّى جزاء هذا الضمان الباطل، فيكذب، ولايفى بما وعد.

وجاء هذا الاستفهام مفيدا أيضا التنبيه على حال هذا الرجل المرتد: إسلام رضا وطواعية، ثم ردّة طائشة تقوم على جهالة الجاهلية، وقبول ضمان لادليل على صحته وصدقه، ثم وعد لايعقبه وفاء، إنها لحال جديرة بأن ينبه عليها، حال مثيرة للتعجب والاستغراب، باعثة على التذكر والتدبر والتفكير.

وفي تفسير البحر المحيط لأبى حيان وتفسير الجلالين أن (أفرأيت) هنا بمعنى أخبرنى، فهى علمية تنصب مفعولين: المفعول الأول ــ وهو المستخبر عنه ــ اسم الموصول (**الذي تولى**)، أما المفعول الثاني ــ وهو متعلق الاستخبار ومناطه ــ فهو الجملة الاستفهامية: (**أعنده علم الغيب فهو يرى**).

الموضع السابع والثامن والتاسع

أما الموضع السابع والثامن والتاسع لاستفهام (أرأيت) ففى قوله تعالى:

أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ﴿١٠﴾ أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ﴿١١﴾ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ ﴿١٢﴾ أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١٣﴾ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾

الآيات: (٩ ــ ١٤) من سورة العلق

جاء في تفسير الألوسى (جـ ٣٠ ص ١٨٣): «أخرج أحمد ومسلم والنسائي وغيرهم عن أبي هريرة أن أبا جهل حلف باللات والعزى لئن رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى ليطأنّ على رقبته وليعفرنّ وجهه، فأتى رسول الله عليه الصلاة والسلام وهو يصلى ليفعل، فما فجأهم منه إلا

وهو ينكص على عقبيه و يتقى بيديه، فقيل له مالك؟ فقال: إن بيني و بينه لخندقا من نار وهولا وأجنحة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لودنا مني لاختطفته الملائكة عضوا عضوا، وأنزل الله تعالى (**كلا إن الانسان ليطغى**) إلى آخر السورة (سورة العلق)» أ.هـ.

وكان من ضمن هذه الآيات التي نزلت الآيات المتقدمة المشتملة على استفهام (أرأيت): و(أرأيت) هنا في آياتها الثلاث بمعنى أخبرنى فهي علمية تنصب مفعولين: أما (أرأيت) الأولى: (**أرأيت الذي ينهى عبدا إذا صلى**) فمفعولها الأول ــ وهو المستخبر عنه ــ اسم الموصول (**الذي ينهى**)، ومفعولها الثاني ــ وهو متعلق الاستخبار ومناطه ــ محذوف يدل عليه (**ألم يعلم بأن الله يرى**)، والمعنى والتقدير: أرايت الذي ينهى (وهو أبو جهل) عبدا إذا صلى (وهو الرسول صلى الله عليه وسلم) ألم يعلم ذلك الناهى أن الله يراه فيحاسبه.

وعبر عن أبي جهل باسم الموصول (**الذي ينهى**) ليشمل كل ناه عن الصلاة، وعبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ب (عبدا) ــ وهي نكرة تدل على التعظيم ــ لتشمل كل منهى عن الصلاة، وعبر عن النبي بصيغة المضارع التي تدل على الحال والاستقبال لبيان أن ذلك النهي جدير بأن يستحضر و يظل عالقا بالأذهان لغرابته وأنه مما لاينقضي التعجب منه.

أما (أرأيت) الثانية: (**أرأيت إن كان على الهدى أو أمر بالتقوى**) فمفعولها الأول ــ وهو المستخبر عنه ــ ضمير محذوف يعود على الذي ينهى ــ وهو أبو جهل ــ ومفعولها الثاني ــ وهو متعلق الاستخبار ومناطه ــ محذوف أيضا يدل عليه (**ألم يعلم بأن الله يرى**).

والضمير المستتر في (كان) وفي (أمر) يعود على الذي ينهى وهو أبو جهل، وهذا رأي جماعة من المفسرين منهم الزمخشري وأبو السعود والألوسي، وعلى هذا الرأي قال البيضاوى في تفسيره: «والمعنى أخبرنى عمن ينهى بعض عباد الله عن صلاته إن كان ذلك الناهى على هدى فيما ينهى عنه أو آمر بالتقوى فيما يأمر به من عبادة الأوثان كما يعتقده .. (**ألم يعلم بأن الله يرى**) ويطلع على أحواله من هداه أو ضلاله» ا.هـ.

وذهب مفسرون آخرون منهم الطبرى وابن كثير وابن عاشور إلى أن الضمير المستتر في (كان) وفي (أمر) يعود على (عبدا) وهو الرسول صلى الله عليه وسلم، وإلى هذا الرأى أشار البيضاوى في تفسيره بقوله: «وقيل: المعنى: أرأيت الذي ينهى عبدا يصلى والمنهي على الهدى أمر بالتقوى» أ.هـ.

أما (أرأيت) الثالثة: **(أرأيت إن كذب وتولى ألم يعلم بأن الله يرى)** فمفعولها الأول ــ وهو المستخبر عنه ــ محذوف اختصارا يعود على الذي ينهى وهو أبو جهل، ومفعولها الثاني ــ وهو متعلق الاستخبار ومناطه ــ الجملة الاستفهامية: **(ألم يعلم بأن الله يرى)**.

أما الشرط الواقع بعد (أرأيت) الثانية والشرط الواقع بعد (أرأيت) الثالثة فجوابها محذوف يدل عليه الجملة الاستفهامية **(ألم يعلم بأن الله يرى)**.

والمراد بتاء الخطاب في (أرأيت) في آياتها الثلاث الرسول صلى الله عليه وسلم وكل من يصلح أن يكون مخاطبا.

وقد جاء استفهام (أرأيت) في آياتها الثلاث مفيدا التعجب والتعجيب والتنبيه والتهديد والتوعد.

التعجب والتعجيب من حال أبى جهل، فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم على الهدى و يأمر بالتقوى، و يدعو إلى عبادة الرازق الخالق، وإلى نبذ عبادة الأصنام التي لا تسمع ولا تعقل ولا تضر ولا تنفع، فكان ينبغى لأبى جهل أن يستجيب إلى دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم فيؤمن به و يصدقه، ولاسيما أنه قد عرف الرسول صلى الله عليه وسلم أمينا صادقا مستقيما، ولكن أبا جهل يكذب الأمين و يظل يعبد الأصنام، وزيادة في الكفر والعناد والجهالة حاول أن يمنع الرسول صلى الله عليه وسلم من الصلاة في المسجد الحرام حول الكعبة عند المقام، وهو يعلم أن الله تعالى يراه و يعلم فعله وأنه قادر على الانتقام منه.

وأفاد هذا الاستفهام أيضا التنبيه: التنبيه لحال تبعث على التعجب وتثير الاستغراب، وتدعو إلى التدبر والتبصر، حال أبى جهل ــ وما أكثر آباء

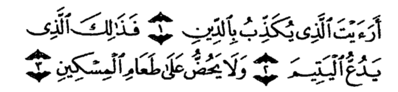
الجهل ــ فقد وقف إلى جانب الباطل وهو يعلم أنه باطل، وترك جانب الحق وهو يعلم أنه حق، وعبد الأصنام وهو يراها لا تسمع ولا تعقل ولا تضر ولا تنفع، وأعرض عن عبادة الله الواحد القهار، وكذب من يعلم صدقه وامانته وكان عليه أن يصدقه و يؤمن به.

و يفيد هذا الاستفهام أيضا التهديد والتوعد: تهديد أبي جهل وتوعده بأن الله تعالى ليس بغافل عما يفعل، فهو يراه وسوف ينتقم منه و ينزل به العذاب الأليم.

و يدخل مع أبى جهل في هذا التهديد والتوعد أمثاله الذين يمنعون مساجد الله أن يذكر فيها اسمه، ويحولون بين المسلمين وإقامة الصلاة.

الموضع العاشر

الموضع العاشر من مواضع استفهام (أرأيت) ورد في قوله تعالى:



الآيات: (١ ــ ٣) من سورة الماعون

وتتضمن هذه الآيات الكريمة:

أعلمت الذي يكفر باليوم الآخر ومافيه من بعث وحساب وثواب وعقاب من هو، وعلى أى صفة يكون؟! إن لم تكن قد علمته فذلك الذي يدع اليتيم عن حقه في خشونة، و يرده عن طعامه الذي يستحقه في غلظة، ولايحث نفسه ولاغيره على إطعام المساكين طعامهم دون منّة وتطاول، ذلك الذي يكفر باليوم الآخر ومافي اليوم الآخر، ولو كان قد آمن به، وبما يقع فيه مافعل الذي قد فعل من قسوة وغلظة وإمساك يد وشحّ.

والتاء في (أرأيت) خطاب للرسول صلى الله عليه وسلم، وقيل هي عامة تشمل كل من يصلح أن يكون مخاطبا.

و(أرأيت) قيل هى من الرؤية البصرية فتأخذ مفعولا واحدا، وقيل هي بمعنى أخبرنى فهي علمية تأخذ مفعولين: المفعول الأول: اسم الموصول (الذي يكذب بالدين)، وهو المستخبر عنه، والمفعول الثاني ـــ وهو متعلق الاستخبار ومناطه ـــ جملة استفهامية مقدرة والتقدير: أعلمت الذي يكذب بالدين من هو.

وقُدّر المفعول الثاني جملة استفهامية، لأن (أرأيت) التي بمعنى أخبرني لم يأت مفعولها الثاني مصرّحا به في القرآن الكريم إلا جملة استفهامية، فكان أن قُدّر هنا جملة استفهامية طرداً للأسلوب على نمط واحد وطريقة واحدة. والمراد ب (الذي يكذب بالدين) قيل هو شخص معيّن، وذكروا أشخاصا بأسمائهم، وقيل ـــ وهو الحق ـــ إنه على عمومه، فيشمل كل من كان مكذبا بالدين.

وقد أختلفت آراء العلماء في استفهام (أرأيت الذي يكذب بالدين)، فذهب ابن خالويه في كتابه (إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم) إلى أنه للتقرير والتنبيه، وذهب الفخر الرازى في تفسيره، والبيضاوى في تفسيره إلى أنه للتعجب، وقال أبو السعود في تفسيره إنه للتشويق والتعجب.

والذي يبدو لى أن استفهام (أرأيت) هنا يفيد التشويق والتعجب والتعجيب والتنبيه.

يفيد التشويق على معنى تشويق المخاطب وإثارة تطلعه واستشرافه إلى معرفة جواب هذا الاستفهام، حتى إذا جاءه الجواب تمكّن منه فضل تمكن.

ويفيد التعجب والتعجيب من حال الذي يكذب باليوم الآخر، فهو يدفع اليتيم عن طعام هو حقه، ولايحث غيره على إطعام المسكين طعاما يستحقه، يفعل فعل من لايرجو ثوابا ولايخاف عقابا.

ويفيد التنبيه : تنبيه المخاطب لأمر جدير بالتأمل والتبصر، وهو حال المكذب باليوم الآخر الذي يدفع اليتيم عن حقه، ويحرمه طعاما يستحقه ويقف منه موقف المتكبر المتعالى الذي لايبالى بحال هذا المسكين، ولايحض نفسه ولا الناس من حوله على إطعامه، يفعل ذلك كأنما هو لايرجو ثوابا ولايخاف عقابا، وهذا مما ينبغى للمؤمن أن يتقيه ويحذر منه.

٢ ــ أرأيتم.

الأسلوب الثاني من أساليب همزة الاستفهام الداخلة على الفعل الماضي (رأى) هو (أرأيتم)، وقد ورد هذا الأسلوب في واحد وعشرين موضعا:

الموضع الأول

الموضع الأول لاستفهام (أرأيتم) ورد في قوله تعالى:

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَـٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَـٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْـَٔايَـٰتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴿٤٦﴾﴾

الآية (٤٦) من سورة الأنعام

في هذه الآية الكريمة يأمر الله سبحانه وتعالى رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم أن يقول للمشركين مايتضمن:

أخبروني أيها المشركون إن ذهب الله بسمعكم فأصمكم، وذهب بأبصاركم فأعماكم، وختم على قلوبكم فأماتها، فصرتم لا تفقهون حجة، ولا تفهمون حديثا، أي إله غير الله يستطيع أن يردّ إليكم ماأخذ الله منكم.

ماأعجب أمرهم يامحمد!! نتابع عليهم الحجج الكثيرة، ونضرب لهم الأمثال المختلفة، ولكنهم مع هذا كله يعرضون عن الاعتبار والادكار والإنابة إلى الله الواحد القهار.

هذا، و(أرأيتم) هنا بمعنى أخبروني، والمستخبر عنه هو السمع والأبصار، ومتعلق الاستخبار ومناطه هو الجملة الاستفهامية: **(من إله غير الله يأتيكم به)**، وتقدير الكلام: أخبروني أيها المشركون عن سمعكم وأبصاركم من إله غير الله يأتيكم بها إن أخذها الله منكم.

أما إعراب (أرأيتم) فرأى هنا علمية تنصب مفعولين: المفعول الأول ضمير محذوف يعود على سمعكم وأبصاركم، و**(سمعكم وأبصاركم)** متنازع

فيه بين (أرأيتم) و(أخذ)، فأعمل الثاني في الظاهر، وأعمل الأول في ضميره وحذف ذلك الضمير. أما المفعول الثاني ل (أرأيتم) فهو الجملة الاستفهامية: (**من إله غير الله يأتيكم به**). وأما جواب الشرط (إن أخذ) فحذوف لدلالة ماقبله عليه، والتقدير: إن أخذ الله سمعكم وأبصاركم فأخبروني من يأتيكم بها.

أما إعراب (**من إله غير الله يأتيكم به**) فـ (مَنْ) اسم استفهام في محل رفع مبتدأ، و(إله) خبره، و(**غير الله**) صفة للخبر، وجملة (**يأتيكم به**) في محل رفع صفة ثانية للخبر، والضمير (به) يعود على مفعول أخذ المذكور سابقا، وقد أفرد هذا الضمير وذكّر لأنه أجرى مجرى اسم الإشارة: (ذاك).

وقد جاء استفهام (أرأيتم) هنا مفيدا التقريع والتوبيخ والتهديد والتنبيه: تقريع المشركين وتوبيخهم على عبادتهم الأصنام، وعلى إعراضهم عن عبادة الله المنعم عليهم بالسمع والأبصار والأفئدة.

وتهديدهم بأن يأخذ الله منهم هذه النعم التي أنعم الله بها عليهم، أن يأخذها منهم جزاء كفرهم، ولن تستطيع أصنامهم أن تردّ عليهم هذه النعم، فالأخذ والعطاء بيد الله وحده.

وتنبيههم على أنه ليس هناك إله غير الله يقدر على أن ينعم عليهم بهذه النعم، وأن يأخذها منهم حين يشاء، فالتعلق بغيره لاينفع ولايشفع.

الموضع الثاني

الموضع الثاني لاستفهام (أرأيتم) ورد في قوله تعالى:

قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُهُۥ بَيَٰتًا أَوْ نَهَارًا مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٥٠﴾ الآية (٥٠) من سورة يونس

في هذه الآية الكريمة يأمر الله سبحانه وتعالى رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم أن يقول للمشركين مايتضمن:

أخبروني أيها المشركون الذين تستعجلون العذاب، أخبروني عن عذاب

الله إن أتاكم ليلا وأنتم نائمون غافلون، أو نهارا وأنتم في طلب المعاش مشغولون، أي شيء تستعجلون منه أيها المجرمون وليس شيء من العذاب يستعجله عاقل؟! فالعذاب كله مرّ المذاق، تفزع منه القلوب وتنفر منه الطباع، والمجرمون أحق بأن يخافوا العذاب على إجرامهم، وأن يهلكوا فزعا من ذكره ومن مجيئه وإن أبطأ عليهم، فكيف تستعجلونه أيها المجرمون؟!

و(أرأيتم) هنا بمعنى أخبروني، والمستخبر عنه عذاب الله، ومتعلق الاستخبار ومناطه الجملة الاستفهامية : **(ماذا يستعجل منه المجرمون)**.

أما الإعراب ف (أرأيتم) علمية تنصب مفعولين : المفعول الأول ضمير محذوف يعود على **(عذاب الله)**.

وقد تنازع **(أرأيتم)** و**(أتاكم)** **(عذاب الله)**، فالفعل الأول وهو **(أرأيتم)** يطلب **(عذاب الله)** على أنه مفعول به، والفعل الثاني وهو **(أتاكم)** يطلبه على أنه فاعل، فأعمل الفعل الثاني في هذا الاسم الظاهر وهو عذاب الله وارتفع على الفاعلية، وأعمل الفعل الأول في ضمير هذا الاسم الظاهر وحذف هذا الضمير.

والمفعول الثاني ل (أرأيتم) هو الجملة الاستفهامية : **(ماذا يستعجل منه المجرمون)**، والرابط الذي ربطها بالمفعول الأول هو ضمير (منه)، و(بياتا) و(نهارا) منصوبان على الظرفية الزمانية متعلقان بأتاكم.

وإعراب **(ماذا يستعجل منه المجرمون)** : (ما) استفهامية في محل رفع مبتدأ، و(ذا) بمعنى الذي خبره، وجملة **(يستعجل منه المجرمون)** صلة، وقد حذف الضمير العائد على الموصول، والتقدير: ما الذي يستعجله من العذاب المجرمون، ويجوز أن تكون (ماذا) كلمة واحدة وتكون حينئذ في محل نصب مفعولا مقدما، و يكون التقدير: أيّ شيء من العذاب يستعجل المجرمون.

وجواب الشرط **(إن أتاكم)** محذوف دلّ عليه ماقبله وهو أرأيتم ومعمولها، والتقدير: إن أتاكم عذابه فأخبروني ماذا تستعجلون منه أيها المجرون.

هذا، وقال الزمخشري في تفسيره الكشاف : « وجواب الشرط **(إن أتاكم عذابه)** محذوف، وهو تندموا على الاستعجال أو تعرفوا الخطأ فيه » أ.هـ.

وقد ردّ أبو حيان في تفسيره البحر المحيط قول الزمخشري هذا وقال: «وما قدّره الزمخشري غير سائغ، لأنه لايقدر الجواب إلا مما تقدمه لفظا أو تقديرا، تقول أنت ظالم إن فعلت، فالتقدير: إن فعلت فأنت ظالم، وكذلك (أي مما تقدمه تقديرا) (وإنا إن شاء الله لمهتدون) التقدير: إن شاء الله نهتد» أ.هـ.

وقال الزمخشري أيضا عند تفسيره هذه الآية: «ويجوز أن يكون (**ماذا يستعجل منه المجرمون**) جوابا للشرط، كقولك إن أتيتك ماذا تطعمنى» أ.هـ.

وقد ردّ أبو حيان هذا الرأي أيضا بقوله: «وأما تجويزه أن يكون ماذا جوابا للشرط فلا يصح، لأن جواب الشرط إذا كان استفهاما فلابدّ فيه من الفاء، والمثال الذي ذكره وهو: إن أتيتك ماذا تطعمنى، هو من تمثيله لامن كلام العرب» أ.هـ.

وقد أفاد استفهام (أرأيتم) هنا تقريع المشركين وتوبيخهم على استعجالهم العذاب مع أنهم قوم مجرمون، فهم أحقاء أن يخشوه وأن يفزعوا من ذكره ، فكيف يستعجلونه.

وأفاد أيضا تهديد المشركين بأن الله تعالى قادر على أن ينزل بهم العذاب في أي وقت يشاء.

الموضع الثالث

الموضع الثالث لاستفهام (أرأيتم) ورد في قوله تعالى:

قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴿٥٩﴾

الآية (٥٩) من سورة يونس

في هذه الآية الكريمة يأمر الله سبحانه وتعالى رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم أن يقول للمشركين مايتضمن.

أخبروني أيها المشركون عما خلق الله لكم من رزق فحرّمتم بعضه على أنفسكم وحلّلتم بعضه لها، آلله أذن لكم أن تحرّموا ماحرمتم من هذا الرزق، وأن تحلّلوا ماحلّلتم منه، أم لم يأذن الله لكم فأنتم تكذبون على الله وتفترون.

و(أرأيتم) هنا بمعنى أخبروني، والمستخبر عنه ماأنزل الله لكم من رزق فجعلتم بعضه حراما وبعضه حلالا، ومتعلق الاستخبار ومناطه الجملة الاستفهامية: **(آلله أذن لكم أم على الله تفترون)**.

أما إعراب (أرأيتم) فهي علمية تنصب مفعولين: المفعول الأول اسم الموصول (ما)، والجملة بعد (ما) صلتها، والعائد محذوف، والتقدير: ماأنزله الله، والمفعول الثاني الجملة الاستفهامية: **(آلله أذن لكم)**، والرابط الذي ربط جملة المفعول الثاني بالمفعول الأول ضمير محذوف، والتقدير: آلله أذن لكم فيه.

و(قل) الثانية توكيد لفظي للأولى، و(أم) الظاهر فيها أنها متصلة عاطفه، والتقدير: آلله أذن لكم فيه أم لم يأذن.

وجوّز الزمخشري في كشافه أن تكون (أم) منقطعة بمعنى بل أتفترون على الله، أي أنتم تفترون على الله.

وجملة **(فجعلتم منه حراما وحلالا)** معطوفة على جملة **(أنزل الله لكم من رزق)**، و(حراما) مفعول ثان لجعلتم، والمفعول الأول هو (منه) باعتبار معناه أي بعضه، والتقدير: فجعلتم بعضه حراما وجعلتم بعضه حلالا.

وقد جاء استفهام (أرأيتم) هنا مفيدا تقريع المشركين وتوبيخهم على تحريمهم بعض مارزقهم الله، وتحليلهم بعضا آخر، يفعلون ذلك من عند أنفسهم، ثم ينسبونه إلى الله تعالى كذبا وافتراء.

الموضع الرابع

الموضع الرابع لاستفهام (أرأيتم) ورد في قوله تعالى:

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾
أَن لَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ

﴿٢٦﴾ فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا
مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ
ٱلرَّأْىِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍۭ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ
﴿٢٧﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى رَحْمَةً
مِّنْ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ ﴿٢٨﴾

الآيات : (٢٥ ــ ٢٨) من سورة هود

تتضمن هذه الآيات الكريمة أن الله سبحانه وتعالى قد أرسل نوحا إلى قومه فقال لهم: إنى رسول الله إليكم أخوفكم من عذاب الله وعقابه، وأبيّن لكم أن لا تعبدوا إلا الله، وأن لا تشركوا به شيئا، وإنى لأخشى عليكم أن يعذبكم الله عذابا أليما يوم القيامة إن لم تؤمنوا به وحده وتخلصوا له العبادة.

فقال الكبراء والأشراف الذين كفروا بالله من قوم نوح وجحدوا أنه نبي مرسل: مانراك يانوح إلا بشرا آدميا مثلنا، فكيف أوحي أليك من دوننا؟! ومانراك اتبعك إلا أراذلنا، وماكان اتباعهم لك عن تروٍّ وتدبر وإنعام نظر، وإنما كان رأيا عارضا ابتدرهم أول مادعوتهم، ثم مانرى لكم بعد أن تركتم عبادة الأوثان وصرتم إلى عبادة الله، مانرى لكم فضلا علينا يغرينا باتباعكم ويحبب إلينا دينكم الجديد، ومانظنكم إلا كاذبين فيما تدّعونه لأنفسكم من البر والصلاح والعبادة والسعادة في الآخرة التي تتحدثون عنها وتصفون.

وقد ردّ نوح على قومه ردًّا رفيقا ليّنا بعيدا عن الفظاظة والغلظة، فذلك أبعث على تخفيف مافي قلوبهم من حقد وغل وعداوة، وادعى إلى ترقيق قلوبهم وحسن إصغائهم وتخليهم عن التمادى في العناد والمكابرة، قال: ياقوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربي وآتانى النبوة من عنده رحمة منه تعالى بى وبكم، أنلزمكم قبولها وأنتم لها كارهون؟!، لا، لا نفعل ذلك، بل نكل أمركم إلى الله عزّ وجلّ يقضى فيكم بما يشاء، إنه الهادى إلى سواء السبيل.

هذا، و(أرأيتم) هنا بمعنى أخبروني، والمستخبر عنه هو البينة، ومتعلق الاستخبار ومناطه الجملة الاستفهامية: (**أنلزمكموها وأنتم لها كارهون**)، والتقدير: أخبروني عن البينة من ربي إن كنت عليها أنلزمكم قبولها وأنتم لها كارهون.

و(أرأيتم) هنا علمية تنصب مفعولين: المفعول الأول ضمير محذوف يعود على (بينة)، والمفعول الثاني هو الجملة الاستفهامية: (**أنلزمكموها وأنتم لها كارهون**) وجواب (إنْ) الشرطية محذوف دلّ عليه وأغنى عنه ماتقدّمه وهو (أرأيتم) ومفعولاها، والتقدير: إن كنت على بينة من ربي وآتاني رحمة من عنده فأخبروني عنها انكزمكموها وأنتم لها كارهون.

وإعراب (**أنلزمكموها وأنتم لها كارهون**): الهمزة حرف استفهام، ونلزم مضارع ألزم وهو متعد إلى مفعولين: المفعول الأول ضمير المخاطبين (كمو) والمفعول الثاني الضمير (ها) العائد على (بينة)، وجلة (**وأنتم لها كارهون**) في محل نصب على الحال من ضمير المخاطبين (كمو). والجملة الاستفهامية كلها بسبق القول إنها المفعول الثاني لأرأيتم.

وقد جاء استفهام (أرأيتم) هنا مفيدا الإنكار بمعنى النفي على معنى أن النبوة التي آتاه الله تعالى إياها رحمة به وبهم لايلزمهم قبولها ولايكرههم على الإيمان بها، وإنما عليه أن يبلغهم إياها، والله تعالى وحده هو الذي يتولى حسابهم، وهو الهادى إلى سبيل الرشاد.

الموضع الخامس

الموضع الخامس لاستفهام (أرأيتم) ورد في قوله تعالى:

۞ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ قَالَ
يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ
وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ
٦١ قَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَآ ۖ أَتَنْهَىٰنَآ أَن
نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ٦٢

قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي مِنْهُ رَحْمَةً فَمَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُۥ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ ﴿٦٣﴾

الآيات : (٦١ ــ ٦٣) من سورة هود

تتضمن هذه الآيات الكريمة أن الله سبحانه وتعالى أرسل النبي صالحا إلى قومه ثمود فقال لهم: ياقوم اعبدوا الله وحده لاشريك له، وليس هناك من إله يستحق العبادة غيره، هو الذي أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها، تنحتون من جبالها البيوت، وتشيدون في سهولها القصور، وتغرسون فيها الشجر، وتنبتون فيها الزرع، وتجنون ثمرا طيبا ورزقا كثيرا.

فاستغفروا الله بالإيمان به وإخلاص العبادة له واتباع ماأرسلت به يغفر لكم ذنوبكم، ثم توبوا إليه بترك مايكرهه من الأعمال إلى مايحبه و يرضاه يتب عليكم، إن الله قريب ممن يخلص له العبادة و يرغب إليه في التوبة، مجيب له إذا مادعاه.

قالت ثمود : لقد كنّا ياصالح من قبل أن تقول لنا اعبدوا الله مالكم من إله غيره نتوسم فيك سداد الرأي وحسن الخلق وشرف النسب، ونرجّى أن تكون فينا السيد المطاع الذي يحمى العشيرة، و ينصر الآلهه، و يعبد ما كان يعبد آباؤنا، أما بعد هذا القول الذي تقول، وهذه الدعوة التي تدعو، فلن تكون الفتى المرجوّ للشدائد والسيد المطاع في العشيرة.

ماكان ينبغى لك ياصالح أن تنهانا أنْ نعبد ماكان يعبد آباؤنا، وأن تأمرنا أن نعبد إلها واحدا لاشريك له، إنّا لفى شك مما تدعونا إليه. وإنا لنظنك من الكاذبين.

ولكن صالحا ردّ على قومه ردًا ليّنا بعيدا عن الفظاظة والغلظة، دون أن يستفزّه مافي جوابهم منْ جفوة وتكذيب.

قال ياقوم أرأيتم إن كنت على بيّنة من ربى وآتانى منه النبوة فمن ذا الذي يدفع عنى عقابه إن أنا عصيته فلم أبلغكموها واتبعتكم فيما تدعوننى إليه من الكفر، إنكم لا تز يدوننى في اتباعكم غير تضييع وتخسير.

والتعبير بحرف الشك (إن) في قول صالح لقومه: **(إن كنت على بيّنة من ربى)**، وفي قول نوح لقومه في الآية السابقة: **(إن كنت على بيّنة من ربى)**، وفي قول شعيب لقومه في الآية التالية: **(إن كنت على بيّنة من ربى)**، تعبير هؤلاء الأنبياء بهذا الحرف (إنْ) الذي كثيرا ما يستعمل في شك المتكلم في الفعل الواقع بعده، تعبير هؤلاء الأنبياء بهذا الحرف في مخاطبتهم لأقوامهم مع أنهم كانوا على يقين من أنهم على بيّنه من ربهم، لأنهم كانوا يخاطبون قوما جاحدين، ففيه رعاية لحسن المحاورة، واستنزال عن العناد والمكابرة، واستدراج لطيف لهؤلاء المشركين لعلهم يذّكرون.

و(أرأيم) هنا بمعنى أخبرونى، والمستخبر عنه هو البينة، ومتعلق الاستخبار ومناطه الجملة الاستفهامية: **(فمن ينصرنى من الله إن عصيته)**، والتقدير: أخبرونى عن البينة من ربي إن كنت عليها فمن ينصرنى من الله إن عصيته فلم ابلغكموها وكتمتها عنكم.

أما إعراب (أرأيتم) ف (رأى) هنا علمية تنصب مفعولين: المفعول الأول ضمير محذوف يعود على بينة، والمفعول الثاني هو الجملة الاستفهامية: **(فمن ينصرنى من الله إن عصيته)**، والرابط الذي ربط المفعول الثاني بالأول ضمير محذوف مقدر، والتقدير؛ فمن ينصرنى من الله إن عصيته بكتمانها.

وكون الجملة الاستفهامية هذه هي المفعول الثاني لأرأيتم رأي نقله صاحب الفتوحات الإلهية في حاشيته على الجلالين، وعلى هذا الرأي تكون الفاء الداخلة على الجملة الاستفهامية زائدة للتوكيد، وعلى هذا الرأي أيضا يكون جواب الشرط (إن كنت) محذوفا دل عليه ماقبله، وهو (أرأيتم) ومفعولاها، والتقدير: إن كنت على بينة من ربى وآتاني منه رحمة فأخبرونى عنها من ينصرنى من الله إن عصيته بكتمانها.

وقد ذهب أبو حيان في تفسيره البحر المحيط إلى أن الجملة الاستفهامية: **(فمن ينصرنى من الله إن عصيته)** واقعة في جواب الشرط، وليست هي المفعول الثاني لأرأيتم، وفي رأيه أن المفعول الثاني محذوف دلّ عليه هذه الجملة الاستفهامية وقدّره: أأعصيه في ترك ماأنا عليه من البينة.

أما الرأي القائل: إن الشرط والجملة الاستفهامية الواقعة في جوابه يسدان مسدّ مفعولي أرأيتم، فقد ردّه أبو حيان في تفسيره وقال: إن الشرط وجوابه لايقعان ولايسدّان مسدّ مفعولى أرأيتم.

وذهب أبو الحسن الأخفش إلى أن (أرأيت) إذا جاء بعدها الشرط وجاء بعد الشرط جملة استفهامية مقترنة بالفاء كما في هذه الآية تكون بمعنى أمّا ولايكون لها مفعولان ولامفعول واحد.

وقد ردّ أبو حيان في تفسيره البحر المحيط هذا الرأي بأنه إخراج لأرأيت عن مدلولها بالكلية.

وقد أفاد استفهام (أرأيتم) هنا التنبيه: تنبيه صالح قومه على أن الله تعالى قد آتاه النبوة وأصبح على بيّنة من ربه فلايستطيع بعد هذا إلا أن يدعوهم إلى عبادة الله وحده وأن ينهاهم عن عبادة الأصنام، وأنه إن لم يفعل ذلك فقد عصى الله تعالى وكان عاقبة أمره خسرا.

الموضع السادس

الموضع السادس لاستفهام (أرأيتم) ورد في قوله تعالى:

﴿٨٣﴾ ۞ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ
شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ
وَلَا تَنقُصُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ ۚ إِنِّىٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ
وَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾ وَيَٰقَوْمِ
أَوْفُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا تَبْخَسُوا۟
ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾
بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم
بِحَفِيظٍ ﴿٨٦﴾ قَالُوا۟ يَٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن

نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِيٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْۖ
إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن
كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًاۚ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ
أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُۚ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ
مَا ٱسْتَطَعْتُۚ وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾

الآيات : (٨٤ ــ ٨٨) من سورة هود

تتضمن هذه الآيات الكريمة أن الله سبحانه وتعالى قد أرسل إلى قوم مدين أخاهم شعيبا فقال: ياقوم اعبدوا الله وحده لاشريك له وانبذوا عبادة الأصنام، فمالكم من إله يستحق العبادة غير الله، ولا تنقصوا الناس حقوقهم إذا كلتم لهم أو وزنتم، إنى أراكم في سعة من العيش وكثرة من المال تغنيكم عن التطفيف في الميزان والمكيال.

وإنى أخاف عليكم من جراء عبادتكم الأصنام وهذا التطفيف أن ينزل الله بكم عذاب يوم يحيط بكم من كل جانب فلا ينجو منه أحد.

ويا قوم أوفوا الكيل والميزان حقهما بالعدل والقسط، سواء أكان الكيل والوزن لكم أم كان عليكم، ولا تبخسوا الناس أشياءهم سواء أكانت هذه الأشياء مما يكال أو يوزن أو يزرع أو يعدّ أم كانت غير ذلك، و ياقوم لا تسعوا في الأرض مفسدين مصالح الآخرين، هذه البقية التي تبقى لكم من الكسب الحلال ــ وإن قلت ــ خير لكم من كثير تبقونه لأنفسكم بالتطفيف، خيرلكم عند الله ثوابا وأحسن عقبى إن كنتم مؤمنين.

و ياقوم ماأنا عليكم بحفيظ أحفظ عليكم أعمالكم وأجازيكم عليها، وإنما عليّ أن أبلغكم رسالة ربي وأن أنصح لكم بما يرضى الله تعالى، وقد فعلت وأعذرت حين أنذرت.

قال قوم شعيب : أصلاتك ياشعيب تأمرك أن نترك مايعبد آباؤنا وأجدادنا من الأصنام، وتأمرك أن لانتصرف في أموالنا كما نشاء؟! إنك

لأنت الحليم الذي لايتسفزه الغضب، وإنك لأنت الرشيد الذي لايركبه الجهل والطيش!! وماكنا لنتوقع أن تأمرنا بأن نخرج على دين آبائك وأجدادك، وأن تنهانا عما نهيت فلا نربح في تجاراتنا إلا القليل.

قال لهم شعيب : ياقوم أرأيتم إن كنت نبيا مرسلا من الله تعالى إليكم لأدعوكم إلى عبادته تعالى وحده وأنهاكم عن عبادة الأصنام، وأحذركم من التطفيف وكسب أموال الناس بالباطل، ورزقنى الله رزقا حلالا طيبا، أيحق لى بعد ذلك أن أكتم الرسالة وأن أترك تبليغ ماأمرنى ربى عزّ وجلّ أن أبلغكموه، وأن أضل ضلالكم فأعبد ماتعبدون وأكسب الحرام كما تكسبون، لا، لايحق لى ذلك، إنى أخاف الله رب العالمين، فما كنت لأنهاكم عن أمر اركبه وآتيه، وماأريد فيما آمركم به وأنهاكم عنه إلا إصلاحكم وإصلاح أموركم مااستطعت إلى ذلك سبيلا، وماتوفيقى فيما أحاول من هذا الاصلاح إلا من الله، فهو المعين على ذلك، وعلى الله أتوكل وإليه أنيب.

هذا، وأرأيتم بمعنى أخبرونى، والمستخبر عنه هو البينة، ومتعلق الاستخبار ومناطه جملة استفهامية مقدرة، والتقدير: أخبرونى عن البيّنة الواضحة والنبوة الصادقة التي آتانيها الله أيحق لى أن لا أبلغكموها وأن لا أعمل بمقتضاها؟!.

و(رأى) في (أرأيتم) هنا علمية تنصب مفعولين: المفعول الأول ضمير محذوف يعود على بينة، والمفعول الثاني محذوف أيضا وهو جملة استفهامية مقدرة يدل عليها المعنى والسياق، والتقدير: أيحق لى أن أكتمها وأن لاأبلغكموها.

أما جواب الشرط (إن كنت) فحذوف، وقد دلّ عليه وأغنى عن ذكره ما تقدم عليه وهو أرأيتم ومفعولاها، والتقدير: إن كنت على بينة من ربى ورزقنى منه رزقا حسنا فأخبرونى عنها أيحق لى أن أكتمها وأن لاأبلغكموها.

وقد جاء استفهام (أرأيتم) هنا مفيدا التنبيه: تنبيه شعيب قومه على أن النبوة التي آتاه الله إياها، وأن الرسالة التي أمره الله بتبليغها ــ وهي أن يدعوهم إلى عبادة الله وحده، وإلى ترك عبادة الأصنام، وإلى الكف عن تطفيف الكيل والميزان ــ لايحق له أن يكتمها وأن يترك تبليغها، وأن يضل ضلالا كالذي ضلوا.

الموضـــع السابع

الموضع السابع لاستفهام (أرأيتم) ورد في قوله تعالى:

وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ
نَبَأَ إِبۡرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَا تَعۡبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُواْ
نَعۡبُدُ أَصۡنَامٗا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلۡ يَسۡمَعُونَكُمۡ إِذۡ
تَدۡعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوۡ يَنفَعُونَكُمۡ أَوۡ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُواْ بَلۡ وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا
كَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ ﴿٧٤﴾ قَالَ أَفَرَءَيۡتُم مَّا كُنتُمۡ تَعۡبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمۡ
وَءَابَآؤُكُمُ ٱلۡأَقۡدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمۡ عَدُوّٞ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ
﴿٧٧﴾ ٱلَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهۡدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِي هُوَ يُطۡعِمُنِي وَيَسۡقِينِ
﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ
يُحۡيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِيٓ أَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لِي خَطِيٓـَٔتِي يَوۡمَ ٱلدِّينِ
﴿٨٢﴾

الآيات : (٦٩ ــ ٨٢) من سورة الشعراء

أمر الله سبحانه وتعالى نبّيه محمدا صلى الله عليه وسلم أن يقص على قومه المشركين نبأ ابراهيم ــ عليه السلام ــ الذي تضمنته هذه الآيات الكريمة، وقد تضمنت:

قال ابراهيم لأبيه وقومه : أي شيء تعبدون؟ قالوا: نعبد أصناما فنظل على عبادتها عاكفين.

قال ابراهيم : أتسمع هذه الأصنام التي تعبدونها دعاءكم إذ تدعون؟ وهل تستطيع هذه الأصنام أن تنفعكم أو تضركم إن أرادت لكم النفع أو أرادت بكم الضر؟

قالوا : هم لايسمعوننا إذا دعوناهم، ولاينفعوننا شيئا ولايضرون، ولكننا عبدناهم لأننا وجدنا آباءنا من قبلنا يعبدون، فاتبعناهم واقتدينا بهم وفعلنا

مثل ماكانوا يفعلون.

قال ابراهيم : أخبروني عن هذه الأصنام التي تعبدونها أنتم وآباؤكم الأولون أتستحق العبادة وهي لا تسمع ولا تعقل ولا تضر ولا تنفع؟!

إنها عدوّ لى وأنا بريء مما تعبدون، ولا أعبد إلا رب العالمين الذي خلقنى فهو يهديني، والذي هو يطعمنى و يسقينى، وإذا مرضت فهو يشفينى، وهو الذي يميتنى ثم يحيينى، وهو الذي أطمع أن يغفر لى خطيئتى يوم الحساب.

إن الذي يفعل هذه الأفعال هو الذي يستحق أن يكون إلها يعبد، أما أصنامكم هذه التي اتخذتموها آلهة فلا تستحق العبادة، إنها لا تملك نفعا ولا ضرا ولا تستطيع شيئا.

هذا، و(أرأيتم) هنا بمعنى أخبرونى، والمستخبر عنه هو اسم الموصول، (**ماكنتم تعبدون**)، ومتعلق الاستخبار ومناطه جملة استفهامية مقدرة يدل عليها المعنى والسياق، والتقدير: أخبرونى عن الأصنام التي تعبدونها أنتم وآباؤكم الأقدمون أتستحق أن تعبد وهي لا تسمع ولا تعقل ولا تضر ولا تنفع.

و(رأى) في (أرأيتم) علمية تأخذ مفعولين: المفعول الأول اسم الموصول (**ماكنتم تعبدون**)، والمفعول الثاني جملة استفهامية مقدرة، وتقديرها: أيستحقون أن تعبدوهم وهم لايسمعون، ولايعقلون ولا ينفعون ولايضرون.

وقد أفاد استفهام (أرأيتم) هنا التنبيه: تنبيه ابراهيم عليه السلام أباه وقومه على أنهم يعبدون آلهة لا تضر ولا تنفع ولا تعقل ولا تسمع، ولذلك فهو لايحبها، وإنما يجب أن يعبد إلها قادرا على كل شيء هو رب العالمين، نبههم على ذلك لعلهم يتبيّنون أنهم على خطأ وأن آباءهم من قبلهم كانوا قوما خاطئين.

ولايخلو هذا الاستفهام من تودد وملاطفة واستدراج للوصول إلى الغرض وهو الإيمان بالله والإعراض عن عبادة الأصنام، وقد كان هذا سبيل الأنبياء نوح وصالح وشعيب في الآيات المتقدمة حين خاطبوا أقوامهم ب (أرأيتم).

الموضـــع الثامــن

الموضع الثامن لاستفهام (أرأيتم) ورد في قوله تعالى:

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾﴾

الآية (٧١) من سورة القصص.

في هذه الآية الكريمة يأمر الله سبحانه وتعالى نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم أن يقول للمشركين مايتضمن:

أخبروني أيها المشركون عن الليل إن جعله الله عليكم مستمرا متواصلا لايعقبه نهار إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بضياء بعده تبصرون فيه معايشكم و يصلح فيه نباتكم وثماركم.

أفلا تسمعون هذا الكلام سماع فهم وتدبر فتدركوا أن لا إله يستحق العبادة إلا الله.

و(أرايتم) هنا بمعنى أخبروني، والمستخبر عنه هو الليل، ومتعلق الاستخبار ومناطه هو الجملة الاستفهامية: **(من إله غير الله يأتيكم بضياء بعده).** وتقدير الكلام: أخبروني ــ أيها المشركون ــ عن الليل إن جعله الله عليكم مستمرا لاينقطع إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بضياء بعده تصلح به حياتكم.

و(رأى) في (أرأيتم) هنا علمية نصبت مفعولين: المفعول الأول ضمير محذوف يعود على الليل، والمفعول الثاني هو الجملة الاستفهامية: **(من إله غير الله يأتيكم بضياء)**، والرابط الذي يربط هذه الجملة الاستفهامية بالمفعول الأول ضمير محذوف، والتقدير: من إله غير الله يأتيكم بضياء بعده.

و(جعل) إذا كانت بمعنى (صيّر) أخذت مفعولين و يكون (الليل) هو المفعول الأول، و يكون (سرمدا) هو المفعول الثاني، وإذا كانت بمعنى خلق وأنشأ أخذت مفعولا به واحدا هو الليل، و يكون (سرمدا) حالا منه.

وجواب الشرط (إن جعل) محذوف دل عليه وأغنى عنه أرأيتم ومفعولاها، والتقدير: إن جعل الله عليكم الليل سرمدا إلى يوم القيامة فأخبروني عنه من إله غير الله يأتيكم بضياء بعده.

وإعراب **(من إله غير الله يأتيكم بضياء)**: (مَنْ) اسم استفهام في محل رفع مبتدأ، و(إله) خبره، و(غير الله) صفة أولى لإله وجملة **(يأتيكم بضياء)** في محل رفع صفة ثانية لإله، وقد سبق أن هذه الجملة الاستفهامية كلها في محل نصب مفعول ثان ل (رأى) في (أرأيتم).

واستفهام (أرأيتم) في هذه الآية الكريمة يفيد التوبيخ: توبيخ المشركين على عبادتهم غير الله وعلى تركهم عبادة الله الذي يعلمون أنه هو الذي يأتيهم بالضياء بعد الليل ليبتغوا فيه من فضله.

و يفيد أيضا التنبيه : تنبيه المشركين على أن الله وحده هو الذي يقدر على أن يأتي بالنهار بعد الليل ليبتغوا فيه من فضله، وأن أصنامهم التي يعبدونها من دون الله لا تقدر على ذلك، فعليهم أن يسمعوا آية الله هذه وأن يتدبروها فينصرفوا عن عبادة الأصنام، ويجعلوا عبادتهم خالصة لله الذي أنعم عليهم بهذه النعمة العظمى.

الموضـــع التاسـع

الموضع التاسع لاستفهام (أرأيتم) ورد في قوله تعالى:

قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَنْ إِلَـٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾

الآية (٧٢) من سورة القصص

في هذه الآية الكريمة يأمر الله سبحانه وتعالى رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم أن يقول للمشركين مايتضمن:

أخبروني أيها المشركون عن النهار إن جعله الله عليكم مستمرا متواصلا

لايعقبه ليل إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه وتستريحون من عناء طلب المعاش الذي كان في النهار، أفلا تبصرون في اختلاف الليل والنهار عليكم رحمة من الله لكم، وحجة منه عليكم، فتعلموا أن العبادة لاتجب إلا لمن أنعم عليكم بذلكم، ولمن هو القادر عليه.

و(أرأيتم) هنا بمعنى أخبروني، والمستخبر عنه هو النهار، ومتعلق الاستخبار ومناطه الجملة الاستفهامية: ﴿من إله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه﴾، وتقدير الكلام: أخبروني ــ أيها المشركون ــ عن النهار إن جعله الله عليكم سرمدا إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بليل بعده تسكنون فيه.

أما إعراب (أرأيتم) ومابعدها فقد سبق مثله في الموضع الثامن وأما استفهام (أرأيتم) هنا فيفيد التوبيخ: توبيخ المشركين على عبادتهم غير الله، وعلى تركهم عبادة الله الذي يعلمون أنه هو الذي يأتيهم بالليل من بعد النهار ليجدوا فيه السكينة والطمأنينة، فالله وحده هو الذي يستحق العبادة.

ويفيد هذا الاستفهام أيضا التنبيه: تنبيه المشركين على أن الله وحده هو الذي يقدر على أن يأتيهم بالليل من بعد النهار ليسكنوا فيه ويذوقوا طعم الراحة، فعليهم أن يبصروا آية الله هذه وأن يتدبروها، فيعرضوا عن عبادة الأصنام، ويخلصوا العبادة لله الذي أنعم عليهم بهذه المنة الكبرى.

الموضـــع العاشـــر

الموضع العاشر لاستفهام (أرأيتم) ورد في قوله تعالى:

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ بَلْ إِن يَعِدُ ٱلظَّٰلِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ﴿٤٠﴾﴾

الآية (٤٠) من سورة فاطر

في هذه الآية الكريمة يأمر الله سبحانه وتعالى رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم أن يقول للمشركين مايتضمن:

أخبروني ـــ أيها المشركون ـــ عن هؤلاء الذين تزعمونهم شركاء لله وتدعونهم من دونه، أخبروني أي شيء من الأرض استبدوا بخلقه، أم لهم شركة مع الله في خلق السموات، أم أن الله تعالى آتاهم كتابا من عنده فهم على حجة وبرهان منه بأنه تعالى قد اتخذهم شركاء له.

إن رؤساء الكفر والشرك حين يقولون لأتباعهم إن هذه الأصنام التي نعبدها شفعاء لنا عند الله، حين يقولون لهم ذلك إنما يقولون أباطيل تغرّ وتخدع.

و(أرأيتم) بمعنى أخبروني، والمستخبر عنه شركاؤهم الذين يدعونهم من دون الله، ومتعلق الاستخبار ومناطه الجملة الاستفهامية: **(ماذا خلقوا من الأرض)**، وتقدير الكلام: أخبروني عن هؤلاء الشركاء الذين تدعونهم من دون الله ماذا خلقوا من الأرض.

و(رأى) في (أرأيتم) علمية تتعدى إلى مفعولين: المفعول الأول **(شركاءكم)**، والمفعول الثاني الجملة الاستفهامية: **(ماذا خلقوا من الأرض)**، وعلى هذا الإعراب تكون جملة (أروني) معترضة بين المفعولين لتأكيد الكلام وتقويته، ويحتمل أن يكون (أرأيتم) و(أروني) قد تنازعا الجملة الاستفهامية فأعمل الثاني وأضمر في الأول وحذف.

وإعراب **(ماذا خلقوا من الأرض)**: (ما) اسم استفهام في محل رفع مبتدأ، و(ذا) بمعنى الذي في محل رفع خبر المبتدأ، وجملة **(خلقوا من الأرض)** صلة الموصول، والعائد ضمير محذوف تقديره: خلقوه، و**(من الأرض)** جار ومجرور في محل نصب حال من الضمير المحذوف.

ويجوز في (ماذا) أن تكون كلمة واحدة، فهي اسم استفهام في محل نصب مفعول به مقدم لخلقوا.

واستفهام (أرأيتم) في هذه الآية الكريمة يفيد التنبيه والتوبيخ: تنبيه المشركين على خطئهم في اتخاذهم الأصنام شركاء لله، فالاستفهام يلفت أنظارهم إلى أن هذه الأصنام لم تكن شركاء لله تعالى في خلق شيء من

الأرض، ولافي خلق شيء في السموات، ولم ينزل كتاب من عند الله تعالى يثبت هذه الشركة، فأنّى يكونون شركاء لله تعالى؟!

ويفيد هذا الاستفهام أيضا توبيخ هؤلاء المشركين وتقريعهم على اتخاذهم الأصنام شركاء لله تعالى وهم لايقدرون على شيء، مع أن الله عزّ وجلّ على كل شيء قدير.

الموضع الحادي عشر

الموضع الحادى عشر لاستفهام (أرأيتم) ورد في قوله تعالى:

وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ اللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾

الآية : (٣٨) من سوره الزمر

تتضمن هذه الآية الكريمة : ولئن سألت يامحمد هؤلاء المشركين الذين يعبدون الأصنام : من خلق السموات والأرض، ليقولن خلقهن الله.

وفي هذه الآية الكريمة يأمر الله سبحانه وتعالى رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم أن يقول للمشركين مايتضمن:

أخبروني ـ أيها المشركون ـ عن هذه الأصنام التي تدعونها من دون الله وتعبدونها، هل هن قادرات ـ إن أرادني الله بضر ـ أن يكشفن ذلك الضر، وهل هن قادرات ـ إن أرادني الله برحمة ـ أن يمسكن عنى تلك الرحمة.

وإذا كانت هذه الأصنام لاتملك نفعا ولاضرا، فالله الذي خلق

السموات والأرض القادر على كل شيء هو وحده الذي يستحق العبادة، وهو حسبي في إصابة الخير ودفع الضر، وعليه وحده يتوكل المتوكلون.

و(أرأيتم) هنا بمعنى أخبروني، والمستخبر عنه **(ماتدعون من دون الله)** ومتعلق الاستخبار ومناطه الجملة الاستفهامية: (هل هن كاشفات ضره، هل هن ممسكات رحمته)، وتقدير الكلام: أخبروني ــ أيها المشركون ــ عن هذه الأصنام التي تدعونها من دون الله، هل كاشفات الضر عني إن أرادني الله بضر، وهل هن ممسكات الرحمة عني إن أرادني الله برحمة.

و(رأى) في (أرأيتم) علمية تتعدى إلى مفعولين: المفعول الأول اسم الموصول (ما) في **(ماتدعون من دون الله)** والمفعول الثاني الجملة الاستفهامية: (هل هن كاشفات ضره، هل هن ممسكات رحمته)، والرابط الذي يربط المفعول الثاني بالمفعول الأول ضمير (هنّ) العائد على (ما) وقد أنث بالنظر إلى المعنى المراد من (ما) وهو الأصنام، وكثيرا ماكانوا يسمونها بأسماء الإناث كاللات والعزى ومناة.

وجواب الشرط : **(إن أرادني الله بضر، أو أرادني الله برحمة)** محذوف يدل عليه ويغني عن ذكره (أرأيتم) ومفعولاها، وتقدير هذا الجواب: فاخبروني عن هذه الأصنام هل هن كاشفات ضره أو ممسكات رحمته.

واستفهام (أفرأيتم) هنا يفيد التنبيه والتوبيخ : يفيد تنبيه المشركين على خطئهم في اتخاذهم الأصنام آلهة تعبد من دون الله، فالاستفهام يلفت أنظارهم إلى أن أصنامهم التي يعبدونها لا تدفع ضرا ولاتجلب نفعا، وإذن فهي لا تستحق العبادة ولا الألوهية، وأن الذي يستحق العبادة دون غيره هو الله وحده.

ويفيد تقريع المشركين وتوبيخهم على عبادتهم أصناما لاقدرة لها على الخير ولا على الشر، على حين يكفرون بوحدانية الله تعالى وإخلاص العبادة له وهو القادر على كل شيء القاهر فوق عباده.

الموضع الثاني عشر

الموضع الثاني عشر لاستفهام (أرأيتم) ورد في قوله تعالى:

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾﴾

الآية (٥٢) من سورة فصلت

تتضمن هذه الآية الكريمة أن الله سبحانه وتعالى أمر رسوله صلى الله عليه وسلم أن يقول للمشركين المكذبين بالقرآن الكريم مايتضمن:

أرأيتم ـ أيها المشركون ـ إن كان هذا القرآن الذي تكذبون به قد جئتكم به من عند الله ثم كفرتم به من غير نظر ولا اتباع دليل، أرأيتم أحدا أضل منكم، لاأحد أضل منكم أيها المكذبون الذين أبعدتم في الشقاق وأوغلتم في العداوة.

و(أرأيتم) بمعنى أخبرونى، والمستخبر عنه هم المخاطبون المكذبون بالقرآن، ومتعلق الاستخبار ومناطه الجملة الاستفهامية: **(من أضل ممن هو في شقاق بعيد)**. وتقدير الكلام: أخبرونى ـ أيها المشركون ـ عن حالكم إن كان هذا القرآن من عند الله ثم كفرتم به ـ من أضل منكم.

و(رأى) في (أرأيتم) هنا علمية تأخذ مفعولين: المفعول الأول ـ في رأى أبى حيان ـ محذوف، وتقديره: أرأيتم أنفسكم، والمفعول الثاني الجملة الاستفهامية: **(من أضل ممن هو في شقاق بعيد)**، والرابط الذي ربط المفعول الثاني بالمفعول الأول هو اسم الموصول (مَنْ) الذي خلف الضمير، إذ المعنى فأخبرونى من أضل منكم.

أما جواب الشرط **(إن كان)** فمحذوف يدل عليه ويغنى عن ذكره (أرأيتم) ومفعولاها، والتقدير: إن كان هذا القرآن من عند الله ثم كفرتم به فأخبرونى عن أنفسكم من أضل منكم.

ويفيد استفهام (أرأيتم) هنا توبيخ المشركين وتقريعهم على كفرهم بالقرآن أن يكون من عند الله دونما تبصر وتدبر، ودونما دليل عقلي أو نقلي.

ويفيد أيضا تنبيه المشركين على أن إنكارهم أن يكون القرآن من عند الله لم يكن مبنيا على دليل عقلي أو نقلي أو ناشئا عن بعد نظر وطول تدبر، وإنما كان ضلالا وعنادا.

الموضع الثالث عشر

الموضع الثالث عشر لاستفهام (أرأيتم) ورد في قوله تعالى:

قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن
دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ
ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ
صَٰدِقِينَ ﴿٤﴾

الآية (٤) من سورة الأحقاف

في هذه الآية الكريمة يأمر الله سبحانه وتعالى رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم أن يقول للمشركين مايتضمن:

أخبروني – أيها المشركون – عن هذه الأوثان التي تعبدونها من دون الله، أخبروني أي شيء خلقوا من الأرض فيكون لكم بذلك حجة في عبادتكم إياها، أم كان لهذه الأصنام مشاركة في خلق السموات فيكون لكم بذلك حجة في تلك العبادة؟!!

ائتوني – أيها المشركون – بكتاب من عند الله جاء قبل هذا القرآن يشهد بصحة ما أنتم عليه من عبادة غير الله، أو ائتوني ببقية من علم الأولين تثبت ذلك.

إن كنتم – أيها المشركون – صادقين فيما تدعون فهاتوا برهانكم فإن الدعوى بدون دليل لاتغني من الحق شيئا.

و(أرأيتم) هنا بمعنى أخبروني، والمستخبر عنه **(ماتدعون من دون الله)** ومتعلق الاستخبار ومناطه الجملة الاستفهامية: **(ماذا خلقوا من الأرض)**،

والمعنى: أخبروني ــ أيها المشركون ــ عن هذه الأصنام التي تعبدونها من دون الله، أي شيء خلقت من الأرض فاستحقت به أن تعبد.

و(رأى) في أرأيتم علمية تنصب مفعولين: المفعول الأول اسم الموصول (ما) في (**ماتدعون من دون الله**)، والمفعول الثاني الجملة الاستفهامية: (**ماذا خلقوا من الأرض**)، وأروني جملة معترضة بين المفعولين مؤكدة لأرأيتم، لأنهما على معنى واحد، فأرأيتم بمعنى أخبروني، وأروني بمعنى أخبروني.

ويجوز في (أروني) أن لا تكون معترضة، وحنيئذ تكون المسألة من باب التنازع: فأرأيتم وأروني تنازعا الجملة الاستفهامية: (**ماذا خلقوا من الأرض**)، فأرأيتم يطلبها على أنها مفعوله الثاني، وأروني يطلبها كذلك على أنها المفعول الثاني له، فأعمل الفعل الثاني، وأضمر في الأول وحذف. وقد مرّ إعراب (**ماذا خلقوا من الأرض**) في الموضع العاشر.

وقد جاء استفهام (أرأيتم) هنا مفيدا التقريع والتوبيخ ومفيدا التنبيه: تقريع المشركين وتوبيخهم على عبادتهم غير الله مع علمهم أن الأصنام وغير الأصنام مما يعبد من دون الله ليست على شيء تستحق به أن تعبد، فهي لم تخلق شيئا في الأرض ولاشيئا في السماء، ولم ينزل بصحة عبادتها كتاب من عند الله، ولم يؤثر عن الأولين مايثبت صحة تلك العبادة.

وقد نبّه هذا الاستفهام المشركين ولفت أنظارهم إلى أن هذه الأصنام التي يعبدونها لم تخلق شيئا في الأرض ولاشيئا في السموات، ولم تثبت صحة عبادتها في كتاب منزل ولافي علم أثر عن الأولين، فكيف تصح عبادتها، وبأي شيء تستحق هذه العبادة؟!!

الذي يستحق العبادة هو الذي خلق الأرض والسموات وحده، والذي أنزلت الكتب من لدنه تثبت وحدانيته جلّ وعلا.

الموضع الرابع عشر

الموضع الرابع عشر لاستفهام (أرأيتم) ورد في قوله تعالى:

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٠﴾

الآية (١٠) من سورة الأحقاف

في هذه الآية الكريمة يأمر الله سبحانه وتعالى رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم أن يقول للمشركين الكافرين بالقرآن مايتضمن:

أخبرونى — أيها الكافرون — إن كان هذا القرآن من عند الله وكذبتم به وشهد شاهد عظيم الشأن من بنى إسرائيل على التوراة التي هي مثل القرآن في أنها من عند الله، فآمن هذا الشاهد بالقرآن أنه من عند الله، واستكبرتم أنتم عن الإيمان به، أخبرونى من أظلم منكم؟!! إن الله لايهدى القوم الظالمين الذين يظلمون أنفسهم فيكذبون بالقرآن ومن أنزل عليه القرآن.

والمراد ب **(شهد شاهد من بني إسرائيل)** عبد الله بن سلام في أكثر الآراء.

و(أرأيتم) هنا بمعنى أخبرونى، والمستخبر عنه محذوف، ومتعلق الاستخبارومناطه جملة استفهامية محذوفة أيضا، والتقدير: أخبرونى عن **حالكم** — إن كان هذا القرآن من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بنى إسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم — **ألستم ظالمين.**

و(رأى) في (أرأيتم) علمية تنصب مفعولين، وقد حذفا لدلالة المعنى عليها، وتقديرهما: أرأيتم **حالكم ... ألستم ظالمين**، فحالكم هو المفعول الأول، والجملة الاستفهامية: (ألستم ظالمين) هي المفعول الثاني.

وجواب الشرط (إن كان) محذوف يدل عليه ويغنى عن ذكره قوله تعالى: **(إن الله لايهدى القوم الظالمين)**، وقدره أبو حيان: فقد ظلمتم.

وفي جواب الشرط هذا آراء أخرى ذكرها أبو حيان في تفسيره البحر المحيط وذكرها صاحب الفتوحات الإلهية في حاشيته على تفسير الجلالين.

وجيء في الشرط **(إن كان من عند الله)** بحرف (إنْ) الذي من شأنه أن يدخل على الشرط غير المجزوم بوقوعه، جيء به مراعاة لحال المخاطبين على نحو ماسبق بيانه في الموضع الخامس في قول الأنبياء: نوح وصالح وشعيب لأقوامهم: **(إن كنت على بينة من ربى)** مع أنهم كانوا على يقين من تلك البينة.

واستفهام (أرأيتم) هنا يفيد توبيخ المشركين على كفرهم بالقرآن أن يكون من عند الله، مع أنه قد شهد شاهد عظيم الشأن من علماء بني إسرائيل على كتاب آخر مماثل للقرآن وهو التوراة بأنه من عند الله وآمن هذا الشاهد بأن القرآن من عند الله.

وكانت شهادة علماء بنى إسرائيل حجة لأن هؤلاء المشركين كانوا يثقون فيهم و يصدقونهم.

و يفيد هذا الاستفهام أيضا التنبيه: تنبيه المشركين على أن كفرهم بالقرآن لا يقوم على حجة، وفيه مخالفة لشهادة شاهد من بني إسرائيل الذين كانوا يظنون فيهم الصدق.

الموضع الخامس عشر

الموضع الخامس عشر لاستفهام (أرأيتم) ورد في قوله تعالى:

أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ
ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ
ضِيزَىٰٓ ﴿٢٢﴾ إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ
ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ
وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٢٣﴾

الآيات: (١٩ ــ ٢٣) من سورة النجم.

جاء في تفسير ابن كثير لهذه الآيات الكريمة ماملخصه: كان للمشركين العرب أصنام وطواغيت كثيرة يعظمونها و يتخذون لها البيوت والحجاب والسدنة، و يطوفون بها، ويجعلونها أندادا وشركاء لله تعالى، و يعبدونها من دونه عزّ وجلّ، وقد أفرد القرآن الكريم هذه الأصنام الثلاثة: اللات والعزى ومناة، أفردها بالذكر لأنها كانت أشهر من غيرها، وقد أنث المشركون هذه الأصنام وسموها بأسماء الإناث وجعلوها بنات الله سبحانه وتعالى، وقد قرّع الله تعالى هؤلاء المشركين ووبخهم بما يتضمن: أتجعلون لله أولادا وتجعلون هؤلاء الأولاد إناثا، والإناث في زعمكم نوع مذموم، وتختارون لأنفسكم النوع الذي تستحسنونه وتفضلونه وهو الذكور، ولو كانت هذه القسمة بينكم و بين مخلوقين مثلكم لكانت قسمة جائرة فيها جهالة وسفاهة، فكيف وقد جعلتموها بينكم و بين ربكم.

ثم قال تعالى منكرا عليهمماابتدعوه من الكذب والافتراء والكفر في عبادة الأصنام وتسميتها آلهة، قال تعالى مايتضمن: مااللات والعزى ومناة إلا أسماء حجارة سميتموها أنتم وآباؤكم من تلقاء أنفسكم، ماأنزل الله بألوهيتها من حجة وسلطان، وإنما تعتمدون في ذلك على حسن ظنكم بآبائكم الذين سلكوا هذا المسلك الباطل من قبلكم، وعلى حب أنفسكم للرئاسة وتعظيم آبائكم الأقدمين، ولقد أرسل الله إليكم الرسل بالحق المنير والحجة القاطعة، ولكنكم لم تتبعوها ولم تهتدوا بهديها. أ.هـ.

و(أرأيتم) هنا بمعنى أخبروني، والمستخبر عنه هو اللات والعزى ومناة، ومتعلق الاستخبار ومناطه هو الجملة الاستفهامية: (**الكم الذكر وله الأنثى**)، والمعنى: أخبروني — أيها المشركون — عن هذه الأصنام الثلاثة، كيف جعلتموهن بنات الله، والبنات في زعمكم معرّة وذم، ثم خصصتم أنفسكم بالنوع الأفضل فيما تزعمون وهم الذكور، والله سبحانه وتعالى منزّه عن الولد ذكرا كان أم أنثى؟!!

إن هذه القسمة لو كانت بينكم و بين مخلوقين أمثالكم لكانت قسمة جائرة فيها ظلم وسفاهة، فكيف وقد جعلتموها بينكم و بين ربكم ذي الجلال والإكرام.

و(رأى) في (أرأيتم) علمية تأخذ مفعولين : المفعول الأول : اللات وماعطف عليها، والمفعول الثاني: الجملة الاستفهامية : (**ألكم الذكر وله الأنثى)** ــ وهذا رأى أبي حيان في تفسيره البحر المحيط، والرابط الذي يربط المفعول الثاني بالمفعول الأول قوله (الأنثى)، لأن المعنى: ألكم الذكر وله هنّ أى تلك الأصنام، فأغنى هذا الإسم الظاهر عن الضمير، وإنما أوثر هذا الاسم الظاهر لوقوعه رأس فاصلة روعي فيها الفواصل الأخرى.

وهناك آراء أخرى كثيرة في تقدير المفعول الثاني المحذوف ذكرها الألوسي في تفسيره روح المعانى.

واستفهام (أرأيتم) هنا جاء مفيدا الإنكار والتوبيخ: فالله سبحانه وتعالى ينكر على المشركين و يعيبهم و يوبخهم أن يجعلوا اللات والعزى ومناة بنات الله، مع أن البنات في زعمهم مذمومات يستنكفون منهن، فكيف يخصون الله خالقهم بهن، ويخصون أنفسهم بمن هو أفضل في زعمهم وهم الذكور، مع أن الله سبحانه وتعالى منزه عن الولد سواء أكان ذكرا أم أنثى.

الموضع السادس عشر

الموضع السادس عشر لاستفهام (أرأيتم) ورد في قوله تعالى :

نَحْنُ خَلَقْنَٰكُمْ فَلَوْلَا
تُصَدِّقُونَ ﴿٥٧﴾ أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ
ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٥٩﴾ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾
عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ
عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾

الآيات : (٥٧ ــ ٦٢) من سورة الواقعة.

تتضمن هذه الآيات الكريمة الردّ على أهل الزيغ والإلحاد الذين كانوا يكذبون بالبعث، **(وكانوا يقولون أإذا متنا وكنا ترابا وعظاما أإنا لمبعوثون أو آباؤنا الأولون)**.

والردّ الذي تضمنته هذه الآيات: أن الله سبحانه وتعالى قد خلقكم أيها الكافرون ابتداء بعد أن لم تكونوا شيئا مذكورا، والذي يقدر على البدء يقدر على الإعادة، فهلا تصدقون بالاعادة وتقرون بها كما أقررتم بالنشأة الأولى.

أخبروني عن المنيّ الذي تريقونه في الأرحام أأنتم تخلقونه وتنشئونه أم الله؟ ولامفرّ من أن تقروا بأن الله هو خالق هذا المنيّ، فكيف تنكرون قدرته على البعث؟!

والله هو الذي يصرّف الموت بينكم كيف يشاء، فيجعل لموت كل إنسان موعدا لايتقدم عليه ولايتأخر، ولايستطيع أحد أن يغلب الله تعالى على هذا التصريف فيطيل عمر من يقصر الله عمره، أو يقصر عمر من يطيل الله عمره، أو يهرب من الموت فيكون من الخالدين.

والله تعالى قادر على أن يميتكم وينشيء بدلا منكم آخرين أمثالكم، وقادر على أن يغيركم خَلْقا وخُلُقا وينشئكم في صفات لاتعلمونها ولاتخطر لكم على بال.

ولقد علمتم النشأة الأولى وهى خلق آدم من طين، فهلا تذكّرون وتعتبرون فتعلموا أن الذي أنشأكم النشأة الأولى قادر على أن يعيدكم أحياء من بعد الممات والفناء.

هذا، و(أرأيتم) هنا بمعنى أخبروني، والمستخبر عنه (ماتمنون)، ومتعلق الاستخبار ومناطه الجملة الاستفهامية: (**أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون**).
والمعنى: أخبروني عن المنيّ الذي تمنونه في الأرحام أأنتم تخلقونه أم الله.

وإعراب (**أرأيتم ماتمنون أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون**): (رأى) في (أرأيتم) علمية تأخذ مفعولين: المفعول الأول اسم الموصول (ما) وجملة (تمنون) صلته، والعائد ضمير محذوف، والتقدير: ماتمنونه، والمفعول الثاني الجملة الاستفهامية (**أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون**)، و(أنتم) مبتدأ، وجملة (تخلقونه) خبره، و(أم) عاطفة متصلة، وقد اعترض على كونها متصلة بأن المتصلة هي التي تعطف المفردات، وهنا جاء بعدها جملة من مبتدأ وخبر، وأجيب عن هذا بأن (الخالقون) جاء توكيدا للفعل السابق وهو (تخلقون)، وجاء أيضا لمراعاة الفواصل، فلو قيل أأنتم تخلقونه أم نحن لاكتفى به وتم المعنى المراد، وعلى هذا فالجملة بعد أم في تأويل المفرد.

وجوّز بعض العلماء أن تكون (أم) منقطعة بمعنى بل، والكلام معها يفيد التقرير، والمعنى: بل نحن الخالقون، وفي رأيي أن هذا لايخلو من بعد وتكلف، وهو خلاف المعنى المتبادر.

واستفهام (أرأيتم) هنا يفيد التقرير والتوبيخ: التقرير بمعنى طلب الاعتراف بالإجابة عن السؤال الذي تضمنته (أرأيتم) مع مفعوليها وهو: أخبروني مَنْ خالق المني الذي تمنونه في الأرحام: أأنتم أم الله.

ولما كانت إجابتهم عن السؤال معلومة لايشك فيها، وهي أن الله هو الخالق ــ استغنى عن ذكرها.

ويفيد هذا الاستفهام أيضا توبيخ هؤلاء المشركين على إنكارهم البعث، وتكذيبهم بقدرة الله تعالى عليه، مع أنهم يعترفون بأنه تعالى هو الذي خلقهم وأنشأهم أول مرة، وكان مقتضى اعترافهم هذا أن يؤمنوا بالبعث، لأن القادر على الخلق ابتداء قادر على الإعادة.

الموضع السابع عشر

الموضع السابع عشر لاستفهام (أرأيتم) ورد في قوله تعالى:

أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٦٧﴾

الآيات: (٦٣ ــ ٦٧) من سورة الواقعة

يرد الله سبحانه وتعالى على المشركين الذين ينكرون البعث فيقول لهم ما يتضمن: أخبروني عن البذر اليابس الميت الذي تبذرونه في الأرض التي تحرثون، أأنتم تنبتونه وتجعلونه زرعا حيّاً ناميا يزهو ويرفّ، أم نحن؟ فإذا أقررتم بأن الله هو الذي يفعل ذلك ــ ولا محيص لكم عن هذا الإقرار ــ فكيف تنكرون قدرته تعالى على إخراج الأموات من الأرض وإعادتهم أحياء؟!!

لو يشاء الله لجعل هذا الزرع الأخضر اليانع حطاما لاخير فيه، فتصيبكم الحسرة والندم مما نزل به، وتظلون على ذلك تقولون إنا لمهلكون، قد ذهب الذي بذرناه في الأرض سدى من غير عوض، وحرمنا ماكنا نرجوه من رزق وغلال وطعام!!

و(أرأيتم) هنا بمعنى اخبروني، والمستخبر عنه البذر الذي يبذرونه في الأرض التي يحرثون، ومتعلق الاستخبار ومناطه الجملة الاستفهامية: (**أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون**).

والمعنى: أخبروني ــ أيها المشركون ــ عن البذر الذي تبذرونه في الأرض التي تحرثون، أأنتم تنبتونه وتجعلونه زرعا أخضر ينمو و يرفّ و يعجب أم الله؟

وقد جاء استفهام (أرأيتم) هنا مفيدا التقرير والتوبيخ: التقرير بمعنى طلب الاعتراف بالإجابة عن السؤال الذي تضمنته (أرأيتم) مع مفعوليها، وهو أخبروني عن البذر اليابس الميت الذي تلقونه في الأرض التي تحرثونها، مَنْ ينبته لكم فيجعله زرعاً حيًّا ناميا زاهيا، أأنتم أم الله؟

ولما كانت الإجابة عن هذا السؤال معلومة لايشك فيها، وهي اعترافهم بأن الله جلّت قدرته هو الذي يفعل ذلك ــ استغنى عن ذكر هذه الإجابة.

و يفيد هذا الاستفهام أيضا التوبيخ: توبيخ هؤلاء المشركين على إنكارهم البعث وتكذيبهم بقدرة الله عزّ وجلّ على إحيائهم بعد الموت، مع أنهم يشاهدون الدلائل والبراهين تملأ عليهم أبصارهم، ومنها هذا البذر الذي يلقونه في الأرض ميتا يابسا فيجعله الله تعالى زرعا حيًّا ناميا زاهيا.

وإعراب (أرأيتم) ومفعوليها قد مضى مثله في قوله تعالى في الموضع السادس عشر (**أفرأيتم ماتمنون. أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون**).

الموضع الثامن عشر

الموضع الثامن عشر لاستفهام (أرأيتم) ورد في قوله تعالى:

﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ۝٦٨ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ۝٦٩ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ۝٧٠﴾

الآيات: (٦٨ — ٧٠) من سورة الواقعة.

يخاطب الله جلّ وعلا في هذه الآيات الكريمة المشركين الذين كانوا ينكرون البعث، يخاطبهم بما يتضمن: أخبروني عن هذا الماء الذي تشربون، أأنتم خلقتموه عذبا صالحا للشرب وأنزلتموه من السحاب أم نحن الخالقون المنزلون؟

إنّا نحن الخالقون المنزلون، وهذا مالاسبيل إلى إنكاره، ولو شئنا لأمسكناه عنكم أو جعلناه مِلْحا زعاقا لا تنتفعون منه في شرب ولازرع ولافي شيء غير ذلك.

فهلا تشكرون الله الذي أنشأ لكم هذا الماء وأنزله عليكم عذبا فراتا سائغا تشربون منه وتحيون ويحيابه كل شيء حي.

فهلا تشكرون الله وتنبذون هذا الكفر الذي أنتم فيه وهذا الشرك الذي أنتم عليه، وهلا تعترفون بقدرة الله تعالى على أن يخلقكم مرة ثانية كما تعترفون بأنه الذي يخلق الماء في السحاب وينزله عليكم فيكون سببا في حياتكم وحياة ماحولكم من زرع وحيوان ونبات!!

و(أرأيتم) هنا بمعنى أخبروني، والمستخبر عنه الماء الذي يشربونه، ومتعلق الاستخبار ومناطه الجملة الاستفهامية: (**أأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون**)، والمعنى: أخبروني أيها المشركون الذين تنكرون البعث وقدرة الله على هذا البعث، أخبروني عن هذا الماء الذي تشربونه عذبا فراتا فيكون به حياتكم، أأنتم أنشأتموه في السحاب وأنزلتموه منه أم نحن المنشئون المنزلون؟!

وقد جاء استفهام (أرأيتم) هنا مفيدا التقرير والتوبيخ: التقرير على معنى طلب الاعتراف بالإجابة عن السؤال الذي تضمنته (أرأيتم) مع مفعوليها وهو: أخبروني عن الماء الذي تشربونه، أأنتم خلقتموه عذبا صالحا للشرب وأنزلتموه من السحاب أم نحن المنزلون؟

ولما كانت الإجابة عن هذا السؤال معروفة لايشك فيها وهي اعترافهم بأن الله تعالى هو الذي يفعل ذلك ـــ استغنى عن ذكر هذه الإجابة.

ويفيد هذا الاستفهام توبيخ هؤلاء المشركين على إنكارهم قدرة الله تعالى على بعثهم بعد الممات، على حين يعترفون بقدرته تعالى على خلق الماء في السحاب وإنزاله عليهم فيكون سببا في حياتهم.

وقد سبق إعراب مثل هذا الاستفهام في قوله تعالى في الموضع السادس عشر: (**أفرأيتم ماتمنون. أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون**).

الموضع التاسع عشر

الموضع التاسع عشر لاستفهام (أرأيت) ورد في قوله تعالى:

أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ
نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ
﴿٧٣﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾

الآيات: (٧١ ـــ ٧٤) من سورة الواقعة

في هذه الآيات الكريمة يردّ الله سبحانه وتعالى على المشركين الذين ينكرون البعث ويكذبون بقدرة الله تعالى عليه، يردّ عليهم بما يتضمن: أخبروني ـــ أيها المشركون ـــ عن هذه النار التي تخرج من الشجر الأخضر بحك بعضه ببعض، أأنتم أنشأتم شجرتها وخلقتم النار التي فيها أم نحن المنشئون الخالقون؟

نحن جعلنا تلك النار تذكرة وتبصرة لمن يذّكر ويعتبر ويفكر، فيدرك أن القادر على أن يجعل النار تخرج من الشجر الأخضر المضاد لها قادر على أن

يجعل الأموات أحياء يوم القيامة.

ونحن جعلناها أيضا نافعة ومتاعا لأولئك الذين هم في أشد الحاجة إليها، أولئك الذين يعيشون في القفار بعيدين عن حياة الحضر والاستقرار.

وبعد أن ذكر الله جلّ جلاله الأمور الأربعة السابقة وهي: (**أفرأيتم ماتمنون، أفرأيتم ماتحرثون، أفرأيتم الماء الذي تشربون، أفرأيتم النار التي تورون**). هذه الأمور المتضمنة أمر خلقهم والنعم التي بها قوام حياتهم، هذه الأمور الدالة على قدرته تعالى على بعث الأموات أحياء يوم القيامة، بعد ذلك أمر رسوله صلى الله عليه وسلم (وكل من كان له أسوة حسنة برسوله مأمور كذلك) أمره بالاستمرار والمداومة على تنزيه الله تعالى عن كل مالايليق بجلاله وكماله، وعما يزعمه الكافرون من الأنداد والشركاء والعجز عن البعث، فقال تعالى: (فسبح باسم ربك العظيم).

و(أرأيتم) هنا بمعنى أخبروني والمستخبر عنه النار التي يورونها، ومتعلق الاستخبار ومناطه الجملة الاستفهامية: (**أأنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون**).

وقد أفاد استفهام (أرأيتم) التقرير والتوبيخ: التقرير بمعنى طلب الاعتراف بالإجابة عن السؤال الذي تضمنته (أرأيتم) مع مفعوليها وهو: أخبروني عن النار التي تخرج من الشجر الأخضر، أأنتم أنشأتم شجرتها وخلقتم النار فيها أم نحن الخالقون المنشئون؟

ولما كانت إجابتهم عن هذا السؤال معلومة لايشك فيها، وهي الاعتراف بأن الخالق المنشىء هو الله ـــ استغنى عن ذكرها.

ويفيد هذا الاستفهام التوبيخ أيضا: توبيخ المشركين على إنكارهم البعث وتكذيبهم بقدرة الله تعالى على إحيائهم بعد مماتهم مع اعترافهم بقدرة الله تعالى على إخراج النار من الشجر الأخضر الرطب المضاد لها، وهو من الدلائل العظيمة على انفراده تعالى بالخلق والإنشاء.

أما بيان إعراب (أرأيتم) ومفعوليها هنا فقد مضى مثله في قوله تعالى (**أفرأيتم ماتمنون. أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون**) في الموضع السادس عشر.

الموضع العشـــرون

الموضع العشرون لاستفهام (أرأيتم) ورد في قوله تعالى:

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِيَ
أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٢٨﴾

الآية (٢٨) من سورة الملك

يروى أن كفار مكة كانوا يدعون على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى من آمن به، يدعون عليهم بالهلاك، فأمر الله سبحانه وتعالى رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم أن يقول لهم مايتضمن:

أخبرونى ــ أيها الكافرون ــ إن أهلكنى الله تعالى ومن آمن بى فأماتنا أو رحمنا فأخّر آجالنا ــ من ذا الذي يستطيع أن يجيركم من عذاب الله الأليم، ومن ذا الذي يستطيع أن يمنعكم من عقابه جزاء كفركم.

و(أرأيتم) هنا بمعنى أخبرونى، والمستخبر عنه محذوف، ومتعلق الاستخبار ومناطه الجملة الاستفهامية: **(فمن يجير الكافرين من عذاب أليم)**، والتقدير: أخبرونى ــ أيها الكافرون ــ عن أنفسكم من يحميكم من عذاب الله الأليم إن أماتنى الله ومن معى أو رحمنا فأخّر آجالنا.

و (رأى) في (أرأيتم) علمية تنصب مفعولين، وهما هنا محذوفان دلّ عليها الشرط وجوابه، وتقديرها: أرأيتم أنفسكم أينجيكم أحد من العذاب إن أهلكنا الله أو أبقانا. أما الجملة الاستفهامية: **(فمن يجير الكافرين من عذاب أليم)** فقد أعربها أبو حيان في تفسيره البحر المحيط واقعة في جواب الشرط: **(إن أهلكنى الله)**، وقد اعترض في حاشية الفتوحات الإلهية على تفسير الجلالين، اعترض على هذا الرأي بأن ترتب الجواب على الشرط فيه بعد.

والذي يبدو لى ــ والله أعلم ــ أن الجملة الاستفهامية: **(فمن يجير الكافرين من عذاب أليم)** هي المفعول الثاني لأرأيتم، وأن الرابط الذي

يربطها بالمفعول الأول هو الضمير الذي أقيم الاسم الظاهر (الكافرين) مقامه، والتقدير: أرأيتم أنفسكم من يجيركم من عذاب الله الأليم، وتكون الفاء على هذا زائدة للتوكيد، ويكون جواب الشرط محذوفا دل عليه وأغنى عن ذكره (أرأيتم) ومفعولاها، والتقدير: إن أهلكنى الله ومن معي أو رحمنا فأخبروني عن حالكم أيّ فائدة لكم في ذلكم وهل ينجيكم هذا من العذاب.

وقد أفاد استفهام (أرأيتم) هنا التنبيه والإنكار والتوبيخ: أفاد تنبيه المشركين على أن إماتة الرسول صلى الله عليه وسلم ومن آمن به لاتفيدهم شيئا ولاتحميهم من عذاب كفرهم، وأن عليهم بدل هذا الدعاء أن يوحدوا الله وأن يؤمنوا برسوله.

وأفاد الإنكار على المشركين وتوبيخهم أن يدعوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن آمن به بالهلاك، وأن يتربصوا به ريب المنون، مع أن هذا الهلاك لاينفعهم بنافعة، ولايحميهم من عذاب الله تعالى جزاء كفرهم، ولايضر برسول الله صلى الله عليه وسلم، والإنكار هنا بمعنى لاينبغى ولايصح.

الموضع الحادى والعشرون

الموضع الحادى والعشرون لاستفهام (أرأيتم) ورد في قوله تعالى:

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ ۝٣٠﴾

الآية (٣٠) من سورة الملك

في هذه الآية الكريمة يأمر الله سبحانه وتعالى رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم أن يقول للمشركين مايتضمن:

أخبرونى أيها المشركون عن مائكم إن أصبح متواريا في جوف الأرض، لا تستطيعون أن تنالوا منه شيئا، أخبرونى من يأتيكم بماء ظاهر تراه العيون، وتشربون منه وتحيون.

و(أرأيتم) هنـا بمعنى أخبرونى، والمستخبر عنه محذوف، ومتعلق الاستخبار ومنـاطـه جملة استفهامية محذوفة، والتقدير: أخبرونى عن مائكم ــ إن أصبح غـائـرا فـي جـوف الأرض ــ مَنْ غير الله يستطيع أن يأتيكم بماء ظاهر تراه العيون ومنه تشربون.

و (رأى) فـي (أرأيتم) عـلـمـيـة تـنـصـب مفعولين: المفعول الأول ضمير محـذوف يـعـود عـلـى (مـاؤكـم)، وتـكـون المـسـألـة مـن باب التنازع: تنازع (أرأيتم) و(أصبح)، تنازعا (ماؤكم) ففعل أرأيتم يطلبه على أنه مفعول به، وفـعـل أصـبـح يـطـلـبـه عـلى أنه اسم لأصبح، فأعمل الثانى في (ماؤكم)، وأعمل الأول في ضميره وحذف ذلك الضمير.

وأمـا المفعول الثاني ل (رأى) العلمية فجملة استفهامية محذوفة دلّ عليها جـمـلـة جواب الشرط **(فمن يأتيكم بماء معين)** وتقدير المفعولين: أرأيتم ماءكم (إن أصبح غائرا) أيستطيع أحد غير الله أن يأتيكم ببدل منه.

وقـد جـاء اسـتـفـهـام (أرأيتم) هـنـا مـفـيـدا التنبيه والتوبيخ: أفاد تنبيه المـشـركـين عـلى أن الله تعالى هو وحده الذي يأتيهم بالماء الذي منه يشربون ويحيون، وأن الأصنام لا تستطيع ذلك، فكان عليهم أن يؤمنوا بالله تعالى وأن يفردوه بالعبادة.

وأفـاد تـوبـيـخ هـؤلاء المـشـركين على تركهم عبادة الله الذي يأتيهم بالماء الـذي مـنـه تـشـربـون ويحيون، وتوبيخهم على عبادتهم أصناما لا تستطيع أن تأتيهم بالماء إن أصبح ماؤهم غورا.

٣ ــ أرأيتك

الأسلوب الثالث من أساليب همزة الاستفهام الداخلة على الفعل الماضي (رأى) هو (أرأيتك) وقد ورد هذا الأسلوب في موضع واحد، في قوله تعالى:

وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ
قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى
كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ
ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ
جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا ﴿٦٣﴾ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ
مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ
فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا
غُرُورًا ﴿٦٤﴾ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ۚ وَكَفَىٰ
بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾

الآيات: (٦١ ــ ٦٥) من سورة الإسراء

تتضمن هذه الآيات الكريمة أن الله جلّ وعلا أمر الملائكة أن يسجدوا لآدم سجود تحية وتكريم، فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر أن يسجد وقال منكرا متعجبا: أأسجد وقد خلقتنى من نار لهذا الذي خلقته من طين؟! إنني لن أسجد ولن أكون من الساجدين!!

أخبرنى عن آدم هذا الذي كرّمته علـيّ بأن أمرتنى بالسجود له، أخبرنى: لم كرّمته عليّ؟! يمينا لئن أخرتنى حيا إلى يوم القيامة لأستولينّ على ذريته ولأقودنهم إلى الضلال وارتكاب المعاصى، ولن ينجو من إغوائى إلا قليل.

ولحكمة لايعلمها إلا الله أعطى الله جلّ وعلا إبليس ماطلب ومنحه الحياة إلى يوم القيامة، وأتاح له أن يذهب في الأرض يفسد من يقدر على إفساده من بنى آدم على أن جهنم جزاؤه وجزاء أتباعه، وعلى أنهم جميعا سوف

يلقون فيها من ألوان العذاب وضروب العقاب شيئا كثيرا وجزاء موفورا.

لقد أتيحت لك فرصة إفساد بنى آدم ياإبليس، فاسرح وامرح كيف تشاء، وناد فيهم بأعلى صوتك داعيا إلى المعاصى، وبُثّ فيهم جندك وأعوانك في كل مكان، وسوف تجدهم يخفّون إليك زرافات ووحدانا، و يقبلون على ماحرّم الله عدد الحصى والتراب وأمواج البحار.

شاركهم ياإبليس في أموالهم بتضييعها في الشهوات الآثمة واللذات المحرّمة واختراع اسباب الهلاك والدمار.

شاركهم ياإبليس في أموالهم بأكلهم الربا بالباطل واكتسابها بغير حق.

شاركهم ياإبليس في أولادهم بالزنا والوأد والانحراف عن دين الله الحق وقتل بعضهم أولاد بعض ظلما وعدوانا.

تفننّ ياإبليس في أساليب الغواية، فما أقدرك على هذا التفنن! واخدع من تستطيع خداعه، فما أقدرك على الخداع!

عِدْهم ياإبليس وعودك الخالبة، ومنّهم أمانيّك المستعذبة، فما كانت وعودك إلا كذّابا، وماكانت أمانيك إلا سرابا.

اسرح وامرح ياإبليس في بنى آدم كيف تشاء وأنى تشاء، وسوف تجد لك أنصارا وأعوانا في كل مكان، وأتباعا من ذرية بنى آدم كثرا لايُعدّون ولايحصون، ولكنك سوف تجد أمامك قلعة حصينة ممنعة لاتفتح ولاتخضع، تعيا عليك وعلى جندك وأشياعك، تلك هي عباد الله المخلصون الذين تمسكوا بحبل الله المتين، وأخلصوا له الدين، وعلى ربهم يتوكلون، وكفى بربك وكيلا.

هذا، و(أرأيتك) هنا — في رأي كثير من المفسرين — بمعنى أخبرنى، فهي علمية تأخذ مفعولين: مفعو لها الأول اسم الإشارة (هذا) وهو المستخبر عنه، واسم الموصول بعده نعت له، أما مفعولها الثاني — وهو متعلق الاستخبار ومناطه — فجملة استفهامية مقدرة يدل عليها صلة الموصول، والتقدير: أخبرنى عن هذا الذي كرّمته عليّ بأن أمرتنى بالسجود له لم كرّمته عليّ.

وقد ذهب الى جعل الجملة الاستفهامية المقدرة هي المفعول الثاني ل (أرأيتك) جماعة من المفسرين منهم الزمخشري والبيضاوى والجلال السيوطي والألوسى وابن عاشور، كل منهم في تفسيره، وقال أبو حيان في تفسيره البحر المحيط: إن ماذهب إليه الزمخشري هو الصحيح.

والتاء في (أرأيتك) ضمير المخاطب فاعل، والكاف — عند البصريين — حرف خطاب لامحل له من الإعراب مؤكد لمعنى التاء قبله، وهو من التوكيد اللغوى، وذهب الفراء إلى أن الكاف في (أرأيتك) ضمير في محل نصب على المفعولية، والمعنى أرأيت نفسك، و(**هذا الذي كرمت عليّ**) مبتدأ وخبر، وقد حذف منه الاستفهام، أي أهذا الذي كرمت عليّ.

وقال ابن عطية: الكاف في (أرأيتك) حرف خطاب ومبالغة في التنبيه لا موضع لها من الإعراب فهى زائدة، ومعنى (أرأيت) أتأملت ونحوه، كأن المخاطب بها (أى بأرأيتك) ينبّه المخاطب لما ينصّه عليه بعد، ولا تكون بمعنى أخبرنى إلا إذا كان بعدها استفهام مصرح به، (وماذهب إليه الفراء وماقاله ابن عطيه منقولان عن أبى حيان عند تفسيره لهذه الآية).

وقد أفاد استفهام (أرأيتك) التعجب والإنكار: تعجب إبليس من تكريم الله تعالى لآدم، فقد أمر الله تعالى الملائكة بالسجود لآدم، وأمره هو أيضا بالسجود، فكان في هذا السجود تكريم لآدم عظيم.

وقد أنكر إبليس ذلك التكريم، بمعنى أنه لاينبغى أن يكون، لأن الله تعالى خلقه من نار وخلق آدم من طين، ومن يُخلق من نار أفضل — في زعمه — ممن يخلق من طين.

وقد ضل إبليس عن أن الله تعالى لايُسأل عما يفعل، وأن خلقه هم الذين يُسألون.

٤ ــ أرأيتكم :

الأسلوب الرابع من أساليب همزة الاستفهام الداخلة على الفعل الماضي رأى هو (أرأيتكم)، وقد ورد هذا الأسلوب في موضعين:

الموضع الأول

الموضع الأول لاستفهام (أرأيتكم) ورد في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٠﴾ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴿٤١﴾﴾

الآيتان : (٤٠ ــ ٤١) من سورة الأنعام

في هاتين الآيتين الكريمتين يأمر الله سبحانه وتعالى رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم أن يقول للمشركين مايتضمن:

أخبروني ــ أيها المشركون ــ عن عذاب الله إن أتاكم في الدنيا أوأتتكم أهوال يوم القيامة، أترجعون إلى غير الله في دفع ذلكم العذاب أو تلكم الأهوال، إن كنتم صادقين فاخبروني إلى مَنْ ترجعون، إنكم لن ترجعوا في دفع ذلك كله إلا إلى الله تعالى، فيكشف الذي من أجله دعوتموه إن شاء أن يتفضل عليكم بكشفه، وتنسون الأصنام التي كنتم تعبدونها كأن لم تعبد من قبل.

والتاء في (أرأيتكم) ضمير المخاطب في محل رفع فاعل، و(كم) التي بعد التاء حرف خطاب لامحل له من الإعراب جاء لتأكيد الخطاب الذي دلت عليه التاء، وهذه (الكافات) اللواحق التي تأتي بعد التاء تختلف باختلاف المخاطب مع بقاء التاء مفتوحة، فتقول: (أرأيتك) لخطاب المفرد المذكر، و(أرأيتكِ) لخطاب المفردة المؤنثة، و(أرأيتكما) لخطاب المثنى بنوعيه (المذكر والمؤنث)، و(أرأيتكم) لخطاب جماعة الذكور، و(أرأيتكُنَّ) لخطاب جماعة الإناث.

هذا إذا كانت (أرأيت) بمعنى أخبرني، وإذا لم تكن (أرأيت) بمعنى أخبرني فهذه (الكافات) اللواحق بالتاء ضمائر في محل نصب مفعول به لرأيت، سواء أكانت علمية أم بصرية أم عرفانية، ولايلزم الفتح تاء الضمير.

و(أرأيتكم) هنا في هذه الآية الكريمة بمعنى أخبروني، والمستخبر عنه هو عذاب الله والساعة، ومتعلق الاستخبار ومناطه وموضعه هو الجملة الاستفهامية: (**أغير الله تدعون**)، والمعنى: أخبروني — أيها المشركون — عن عذاب الله إن أتاكم أو الساعة إن جاءتكم — أغير الله تدعون لكشفه أو كشف أهوالها.

و(أرأيتكم) — وإن كانت بمعنى أخبروني من حيث المعنى — هي علمية من حيث الإعراب تنصب مفعولين: المفعول الأول ضمير محذوف يعود على (عذاب الله) فاعل أتاكم، وهذه المسألة من باب التنازع، فقد تنازع (أرأيتكم) و(أتاكم): (عذاب الله)، فالأول وهو (أرأيتكم) يطلبه على أنه مفعوله، والثاني وهو (أتاكم) يطلبه على أنه فاعله، فأعمل الثاني وارتفع (عذاب الله) على الفاعلية، وأعمل الأول في ضميره وحذف ذلك الضمير.

أما المفعول الثاني ل (أرأيتكم) فهو الجملة الاستفهامية: (أغير الله تدعون) والرابط لهذه الجملة الاستفهامية بالمفعول الأول ضمير محذوف، والتقدير: أغير الله تدعون لكشفه أو كشفها.

أما جواب الشرط في (**إن أتاكم عذاب الله**) فمحذوف دلّ عليه وأغنى عن ذكره ماتقدم عليه وهو (أرأيتكم) ومفعولاها، والتقدير: إن أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة فأخبروني أتدعون غير الله لكشفه أو كشفها.

وقد أفاد استفهام (أرأيتكم) هنا توبيخ المشركين وتقريعهم على عبادتهم الأصنام وتركهم عبادة الله تعالى، مع أنهم إذا وقع العذاب بهم أوأتتهم الساعة لايدعون أولئك الأصنام لكشفه أو كشفها، وإنما يدعون الله وحده وينسون ماكانوا يعبدون.

ويفيد هذا الاستفهام أيضا التنبيه: تنبيه المشركين على سوء صنيعهم، فهم يعبدون الأصنام التي لا تقدر أن تجلب لهم نفعا أو تدفع عنهم ضرا، ويتركون عبادة الله الذي لايدعون غيره إذا نزل بهم البلاء.

ويفيد أيضا التعجب : التعجب من حال هؤلاء المشركين، فهم يعبدون الأصنام حتى إذا نزل بهم العذاب وأصابتهم المصائب لجئوا إلى الله تعالى وحده ليكشف عنهم مانزل بهم، وتركوا الأصنام وراءهم نسيا منسيا، وكان مقتضى هذا ـ لو كان لديهم إدراك سليم وفهم مستقيم ومسكة من عقل وقليل من تدبر ـ أن يعبدوا الله القادر على أن يكشف عنهم العذاب والضر، وأن يتركوا عبادة مالايقدرون على شيء.

الموضع الثانــى

الموضع الثانى لاستفهام (أرأيتكم) ورد في قوله تعالى:

قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَـٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ
بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٤٧﴾

الآية (٤٧) من سورة الأنعام

في هذه الآية الكريمة يأمر الله سبحانه وتعالى رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم أن يقول للمشركين مايتضمن:

أخبرونى ـ أيها المشركون ـ عن عذاب الله إن أتاكم فجأة من غير مقدمات، أو أتاكم جهرة قد تقدمه علامات وإمارات، هل يهلك بهذا العذاب إلا أنتم أيها المشركون.

و(أرأيتكم) هنا بمعنى أخبرونى، والمستخبر عنه عذاب الله، ومتعلق الاستخبار وموضعه ومناطه الجملة الاستفهامية: **(هل يهلك إلا القوم الظالمون)**.

و(رأى) في (أرأيتكم) علمية تنصب مفعولين: المفعول الأول ضمير محذوف يعود على (عذاب الله)، والمسألة هنا من باب التنازع على نحو مامرّ في الموضع الأول السابق.

أما المفعول الثانى فهو الجملة الاستفهامية: **(هل يهلك إلا القوم الظالمون)**، والرابط الذي يربطها بالمفعول الأول ضمير محذوف، والتقدير: هل يهلك به إلا القوم الظالمون.

وجواب الشرط في قوله تعالى (**إن أتاكم عذاب الله**) محذوف دلّ عليه وأغنى عن ذكره ماتقدم عليه وهو (أرأيتكم) ومفعولاها، والتقدير: إن أتاكم عذاب الله بغتة أو جهرة فاخبروني هل يهلك به إلا القوم الظالمون، والتاء في (أرأيتكم) ضمير المخاطب فاعل و(كم) حرف جيء به لتأكيد الخطاب الذي دلت عليه التاء لامحل له من الإعراب. و(**بغتة أو جهرة**) مصدران، وهما منصوبان على الحالية من فاعل أتاكم وهو عذاب الله فيؤولان باسم الفاعل، أو على الحالية من المفعول به في أتاكم وهو (كم) فيؤولان باسم المفعول، أو منصوبان على المصدرية.

واستفهام (أرأيتكم) هنا يفيد التهديد: تهديد المشركين بالعذاب جزاء إشراكهم بالله تعالى.

ويفيد أيضا التقريع والتوبيخ: تقريع المشركين وتوبيخهم على إشراكهم الذي استحقوا به عذاب الله تعالى.

ويفيد أيضا التنبيه : تنبيه المشركين على أنهم بإشراكهم بالله يظلمون أنفسهم، ويستحقون به عذاب الله تعالى الذي سوف ينزل بهم بغتة أو جهرة، وليس لهم منه سلامة ولانجاة.

وبهذا ينتهى حديثى عن المواضع التي وردت فيها همزة الاستفهام داخلة على الفعل الماضى (رأى) ولكننى أود أن أعود إلى الوراء قليلا لأريك أموراً جاءتك تفاريق في مواضع شتى، ومن هذه الأمور.

أولا ــ أن همزة الاستفهام قد دخلت على الفعل الماضى (رأى) في أربعة وثلاثين موضعا في القرآن الكريم، وليس هناك فعل آخر قد دخلت عليه الهمزة وكان في مثل هذا العدد أو قريبا منه.

ثانيا ــ وأننى قد ذهبت في هذه المواضع كلها إلى أن (أرأيت) وأخواتها: (أرأيتم، أرأيتك، أرأيتكم) كانت بمعنى أخبرنى، أخبرونى، وأنها من حيث الإعراب علمية تنصب مفعولين: المفعول الأول يجيء بعدها ويكون اسما مفردا ظاهرا أو مضمرا ــ وهو المستخبر عنه من حيث المعنى ــ والمفعول الثانى يجيء جملة استفهامية ظاهرة أو مقدرة هي موضع الاستخبار ومتعلقه ومناطه.

وقد جاء هذا المفعولان من حيث الذكر والحذف على أربع صور:

الصورة الأولى :

ذكر المفعولين مصرحا بهما، وقد جاء ذلك في ثلاثة عشر موضعا :

١ ــ في قوله تعالى : **(قل أرأيتم ماأنزل ربكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا قل ءالله أذن لكم أم على الله تفترون)**

الآية (٥٩) من سورة يونس

المفعول الأول هنا اسم الموصول (ماأنزل)، والمفعول الثانى: الجملة الاستفهامية: (آلله أذن لكم)، و(قل) الثانية توكيد للأولى.

٢ ــ وفي قوله تعالى : **(قل أرأيتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله أرونى ماذا خلقوا من الأرض).** الآية (٤٠) من سورة فاطر.

المفعول الأول هنا (شركاءكم)، والمفعول الثانى الجملة الاستفهامية: (ماذا خلقوا من الأرض)، وجملة (أرونى) معترضة بين المفعولين للتوكيد.

٣ ــ وفي قوله تعالى : **(قل أفرأيتم ماتدعون من دون الله إن أرادنى الله بضر هل هن كاشفات ضره أو أرادنى برحمة هل هن ممسكات رحمته).** الآية (٣٨) من سورة الزمر.

المفعول الأول هنا اسم الموصول (ماتدعون)، والمفعول الثانى الجملة الاستفهامية: (هل هن كاشفات ضره، هل هن ممسكات رحمته)، والجملة الشرطية: (إن أرادنى الله بضر، أو أرادنى برحمة) معترضة بين المفعولين.

٤ ــ وفي قوله تعالى : **(قل أرأيتم ماتدعون من دون الله أرونى ماذا خلقوا من الأرض).** الآية (٤٠) من سورة الأحقاف.

المفعول الأول هنا اسم الموصول (ماتدعون)، والمفعول الثانى الجملة الاستفهامية: (ماذا خلقوا من الأرض)، وجملة (أرونى) معترضة بين المفعولين لتأكيد الكلام وتقويته.

٥ ــ وفي قوله تعالى : **(أفرأيتم اللات والعزى (١٩) ومناة الثالثة الأخرى (٢٠) ألكم الذكر وله الأنثى).** الآيات : (١٩ ــ ٢١) من سورة النجم.

المفعول الأول هنا : اللات والعزى ومناة، والمفعول الثانى الجملة الاستفهامية: (ألكم الذكر وله الأنثى).

٦ ــ وفي قوله تعالى : (**أفرأيتم ماتمنون (٥٨) أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون (٥٩)**. الآيتان (٥٨ ــ ٥٩) من سورة الواقعة.

المفعول الأول هنا : اسم الموصول (ماتمنون)، والمفعول الثانى الجملة الاستفهامية: (أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون).

٧ ــ وفي قوله تعالى : (**أفرأيتم ماتحرثون (٦٣) أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون(٦٤)**. الآيتان : (٦٣ ــ ٦٤) من سورة الواقعة.

المفعول الأول هنا : اسم الموصول (ماتحرثون)، والمفعول الثانى الجملة الاستفهامية: (أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون).

٨ ــ وفي قوله تعالى : (**أفرأيتم الماء الذي تشربون (٦٨) أأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون(٦٩)**. الآيتان: (٦٨ ــ ٦٩) من سورة الواقعة.

المفعول الأول هنا (الماء)، والمفعول الثانى الجملة الاستفهامية: (أأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون).

٩ ــ وفي قوله تعالى : (**أفرأيتم النار التي تورون (٧١) أأنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون (٧٢)**. الآيتان: (٧١ ــ ٧٢) من سورة الواقعة.

المفعول الأول هنا (النار)، والمفعول الثانى الجملة الاستفهامية: (أأنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون).

١٠ ــ وفي قوله تعالى : (**أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولدا (٧٧) أطلع الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهدا (٧٨)**. الآيتان : (٧٧ ــ ٧٨) من سورة مريم.

المفعول الأول هنا اسم الموصول (الذي كفر)، والمفعول الثانى الجملة الاستفهامية: (أطلع الغيب).

١١ ــ وفي قوله تعالى : (**أرأيت من اتخذ إلهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلا**) الآية (٤٣) من سورة الفرقان.

المفعول الأول هنا اسم الموصول (من اتخذ)، والمفعول الثانى: الجملة الاستفهامية: (أفأنت تكون عليه وكيلا).

١٢ ــ وفي قوله تعالى : (**أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله**) الآية (٢٣) من سورة الجاثية.

المفعول الأول هنا اسم الموصول (من أتخذ)، والمفعول الثاني الجملة الاستفهامية: (فمن يهديه من بعد الله).

١٣ ــ وفي قوله تعالى: **(أفرأيت الذي تولى (٣٣) وأعطى قليلا وأكدى (٣٤) أعنده علم الغيب فهو يرى (٣٥)**. الآيات: (٣٣ ــ ٣٥) من سورة النجم.

المفعول الأول هنا اسم الموصول (الذي تولى)، والمفعول الثانى الجملة الاستفهامية: (أعنده علم الغيب).

الصورة الثانية:

حذف المفعول الأول وذكر المفعول الثانى وهو الجملة الاستفهامية، وقد ورد ذلك في اثنى عشر موضعا في آيات القرآن الكريم:

١ ــ في قوله تعالى: **(قل أرأيتكم إن أتاكم عذاب الله أوأتتكم الساعة اغير الله تدعون إن كنتم صادقين)** الآية (٤٠) من سورة الأنعام.

المفعول لأرأيتكم هنا ضمير محذوف يعود على (عذاب الله)، والمفعول الثانى الجملة الاستفهامية: (أغير الله تدعون).

٢ ــ وفي قوله تعالى: **(قل أرأيتم إن أخذ الله سمعكم وأبصاركم وختم على قلوبكم من إله غير الله يأتيكم به)** الآية (٤٦) من سورة الأنعام.

المفعول الأول لأرأيتم هنا ضمير محذوف يعود على سمعكم وأبصاركم وقلوبكم والمفعول الثانى الجملة الاستفهامية: (من إله غير الله يأتيكم به).

٣ ــ وفي قوله تعالى: **(قل أرأيتكم إن أتاكم عذاب الله بغتة أو جهرة هل يهلك إلا القوم الظالمون)** الآية (٤٧) من سورة الأنعام.

المفعول الأول لأرأيتكم هنا ضمير محذوف يعود على (عذاب الله) والمفعول الثانى الجملة الاستفهامية: (هل يهلك إلا القوم الظالمون).

٤ ــ وفي قوله تعالى: **(قل أرأيتم إن أتاكم عذابه بياتا أو نهارا ماذا يستعجل منه المجرمون)**. الآية (٥٠) من سورة يونس.

المفعول الأول لأرأيتم هنا ضمير محذوف يعود على (عذابه)، والمفعول الثانى الجملة الاستفهامية: (ماذا يستعجل منه المجرمون).

٥ ــ وفي قوله تعالى : **(قال ياقوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربى وآتانى رحمة من عنده فعميت عليكم أنلزمكموها وأنتم لها كارهون)**. الآية : (٢٨) من سورة هود.

المفعول الأول لأرأيتم هنا ضمير محذوف يعود على (بينة) والمفعول الثانى الجملة الاستفهامية: (أنلزمكموها وأنتم لها كارهون).

٦ ــ وفي قوله تعالى : **(قال ياقوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربى وآتانى منه رحمة فمن ينصرنى من الله إن عصيته)** الآية (٦٣) من سورة هود.

المفعول الأول لأرأيتم هنا ضمير محذوف يعود على (بينة)، والمفعول الثانى الجملة الاستفهامية: (فمن ينصرنى من الله إن عصيته).

٧ ــ وفي قوله تعالى : **(قل أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل سرمدا إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بضياء)**. الآية (٧١) من سورة القصص.

المفعول الأول لأرأيتم هنا ضمير محذوف يعود على (الليل)، والمفعول الثانى الجملة الاستفهامية: (من إله غير الله يأتيكم بضياء).

٨ ــ وفي قوله تعالى : **(قل أرأيتم إن جعل الله عليكم النهار سرمدا إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه)**. الآية (٧٢) من سورة القصص.

المفعول الأول لأرأيتم هنا ضمير محذوف يعود على (النهار)، والمفعول الثانى الجملة الاستفهامية: (من إله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه).

٩ ــ وفي قوله تعالى : **(قل أرأيتم إن كان من عند الله ثم كفرتم به من أضل ممن هو في شقاق بعيد)**. الآية (٥٢) من سورة فصلت.

المفعول الأول لأرأيتم هنا محذوف يدل عليه المعنى تقديره (أنفسكم)، وهذا رأي أبى حيان، والمفعول الثانى الجملة الاستفهامية: (من أضل ممن هو في شقاق بعيد) ومعناها: من أضل منكم.

١٠ ــ وفي قوله تعالى : **(قل أرأيتم إن أهلكنى الله ومن معى أو رحمنا فمن يجير الكافرين من عذاب أليم)**. الآية (٢٨) من سورة الملك.

المفعول الأول لأرأيتم هنا محذوف يدل عليه المعنى تقديره أنفسكم، والمفعول الثانى الجملة الاستفهامية : (**فمن يجير الكافرين من عذاب اليم**) ومعناها : من يجيركم من عذاب أليم، والفاء زائدة للتوكيد.

١١ ـ وفي قوله تعالى : (**أفرأيت إن متعناهم سنين (٢٠٥) ثم جاءهم ماكانوا يوعدون (٢٠٦) ماأغنى عنهم ماكانوا يمتعون (٢٠٧)**. الآيات : (٢٠٥ ـ ٢٠٧) من سورة الشعراء.

المفعول الأول ل (أفرأيت) هنا ضمير محذوف يعود على اسم الموصول : (ماكانوا يوعدون)، والمفعول الثانى الجملة الاستفهامية : (ماأغنى عنهم ماكانوا يمتعون).

١٢ ـ وفي قوله تعالى : (**أرأيت إن كذّب وتولى (١٣) ألم يعلم بأن الله يرى (١٤)**) الآيتان : (١٣ ـ ١٤) من سورة العلق.

المفعول الأول ل (أرأيت) هنا ضمير محذوف يعود على اسم الموصول (الذي ينهى) المذكور في قوله تعالى (أرأيت الذي ينهى) الآية (٩) من سورة العلق، والمفعول الثانى الجملة الاستفهامية : (ألم يعلم بأن الله يرى).

الصورة الثالثة :

ذكر المفعول الأول وحذف المفعول الثانى وقد ورد ذلك في أربعة مواضع في آيات القرآن الكريم :

١ ـ في قوله تعالى : (**قل أفرأيتم ماكنتم تعبدون (٧٥) أنتم وآباؤكم الأقدمون (٧٦) فإنهم عدو لى إلا رب العالمين (٧٧)**. الآيات : (٧٥ ـ ٧٧) من سورة الشعراء.

المفعول الأول ل (أفرأيتم) مذكور وهو اسم الموصول (ماكنتم تعبدون)، والمفعول الثانى جملة استفهامية مقدرة يدل عليها المعنى والسياق وتقديرها : «أيستحقون أن تعبدوهم وهم لاينفعون ولايضرون».

٢ ـ وفي قوله تعالى : (**أرأيت الذي ينهى (٩) عبدا إذا صلى(١٠)**) الآيتان : (٩ ـ ١٠) من سورة العلق.

المفعول الأول ل (أرأيت) هو اسم الموصول (الذي ينهى) والمفعول الثانى جملة استفهامية مقدرة، وتقديرها : (ألم يعلم بأن الله يرى).

٣ ــ وفي قوله تعالى : (**أرأيت الذي يكذب بالدين(١١) فذلك الذي يدع اليتيم(٢)**. الآيتان : (١ ــ ٢) من سورة الماعون.

المفعول الأول ل (أرأيت) هو اسم الموصول (الذي يكذب بالدين) والمفعول الثانى جملة استفهامية مقدرة، وتقديرها : «من هو».

٤ ــ وفي قوله تعالى : (**أرأيتك هذا الذي كرّمت عليّ لئن أخرتنى إلى يوم القيامة لأحتنكن ذريته إلا قليلا**). الآية (٦٢) من سورة الإسراء.

المفعول الأول هنا اسم الإشارة (هذا) والمفعول الثانى جملة استفهامية مقدرة، وتقديرها «لم كرّمته عليّ».

الصورة الرابعة :

الصورة الرابعة حذف المفعول الأول والثانى معا، وقد ورد ذلك في خمسة مواضع في آيات القرآن الكريم :

١ ــ في قوله تعالى : (**قال ياقوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربى ورزقني منه رزقا حسنا وماأريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه إن أريد إلا الإصلاح مااستطعت وماتوفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب**) الآية (٨٨) من سورة هود.

المفعول الأول ل (أرأيتم) هنا ضمير محذوف يعود على (بينة) والمفعول الثانى محذوف أيضا وهو جملة استفهامية مقدرة، وتقديرها : أيحق لى أن أكتمها.

٢ ــ وفي قوله تعالى : (**قال أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة فإنى نسيت الحوت وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره واتخذ سبيله في البحر عجبا**) الآية (٦٣) من سورة الكهف.

مفعولا (أرأيت) هنا محذوفان يدل عليهما المعنى والسياق، وتقديرهما : أرأيت أمرنا ماعاقبته.

٣ ــ وفي قوله تعالى : (**قل أرأيتم إن كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بنى اسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم إن الله لايهدى القوم الظالمين**). الآية (١٠) من سورة الأحقاف.

مفعولا (أرأيتم) هنا محذوفان يدل عليهما المعنى والسياق، وتقديرهما: أرأيتم حالكم ـ إن كان هذا القرآن من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله وهي التوراة بأنها من عند الله فآمن به واستكبرتم عن الإيمان به ـ ألستم ظالمين لأنفسكم بكفركم هذا.

٤ ـ وفي قوله تعالى : **(قل أرأيتم إن أصبح ماؤكم غورا فمن يأتيكم بماء معين)** الآية (٣٠) من سورة الملك.

المفعول الأول ل (أرأيتم) هنا ضمير محذوف يعود على (ماؤكم) والمفعول الثاني جملة استفهامية مقدرة يدل عليها الجملة الشرطية، وتقدير المفعولين: أرأيتم ماءكم ـ إن أصبح غائرا في الأرض ـ أيستطيع أحد غير الله أن يأتيكم ببدل منه.

٥ ـ وفي قوله تعالى : **(أرأيت إن كان على الهدى (١١) أو أمر بالتقوى (١٢)).** الآيتان: (١١ ـ ١٢) من سورة العلق.

المفعول الأول لأرأيت هنا ضمير محذوف يعود على (الذي ينهى) وهو أبو جهل، والمفعول الثاني جملة استفهامية مقدرة يدل عليها الجملة الاستفهامية (ألم يعلم بأن الله يرى).

وبهذا تنتهي الصور التي جاء عليها مفعولا (رأى) التي دخلت عليها همزة الاستفهام في القرآن الكريم مع بيان الآيات التي وردت في كل صورة.

ثالثا : ـ أنه حيثما حذف المفعول الأول ل (أرأيت) وأخواتها: (أرأيتم، أرأيتك، أرأيتكم) جاء بعدها مباشرة (إنْ) الشرطية وكان شرطها فعلا ماضيا، ويستثنى من ذلك: (أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت) الآية (٦٣) من سورة الكهف، فقد جاء بعد (أرأيت) «إذْ» الظرفيه ولم تأت «إنْ» الشرطية.

وفي هذه المواضع التي جاءت فيها «إنْ» الشرطية بعد (أرأيت) وأخواتها: (أرأيتم، أرأيتك، أرأيتكم)، في هذه الآيات أجاز بعض العلماء أن يسد الشرط وجوابه ـ إذا جاء الجواب جملة استفهامية مقترنة بالفاء ـ مسدّ مفعولى أرأيت وأخواتها، وقد ردّ أبو حيان في تفسيره هذا الرأي بأنه لم يعهد في أساليب العربية أن يسدّ الشرط وجوابه مسدّ مفعولي (علم).

وقد اجاز بعض العلماء أيضا أن تكون (أرأيت) وأخواتها جوابا لإن الشرطية الواقعة بعدها إذا كان المعنى على ذلك، وقد رد أبو حيان في تفسيره هذا الرأي أيضا بأنّ «إنْ» الشرطية لها الصدارة فلا يصح أن يتقدم معمولها عليها، وأرأيت وأخواتها حينئذ تدل على الجواب وليست هي الجواب نفسه، وماذهب إليه أبو حيان هو مذهب البصريين، أما الكوفيون فقد أجازوا تقدم جواب الشرط على الشرط.

رابعاً : — أن استفهام (أرأيتم) الذي ورد في إحدى وعشرين آية من آيات القرآن الكريم قد غلب عليه التقريع والتوبيخ، فقد جاء ذلك في سبعة عشر موضعا، ثم جاء بعد ذلك من حيث الكثرة معنى التنبيه، فقد ورد في أربعة عشر موضعا، وقد جاء معنى التقرير في خمسة مواضع، وجاء الإنكار في ثلاثة.

أما استفهام (أرأيت) الذي ورد في عشر آيات من آيات القرآن الكريم فقد غلب عليه التعجب والتنبيه، ورد كل منها في عشرة مواضع، ثم جاء التعجيب في ثمانية، وجاء التهديد والوعيد في موضع واحد، وكذلك التشويق.

أما (أرأيتك وأرأيتكم) : فقد ورد استفهام (أرأيتك) مرة واحدة وقد افاد التعجب والإنكار، وأما استفهام (أرأيتكم) فقد ورد مرتين: المرة الأولى في الآية الأربعين من سورة الأنعام وقد أفاد التعجب والتوبيخ والتنبيه، والمرة الثانية في الآية السابعة والأربعين من سورة الأنعام وقد أفاد التهديد والتوبيخ والتنبيه.

خامساً : — أن الذي أعنيه من قولي إن (أرأيت، أو أرأيتم، أو أرأيتك أو أرأيتكم) علمية تنصب مفعولين هو أن الفعل الماضي فيها — وهو رأى — ينصب مفعولين لأنه بمعنى علم وليس بمعنى أبصر، أما الهمزة الداخلة على (رأى) فحرف استفهام، وأما التاء المتصلة ب (رأى) فضمير فاعل، وأما الكاف اللاحقة بالتاء فحرف خطاب — على رأي البصريين — مؤكد لمعنى الخطاب الذي تدل عليه التاء.

وذهب الكسائي شيخ الكوفيين إلى أن الكاف اللاحقة بالتاء في موضع المفعول الأول.

ويرد على مذهب الكسائي هذا أمران : أحدهما أن هذا الفعل يتعدى إلى مفعولين كقولك أرأيتك زيدا مافعل، فلو جعلت الكاف مفعولا لكانت المفاعيل ثلاثة.

وثانيهما أنه لو كانت الكاف مفعولا لكانت هي الفاعل في المعنى، لأن كلا من الكاف والتاء واقع على المخاطب وليس المعنى على ذلك، إذ ليس الغرض أرايت نفسك بل أرأيت غيرك، ولذلك قلت أرأيتك زيدا، (وزيدا) ليس هو المخاطب وليس هو بدلا منه.

(الفتوحات الإلهية جـ ٢ ص ٢٧ ــ ٢٨) و (إملاء مامن به الرحمن للعكبرى جـ ١ ص ٢٤٢).

ويقول الفراء الشيخ الثاني لنحاة الكوفة : للعرب في (أرأيت) لغتان ومعنيان : أحدهما رؤية العين، فإذا أردت هذا عديت الرؤية بالضمير إلى المخاطب، وتتصرف تصرف سائر الأفعال، تقول للرجل: أرأيتك على غير هذه الحال؟ تريد هل رأيت نفسك، ثم تثنى وتجمع فتقول: أرأيتماكما، أرأيتموكم، أرأيتنّكنّ.

والمعنى الآخر أن تقول : أرأيتك ــ إن فعلت كذا ــ ماذا تفعل؟ أى أخبرنى، وتترك التاء ــ إذا أردت هذا المعنى ــ موحدة على كل حال، أرأيتكما، أرأيتكم، أرأيتكنّ.

وإنما تركت العرب التاء واحدة لأنهم لم يريدوا أن يكون الفعل واقعا من المخاطب على نفسه، فاكتفوا من علامة المخاطب بذكرها في الكاف وتركوا التاء في التذكير والتوحيد مفردة إذ لم يكن الفعل واقعا.

(الفتوحات الإلهية جـ ٢ ص ٢٨)

١٢ ـــ رضي

أما الفعل الثاني عشر من الأفعال الماضية التي دخلت عليها همزة الاستفهام في القرآن الكريم فهو (رضي) وقد ورد ذلك في موضع واحد في قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ٣٨﴾

الآية (٣٨) من سورة التوبة.

دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه رضوان الله عليهم إلى جهاد الروم في تبوك، وكان ذلك زمن اشتداد الحر وفي حمارّة القيظ، وقد طابت ثمار المدينة وأينعت، فشقّ ذلك على الناس وعظم عليهم، فنزلت هذه الآية الكريمة فيمن تخلف عن هذه الغزوة، وهي تتضمن: مالكم أيها المؤمنون إذا دعيتم إلى الجهاد في سبيل الله اثّاقلتم وآثرتم المقام في أرضكم طلبا للراحة وخفض العيش وطيب الثمار والظلال؟!!.

ماكان ينبغى لكم أن ترضوا بنعيم الحياة الدنيا بدلا من نعيم الآخرة، فما نعيم الحياة الدنيا الذي ارتضيتموه وآثرتموه إلا تافه حقير إذا ماقيس بنعيم الحياة الآخرة الذي أعدّه الله لعباده المجاهدين.

وقد جاء استفهام : (**أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة**) مفيداً الإنكار والتوبيخ والتعجب والتعجيب.

مفيدا الإنكار والتوبيخ : على معنى لاينبغى لكم أن ترضوا بنعيم الدنيا القليل الحقير الزائل بدلا من نعيم الآخرة الفاخر الوافر الذي يضيق به العدّ ولايحيط به حد ولاينتهى إلى زوال.

ومفيدا التعجب والتعجيب على معنى أن رضاكم وإيثاركم نعيما قليلا عابرا على نعيم سرمدي لايحيط به وصف لما يثير التعجب ويبعث على الاستغراب!! كيف وقع منكم ذلك، وكيف ارتضيتموه وآثرتموه؟!!

هـذا، و(مِنْ) الـواردة في هذا الاستفهام : **(أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخـرة)** هـي حـرف جر بمعنى بدل، والمعنى أرضيتم بالحياة الدنيا بدل نعيم الآخرة.

١٣ ــ أسلم

أما الفعل الثالث عشر من الأفعال الماضية التي دخلت عليها همزة الاستفهام في القرآن الكريم فهو (أسلم) وقد ورد ذلك في موضع واحد، في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩﴾ فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ ۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّۦنَ ءَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠﴾﴾

الآيتان: (١٩ ــ ٢٠) من سورة آل عمران.

تتضمن هاتان الآيتان الكريمتان أن الدين المرضيّ عنه عند الله تعالى هو الإسلام، وهو شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، والاقرار بما جاء من عند الله تعالى في كتابه وعلى لسان رسوله محمد صلى الله عليه وسلم.

وأن اختلاف أهل الكتاب من اليهود والنصارى فيما بينهم وفي الاسلام وفي رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما جاءهم بعد علمهم الذي جاءت به الرسل ودلت عليه الأدلة الساطعة، فكانوا ممن ضل على علم، وكذّب غيره وهو يعلم أنه هو من الكاذبين.

وأن اختلاف أهل الكتاب أولئك لم يك إلا بغيا بينهم، وظلما واقعا من بعضهم على بعض، وحسداً لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وحبا للزعامة والرئاسة، وعنادا وتكبرا عن أن يكونوا من التابعين.

وأن الله سبحانه وتعالى لن يترك أولئك الذين يكفرون بآيات الله الدالة

على أن الدين عند الله هو الإسلام، لن يتركهم دون عقاب، وأن الله سريع الحساب.

فإن جادلك اهل الكتاب ـــ بعد أن أقمت عليهم الحجة بأن الدين عند الله هو الإسلام، وأن ماهم عليه ليس دينا عند الله، فإن جادلوك فأعرض عن مجادلتهم، لأنك لن ترى منهم إلا عنادا ومكابرة، وقل لهم لقد أخلصت أنا ومن اتبعنى العبادة لله تعالى، لانعبد غيره، ولانشرك به سواه.

وقل للذين أوتوا الكتاب من النصارى واليهود، ولمن لاكتاب لهم من مشركى قريش وغيرهم: أأقررتم بالإسلام وآمنتم بأن الله واحد لاشريك له، فإن أقروا وآمنوا فقد أصابوا الحق وسلكوا سبيل الهدى، وإن أعرضوا فما عليك من إعراضهم من شيء، إنما عليك إبلاغ ماأرسلت به، وقد فعلت فبلغت ماأمرت بتبليغه على أكمل وجه وكنت من الصادقين.

والله سبحانه وتعالى بصير بالعباد، فيجازى المحسن على إحسانه، ويجازى المسيء على إساءته، ولن يظلم ربك أحدا.

وقد جاء هذا الاستفهام : (أأسلمتم) مفيدا التقرير والتحضيض: مفيدا التقرير: على معنى طلب الإقرار والاعتراف بما تضمنه السؤال، وهو أن الدين عند الله هو الإسلام الذي جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم.

ومفيدا التحضيض على اتباع هذا الإسلام لأنه الخير في الدنيا والآخرة.

١٤ ــ أشفق

أما الفعل الرابع عشر من الأفعال الماضية التي دخلت عليها همزة الاستفهام في القرآن الكريم فهو (أشفق)، وقد ورد ذلك في موضع واحد، في قوله تعالى:

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَةٗۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ وَأَطۡهَرُۚ فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ ءَأَشۡفَقۡتُمۡ أَن تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَٰتٖۚ فَإِذۡ لَمۡ تَفۡعَلُواْ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴿١٣﴾

الآيتان: (١٢ ــ ١٣) من سورة المجادلة.

روي أن المسلمين كانوا يستخلون الرسول صلى الله عليه وسلم و ينفردون به و يناجونه يسألونه عما يعرض لهم من أمور الدين، وقد كثر ذلك منهم وشق على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فنزلت الآية الأولى متضمنة أن من أراد أن يناجي الرسول فعليه أن يقدم قبل تلك المناجاة صدقة يعطيها الفقراء والمساكين، وأن للفقراء الذين لايجدون مايتصدقون به أن يناجوا بدون تصدق، فالله سبحانه وتعالى غفور رحيم.

وقد بخل بعض الأغنياء من المسلمين بالصدقة وشق عليهم ذلك، فنزلت الآية الثانية تنسخ الحكم الذي تضمنته الآية الأولى، وقد تضمنت الآية الثانية اللوم والعتاب لمن شقّ عليه أن يقدم صدقة قبل أن يناجي وهو قادر عليها، وأن الله سبحانه وتعالى قد تاب عن أولئك النفر من المسلمين الذين بخلوا بالصدقة وهم عليها قادرون، وأنه تعالى قد رخصّ لهم بدون تصدق، ولكن عليهم أن يلتزموا إقام الصلاة وإيتاء الزكاة وطاعة الله ورسوله فيما أمروا به ونهوا عنه، فالله خبير بما يعملون.

وقد جاء هذا الاستفهام: (**أأشفقتم أن تقدموا بين يدى نجواكم صدقة**) جاء مفيدا الإنكار والعتاب لمن بخل بالصدقة قبيل أن يناجى ومن

اجل المناجاة وهو قادر عليها، مفيدا الإنكار والعتاب بمعنى ماكان ينبغى لكم أن تخافوا من تقديم تلك الصدقة لذوى الحاجة، وأن تبخلوا بها عليهم، وأن تضيق صدوركم بها.

هذا، والمصدر المؤول من (أن تقدموا) في محل جر بمن مقدرة، وتقدير الكلام: أأشفقتم من تقديم صدقة بين يدى نجواكم.

ومعنى الاستفهام: أخفتم من تقديم صدقة للفقراء قبيل مناجاتكم الرسول؟! ماكان ينبغى لكم ذلك!!

١٥ ــ شهد

أما الفعل الخامس عشر من الأفعال الماضية التي دخلت عليها همزة الاستفهام في القرآن الكريم فهو (شهد)، وقد ورد ذلك في موضع واحد في قوله تعالى:

﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَٰنِ إِنَاثًا ۚ أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ ﴿١٩﴾﴾

الآية (١٩) من سورة الزخرف.

تتضمن هذه الآية الكريمة أن المشركين بالله جعلوا الملائكة الذين هم خَلْق الله وعباده إناثا، وهذه جهالة منهم وافتراء، لأن ذلك لايعلم إلا بطريق المشاهدة وهم لم يكونوا حاضرين حين خلق الله الملائكةو فمن أين لهم هذا الاعتقاد بأنهم إناث؟!.

سوف تكتب شهادتهم أن الملائكة إناث، وسوف يسألون عن هذه الشهادة يوم القيامة، و يطالبون بإقامة الدليل عليها فلايجدون إلى ذلك سبيلا، فيذوقون العذاب الأليم.

وقد أفاد هذا الاستفهام : (أشهدوا خلقهم) الإنكار والتوبيخ والسخرية والتعجيب.

أفاد الإنكار بمعنى النفي أي لم يشهد هؤلاء المشركون خَلْق الله الملائكة حين خلقهم، ولم يحضروا خلقهم إناثا.

وأفاد التوبيخ والسخرية والتعجيب : على معنى لم يرهؤلاء المشركون خلق الله الملائكة إناثا، فمن أين لهم أن يحكموا ان الملائكة إناث وأن يقولوا إنهم بنات وهذا إنما يقوم على رؤية العين و يستند إلى مشاهدة الحس، وليس عندهم حجة من ذلك ولا برهان؟! فما هم إلا أغبياء جهلاء يلقون القول على عواهنه دون تدبر وتبصّر.

١٦ ـ صدق

أما الفعل السادس عشر من الأفعال الماضية التي دخلت عليها همزة الاستفهام في القرآن الكريم فهو (صدق) وقد ورد في موضع واحد، في قوله تعالى:

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًاۖ
وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾
وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ
وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَحُشِرَ
لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾
حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟
مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ
﴿١٨﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ
نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا
تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩﴾
وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَالِىَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ
ٱلْغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَا۟ذْبَحَنَّهُۥٓ
أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ
أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾
إِنِّى وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ وَلَهَا
عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن
دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ
فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ

فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَيَعۡلَمُ مَا تُخۡفُونَ وَمَا تُعۡلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ
لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ۩ ﴿٢٦﴾ ۞ قَالَ سَنَنظُرُ
أَصَدَقۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ٱذۡهَب بِّكِتَٰبِي هَٰذَا
فَأَلۡقِهۡ إِلَيۡهِمۡ ثُمَّ تَوَلَّ عَنۡهُمۡ فَٱنظُرۡ مَاذَا يَرۡجِعُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَتۡ يَٰٓأَيُّهَا
ٱلۡمَلَؤُاْ إِنِّيٓ أُلۡقِيَ إِلَيَّ كِتَٰبٞ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسۡمِ
ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعۡلُواْ عَلَيَّ وَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ ﴿٣١﴾
قَالَتۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ أَفۡتُونِي فِيٓ أَمۡرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمۡرًا حَتَّىٰ
تَشۡهَدُونِ ﴿٣٢﴾ قَالُواْ نَحۡنُ أُوْلُواْ قُوَّةٖ وَأُوْلُواْ بَأۡسٖ شَدِيدٖ وَٱلۡأَمۡرُ إِلَيۡكِ
فَٱنظُرِي مَاذَا تَأۡمُرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَتۡ إِنَّ ٱلۡمُلُوكَ إِذَا دَخَلُواْ قَرۡيَةً
أَفۡسَدُوهَا وَجَعَلُوٓاْ أَعِزَّةَ أَهۡلِهَآ أَذِلَّةٗۖ وَكَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ ﴿٣٤﴾
وَإِنِّي مُرۡسِلَةٌ إِلَيۡهِم بِهَدِيَّةٖ فَنَاظِرَةُۢ بِمَ يَرۡجِعُ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴿٣٥﴾
فَلَمَّا جَآءَ سُلَيۡمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٖ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيۡرٞ مِّمَّآ
ءَاتَىٰكُمۚ بَلۡ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمۡ تَفۡرَحُونَ ﴿٣٦﴾ ٱرۡجِعۡ إِلَيۡهِمۡ فَلَنَأۡتِيَنَّهُم
بِجُنُودٖ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخۡرِجَنَّهُم مِّنۡهَآ أَذِلَّةٗ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ﴿٣٧﴾ قَالَ
يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ أَيُّكُمۡ يَأۡتِينِي بِعَرۡشِهَا قَبۡلَ أَن يَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ ﴿٣٨﴾
قَالَ عِفۡرِيتٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَۖ وَإِنِّي
عَلَيۡهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٞ ﴿٣٩﴾ قَالَ ٱلَّذِي عِندَهُۥ عِلۡمٞ مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ
بِهِۦ قَبۡلَ أَن يَرۡتَدَّ إِلَيۡكَ طَرۡفُكَۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسۡتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا
مِن فَضۡلِ رَبِّي لِيَبۡلُوَنِيٓ ءَأَشۡكُرُ أَمۡ أَكۡفُرُۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشۡكُرُ
لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيّٞ كَرِيمٞ ﴿٤٠﴾ قَالَ نَكِّرُواْ لَهَا عَرۡشَهَا

نَنظُرْ أَتَهْتَدِيٓ أَمْ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٤١﴾ فَلَمَّا جَآءَتْ قِيلَ
أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ ۖ قَالَتْ كَأَنَّهُۥ هُوَ ۚ وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ
﴿٤٢﴾ وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَٰفِرِينَ
﴿٤٣﴾ قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِى ٱلصَّرْحَ ۖ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن
سَاقَيْهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ ۗ قَالَتْ رَبِّ إِنِّى
ظَلَمْتُ نَفْسِى وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٤﴾

الآيات : (١٥ ــ ٤٤) من سورة النمل

تتضمن هذه الآيات الكريمة :

لقد أنعم الله سبحانه وتعالى على داود وسليمان عليهما السلام بالنبوة، وأنعم عليهما كذلك بالعلم الغزير، فعلماه وعملا به وعرفا حق النعمة فيه والفضيلة، فحمدا الله على ماأنعم، وشكراه على ماوهب، وقالا: الحمد لله الذي فضلنا بما آتانا على كثير من عباده المؤمنين.

ومات داود عليه السلام، وخلفه ابنه سليمان عليه السلام، فحمد الله تعالى على ماأنعم عليه من ملك موروث وعلم واسع وسلطان متنوع وقال: لقد علمنى الله تعالى ــ أيها الناس ــ منطق الطير، فأنا أفهم عنها ماتقول، وأدرك ماتنادي به وتصوت، ولقد سخرها الله تعالى لى، فلا تستطيع أن تعصى لى أمرا أو تخالف لى نهيا، وأنا لا أقول لكم هذا تكبرا وافتخارا وعلوًا في الأرض، وإنما أقوله إظهارا لفضل الله عليّ وشكرا له على ماأنعم.

وإن أنس ــ أيها الناس ــ لا أنس أن الله سبحانه وتعالى قد سخرّ لى الجنّ وأعطانى سلطانا عليهم، فهم طوع أمرى ونهيي، يأتمرون بما آمرهم به، و ينتهون عما أنهاهم عنه.

ومما زادنى الله به فضلا وتكريما أن سخرّ لى الريح تجرى بأمرى رخاء حيث أشاء، ونعم الله عليّ كثيرة لايحيط بها وصف، ولايحصيها عدّ، ولايقدر على تفصيلها بيان.

وذات صباح، والشمس لاتزال تنفض عن جفنيها بقايا نعاس وفتور، والريح رخاء سمحة القياد، والسماء قبة فيروزج، سار سليمان بجنوده من الإنس والجن والطير، كان الإنس لكثرتهم يغيب من تحت أرجلهم وجه الأرض، وكانت الطير تسدّ وجه الأفق وتحجب عين الشمس، أما الجن فكانوا يسبحون بين السماء والأرض يملئون الفضاء من حول سليمان.

كان جيشا عرمرما، إذا نظرت إلى مقدمته غابت عنك مؤخرته، وإذا نظرت إلى مؤخرته غابت عنك مقدمته، وتباعد مابين ميسرته وميمنته فلا تستطيع أن تراهما معا عينان.

وعلى رغم كثرة الجنود وطول مسيرتهم كانوا يسيرون متماسكين لايتناثرون، متلاحمين لاينفصل بعضهم عن بعض، فالمقدمة لا تسرع أكثر من المؤخرة، والمؤخرة لا تعجز أن تساير المقدمة، والميمنة والميسرة تسيران على نسق وموازنة مع بقية الجيش لاترى فيها عوجا ولا أمتا.

حتى إذا أتى سليمان بجنوده على وادى النمل صاحت نملة تحذّر قومها وتنذرهم ـــ وقد طار قلبها شعاعا من الفزع والهلع وهول الفجاءة: يا أيها النمل البدار البدار إلى مساكنكم، لايحطمنكم سليمان وجنوده فتصبحوا تحت أقدامهم هالكين، إن سليمان ملك عادل لايظلم أحدا، وإن جنوده لايعيثون في الأرض فسادا، ولكنهم قد يطئونكم وهم لايشعرون.

والتقط سمع سليمان عليه السلام صوت النملة وهي تقول ماتقول، فتبسم ضاحكا من قولها، وعجب من نملة صغيرة لا تملأ عينا تحرص كل هذا الحرص على قومها، ترعى شؤونهم، وتخاف عليهم نوائب الدهر وحدثانه.

ويذكّر قول النملة سليمان بنعمة الله أن علّمه منطق كل دابة في الأرض، وجعل عدله يشيع ويذيع فينطق به النمل، فحمد الله تعالى وسأله أن يلهمه دائما شكر نعمته التي ينعم بها عليه وأنعم بها من قبل على والديه، وأن يهديه إلى العمل الصالح وأن يدخله الجنة مع الأبرار.

وينبه قول النملة سليمان لأن يلقى بعينيه هنا وهناك على ما حشر له من جند، ويتفقد فيما تفقده الطير فلا يرى الهدهد في مكانه، فيعجب ويقول: مالى لاأرى الهدهد؟! أتوارى عن الأنظار بالأستار؟! لا، لم يتوار

ولم يحتجب، بل كان من الغائبين، ويغضب سليمان ويقسم: تالله لأعذبنّه عذابا شديدا، أو لأذبحنّه أو ليأتينّي بعذر واضح مبين!!

ويعود الهدهد بعد زمن ليس بالبعيد وقد أعجبته نفسه بما يحمل من أنباء لايدرى بها سليمان ولاخطرت له على بال، ولكنه يعود وما درى ماهدّد به سليمان وأوعد.

ويقف الهدهد أمام سليمان غير بعيد رابط الجأش ثابت الجنان، لاتضطرب من تحته ساق، ولايرتجف على جنبيه جناح، ويقول بلسان فصيح لايُتأتى ولايفأفيء ولايتلعثم: لقد أحطت بما لم تحط به أيها النبيّ الكريم!!

كان هذا القول جرأة عجيبة من الهدهد جعلت الملأ من حول سليمان ينظر بعضهم في وجوه بعض مستغربين مستهجنين، يتوقعون من سليمان أن ينزل به أشد العقاب.

ولكن سليمان ــ عليه السلام ــ كان حكيما حليما ذا أناة، لايسرع إليه الغضب، ولايذهب في حكمه شططا.

على أن الهدهد لم يترك وقتا لعقاب، فتابع كلامه يقول: ولقد جئتك من سبأ بنبأ يقين، لاتشوبه شبهة، ولايعتريه شك، ولاتمتد إليه ريبة وبهتان.

كان الأسلوب الذي ألقى به الهدهد الخبر على سليمان بارعا ذكيا، جعل سليمان يسائل نفسه: ليت شعرى! ماهذا الشيء الذي أحاط به هذا الهدهد الصغير ولم أحط به أنا صاحب السلطان الواسع والملك العريض؟! ماسبأ هذه التي عرفها الهدهد ولم أعرفها، وما هذا النبأ الذي يحمله عن سبأ؟!

لقد همّ سليمان عليه السلام ــ وقد اشتد به الشوق إلى أن يعرف هذا النبأ عن سبأ ــ همّ أن يسأل الهدهد، ولكن سليمان أخذته عزة الملك، وسيطرت عليه هيبة السلطان، وهاهم أولاء العلية من كبار جيشه وشعبه يحيطون به، فلاينبغي له أن يسأل.

ورأى الهدهد استفهاما يلوح على وجه نبيّه سليمان، تفيض به عيناه، وتنطق به أسارير محياه، فأسرع يقول:

إني وجدت في غيبتي أمرا غريبا ـ أيها النبي الكريم ـ وجدت أمرأة تسوس ملكا محكما ثابت الأركان، لايعصى لها فيه أمر، ولاينازعها فيه أحد، لقد أوتيت من كل شيء حسنا: أوتيت جمالا رائعا وقلبا ذكيا وعقلا حكيما، أوتيت جيشا قويا مطيعا مخلصا منظما، أوتيت قوما يقيمون على الولاء سرا وعلانية قد أحبوها حبًّا جمّا، أوتيت مملكة خصبة جميلة خضراء كثيرة النماء والعطاء.

وإن أنس لاأنس ـ أيها النبي الكريم ـ أن أخبرك أن لها عرشا يخطف الأبصار بما فيه من لألاء وبهاء وزينة، ويخطف البصائر بماله من جمال وجلال وروعة، ياله من عرش عظيم!!

لقد أنعم الله على هاتيك المرأة هذه النعم كلها، فكان حقا عليها أن تشكر الله تعالى بالأتعبد إلا إياه، ولكنها ـ واأسفاه ـ عبدت هي وقومها الشمس من دون الله!!

لقد صدّهم الشيطان عن سواء السبيل، وزين لهم أن يعبدوا الشمس، فهم لايهتدون، ولو عرفوا طريق الهدى لعبدوا الله وحده وسجدوا له دون غيره، فالله تعالى هو القادر على مالا تقدر عليه هذه الشمس المعبودة، فهو الذي يخرج الخبء في السموات والأرض: فالسحاب والرياح والمطر والشمس والقمر والنجوم كل أولئك من عند الله، وهذا النبت والزرع والزهر والشجر والينابيع وغير ذلك مما يخرج من جوف الأرض هو من صنع الله.

والذي يخرج الخبء في السموات والأرض يعلم أيها الخلق ماتخفونه من خير وشر ومن أفكار وأسرار ونوايا وعزائم، ويعلم أيضا ماتعلنون من أقوال وأفعال وتحرك وسكون، فالله وحده هو القادر على كل شيء، وهو وحده العالم بكل شيء، وهو وحده رب العرش العظيم الذي لايدانيه ولايشبهه عرش ملكة سبأ ولاغيره من عروش الأرض مهما بلغت من عظمة وأبهة وجلال وزينة.

وينتهي ماأراد الهدهد أن يخبر به سليمان ـ عليه السلام ـ ويصمت، ويصمت سليمان، ويصمت الخاصة من حول سليمان وهم ينظرون إليه يتعرفون في وجهه ماتركته أنباء الهدهد في نفسه، وماعساه أن يقول أو يفعل.

ولاشك أن أنباء الهدهد أثارت في نفس سليمان ــ عليه السلام ــ العجب والاستغراب والريبة، لقد أخذ يقول في نفسه: امرأة تملك! جيش قوى مطيع! قوم على الولاء والحب! مملكة خضراء مخصبة ممرعة! وتثور نفسه حمية لدين الله: أكفرا ياملكة سبأ وعبادة شمس؟! إن هذا لن يكون!!

وفجأة يخرج سليمان عن صمته، وعلى وجهه مخايل عبوس وغضب، ويقول للهدهد في صوت ينذر و يوعد.

سوف نتبيّن ياهدهد فيا بعد أصدقت فيا أنبأت أم كنت من الكاذبين. ودون تلبّث وتريّث يأمر سليمان أن يكتب إلى ملكة سبأ وإلى قومها الذين كفروا بالله وعبدوا الشمس أن يأتوا إليه خاضعين مسلمين، ولتكن الملكة أول من يتلقى الكتاب و يقرؤه، ولتكن أول المنذرين.

وعلى عجل يكتب الكتاب و يطوى ويختم، و يأمر سليمان الهدهد نفسه أن يحمل الكتاب، فهو أدرى بمكان الملكة وقومها، ولأن في ذلك اختبارا أكان صادقا فيا نبأ عن سبأ أم كان من الكاذبين.

و يقول سليمان للهدهد في حزم وعزم! أذهب بكتابى هذا فألقه إلى الملكة التي تعبد الشمس، وتوار في مكان قريب حيث ترى وتسمع مايدور بينها وبين أهل الرأي والمشورة من قومها، وعد إليّ مسرعا لتروى لى ماكان بينهم، وماكان يرجع بعضهم إلى بعض، وعلام استقر بهم الرأي آخر الأمر وهم يأتمرون.

و يفرح الهدهد بهذه المهمة التي وكلت إليه، و يأخذه الزهو وتعجبه نفسه، فقد اختاره سليمان لحمل هذه الرسالة العظيمة، وسوف يعود إلى سليمان بأنباء جديدة، سوف يقيم الحجة على أنه كان صادقا ولم يك من الكاذبين.

ويحمل الهدهد كتاب سليمان ــ عليه السلام ــ إلى ملكة سبأ، وأغلب الظن أنه قد دخل القصر عليها من إحدى نوافذه المفتوحة، وألقاه في مجلسها الخاص بها من حيث لاتدرى ولاتشعر، وحيث لايحول بينها وبين رؤيته حائل، ولايشغلها عن تناوله شاغل.

وسرعان ماتقع عيناها على كتاب سليمان وهي لاتدرى من جاء به

ولا كيف جاء، وتفض الكتاب، وتعرف أنه من سليمان، وأن عليها أن تأتي هي وقومها إليه مسلمين.

وتقرأ الكتاب مثنى وثلاث ورباع وهي لا تكاد تصدق ماجاء فيه، لقد جاء فيه شيء عظيم، جاء فيه مايخرجها على دين آبائها وأجدادها، جاء فيه ماينزع منها هذا الملك الموطد الأركان.

كانت ملكة سبأ ذات فطنة وحنكة ودهاء، فطوت كتاب سليمان بين يديها برفق، وأزمعت في نفسها أمرا ذكيا.

وسرعان مادعت الملكة أهل الرأي والمشورة من قومها وقالت لهم: إنه ألقي إليّ كتاب كريم، إنه من سليمان، وإنه قد بدىء بسم الله الرحمن الرحيم، وقد طلب إلينا فيه ألا نتعالى عليه ونعاند، وأن نذهب إليه مسلمين مستسلمين.

لقد رأيت أن أدعوكم، وأنتم تعلمون منزلتكم عندى ومدى اعتمادى عليكم وعلى رأيكم كلما حزبني أمر، وأوشك أن يحل بكم وبالبلاد شر مستطير وأمر خطير، أفتونى فيما تضمنه كتاب سليمان، فما أنا بقاطعة أمرا ولامنفذة رأيا حتى أشهدكم وأعرف رأيكم، وأخلص أنا وأنتم إلى ماهو أقرب صوابا وأصلح أن يكون جوابا.

قال الملأ من قومها وقد أخذتهم الحمية، قالوا بحماس وشجاعة معلنين الولاء والطاعة:

نحن أولو قوة وأولو بأس شديد، لانخشى حربا ولانخاف قتالا، على أن القتال ليس بالرأي الذي نراه ونصرّ عليه، فالأمر كله إليك، فانظرى ماذا ترين وماذا تأمرين.

وتصمت الملكة وتطرق، ثم ترفع البصر إليهم وتقول: أخشى إذا مااشتدت الحرب بيننا وبين سليمان أن تدور علينا الدوائر، وتكون له الغلبة والسلطان، ويكون لنا الذل والهزيمة، وإن الملوك اذا مادخل جندهم المدن المهزومة عاثوا فيها فسادا يقتلون وينهبون ويأسرون ويسبون، ويصبح أعزة أهلها أذلة، تلك كانت عادتهم، وكذلك هم يفعلون.

أرى أن نبدأ سليمان بالرفق واللين وحسن المعاملة، والرأي عندى أن أرسل بنذا أحمله إليه هدية نفيسة تنال إعجابه وتخلب لبه، وتشغله عنا وعن ديننا، فلا يصرفنا عن عبادة الشمس، ولاينغص علينا ماننعم به من أمن وطمأنينة وخيرات حسان، وعلينا أن ننتظر ونرى ماذا يرجع به المرسلون.

ونظرت الملكة إلى الملأ من حولها تسمع رجع هذا الرأي فلم تسمع شيئا، ولكنها قرأت في وجوههم أمارات الاستحسان والإذعان والقبول.

وانفض الجمع وتفرق الملأ، وبقيت ملكة سبأ في قصرها وحيدة تتناوبها الهواجس وتتراوحها الهموم والآمال، تقول في نفسها: أترى سليمان يقبل الهدية ويرضى بها وأبقى على عرشي مالكة أمرى غير تابعة له، أم تراه يرفضها ويأبى عليّ إلا أن أخضع وأذل وأذهب إليه صاغرة مستسلمة؟! إن لم يكن نبيا وكان ملكا همه الدنيا وزينتها ومتاعها فأغلب الظن أن يفرح بالهدية ويتلقاها بقبول حسن، وتنشأ المودة بيننا وتتواصل الهدايا ويكون حسن جوار، أما إن كان نبيا حقا فليس للهدية عنده مكان، ولن يرضى بها ثمنا لبقائنا على الكفر نعبد الشمس.

ويصل الوفد حاملا الهدية إلى سليمان، وأغلب الظن أنها كانت ذهبا وفضة وجواهر، وحين قدّمت إلى سليمان ورآها صاح في وجه الوفد غاضبا مستخفًّا بالهدية التي حمّلوها، منكراً أن يكون جواب رسالته مالا، قال في سخط وغضب وترفع وإباء: أو محتاج أنا إلى المال؟! ماقيمة هذا المال الذي جئتموني به، لقد آتانى الله خيراً مما آتاكم وخيرا مما آتى الملكة التي أرسلتكم، آتانى الله النبوة والعلم الواسع، وسخّر لي الجن والطير والريح، سخّر لي ملكا لم يسخره لأحد من العالمين!!

أو تظن الملكة أنها تستطيع بهذه الهدية الحقيرة أن تخدعنى عما دعوتها إليه من الإسلام والاستسلام، عودوا بهديتكم إليها، فهي التي تفرح بالهدايا وتحب المال، ولنأتينها وقومها بجنود لاطاقة لها بقتالهم ولنخرجنّهم أذلة صاغرين.

ويعود الوفد يجرّر أذيال الخيبة، ويتردى ثياب الذل والصغار، عاد إلى سبأ بنبأ الحرب والخيل والويل والدمار.

وتتلقاهم الملكة، وتقرأ في وجوههم الهم والغم، وترى هديتها بين يديها خائبة الآمال، وتسمع تهديد سليمان ووعيده، فتدرك أن لامفر لها من

الإسلام والاستسلام، وأن عليها أن تذهب إلى سليمان مسلمة مستسلمة.

كان هذا هو الرأى الذي لارأي غيره، فلتذهب إلى سليمان مسرعة، وليذهب معها اشراف قومها وسادتهم مذعنين طائعين قبل أن تصل جنود سليمان.

لم تدع إلى قصرها أهل الرأي والمشورة، ولم تطلب إلى جيشها أن يستعد للقتال، ودون أناة وتريث بدأت ملكة سبأ الرحلة إلى سليمان.

كان سليمان عليه السلام على ثقة من أنها لاقبل لها بقتاله، وأنها لامحالة آتية إليه مسلمة مستسلمة، وأنها الآن على طريق السلم والاستسلام تسير، فقال لمن حوله في مجلسه الذي يجلسه صباح كل يوم للنظر في أمور الرعية وإدارة شؤون الملك: أيكم يأتينى بعرشها قبل أن يأتونى مسلمين؟

قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك، وإنى لقوى على حمله، وإنى على حفظه والمحافظة على أشيائه لحريص أمين.

لم يظهر على وجه سليمان عليه السلام قبول هذا الرأي ورضاه، فانبرى الذي عنده علم من الكتاب يقول: أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك، وقبل أن يرتد إلى سليمان طرفه كان عرش ملكة سبأ محضرا أمام سليمان، يراه سليمان مستقرا عنده.

لم تُشْغَل عينا سليمان ببهاء العرش ولألائه وبديع صنعه، ولم يملأ قلبه روعة فيه وأبهة وجلال، بل اتجه بقلبه وحسه إلى ربه الذي أنعم عليه فأعطاه ماتمناه وجعل في خاصته من أعطاه الله العلم والقدرة على هذا العمل الخارق.

قال هذا من فضل ربي ليبلونى أأشكر هذه النعمة التي أنعم بها عليّ أم أكفر، من يشكر الله على نعمه فإنما يشكر لنفسه، فتزداد نعم الله عليه ويحفظها الله له من الزوال، ولن ينال الله من شكره شيء، ومن يكفر بنعم الله ويجحدها فيعرض عن عبادة الله وعمل مايرضيه فلن يضر الله شيئا، فربى غنيّ عن عباده كريم لاينسى من فضله أحدا.

ثم يلتفت سليمان عليه السلام إلى من حوله ويقول: نكّروا لملكة سبأ عرشها بعض تنكير، وغيّروا في شكله وهيأته بعض تغيير، وسوف نرى أتكون

ذكية فطنة ذات علم ومعرفة فتهتدى إليه، أم تكون غبية جاهلة فتنكره وتكون من الذين لايهتدون.

و ينكّر عرش الملكة و يغيّر على نحو يجعله يشتبه عليها و يلتبس.

وتصل ملكة سبأ، و يقال لها حين وصلت: أهكذا عرشك؟

كان سؤالا مفاجئا، فقد تركت عرشها من ورائها تحفظه الأبواب والأسوار ويحرسه الجند، فكيف جيء به؟! ومن الذي جاء به ومتى جاء؟! ثم إن هذا الذي تراه ليس عرشها كما عهدتْه وتركتْه ساعة ودّعتْه ورحلت عنه، ولكن فيه مشابه منه كثيرة جدًّا و يكاد يكون إياه!!

لم تخن ملكة سبأ فراستها، ولم تتخل عنها فطنتها، فأجابت جوابا أريبا ليس فيه نفي ولا إثبات، وقالت: كأنه هو.

لقد دلّ هذا الجواب على حدة ذكاء ووقْدة ذهن وفطنة، وعلى علم خبير ببواطن الأمور.

دهشت حاشية سليمان وخاصته من حسن جواب الملكة، ورأت فيه ذكاء والمعية وعلما وبعد نظر، وأحسّ سليمان ماتركه جواب الملكة في نفوس من حوله من إعجاب وإكبار وتجلّة، فراح في مقام المنافسة والموازنة يبين فضله عليها و يقول: لقد أوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين، وصدّها عن الإسلام الشمس التي كانت تعبدها من دون الله وآباؤها الذين كانوا من قبلها كافرين.

وهكذا حاول سليمان أن يمحو ماتركه جواب الملكة في نفوس ملأ سليمان من إعجاب بها وإكبار وتجلّه.

كان الصناع المهرة من رعايا سليمان عليه السلام قد بنوا له صرحا مُمرَّداً من قوارير، وجعلوا أرضه من زجاج أبيض شفّاف، ومن تحت أرضه الزجاجية ماء يمور ويموج و يضطرب و يترجرج.

وبعد أن سئلت الملكة عن عرشها المنكّر وأجابت، ذهب بها إلى هذا الصرح العجيب، وقيل لها حين وصلته ادخلى الصرح، فلما دخلته حسبت الطريق أمامها لجّة ماء دون غطاء، وظنت أنها على وشك أن تخوض في الماء، فكشفت عن ساقيها خشية أن تبتل أطراف ملابسها، فقال لها سليمان

مبادرا: لاعليك، سيرى دون أن تمسكى بثوب أو تكشفى عن ساق، إنه صرح ممرّد من قوارير، وإن الماء من تحته يمور.

لقد بهر ملكة سبأ عجائب ملك سليمان: بهرها أن سخّر الله له الطير، سخّر له الجن، بهرها أن ألقى إليها كتابه من حيث لا تدرى، وأحضر لها عرشها من قبل أن تصل وقد تركته وراءها تحيط به الأبواب الموصدة والأسوار المنيعة والحراس الأشداء، بهرها قصره الشامخ من قوارير يجرى من تحته الماء كأنه بحر لجيّ.

كل أولئك وغير أولئك مما أحسّت ورأت جعلها تؤمن بأن سليمان نبيّ من عند الله حقا وصدقا، فلم يسعها إلا أن تعلن إسلامها وتقول: رب إني ظلمت نفسى بعبادة الشمس وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين.

هذا، وقد جاء استفهام (**أصدقت أم كنت من الكاذبين**) جاء مفيدا الشك والتردّد: فقد شك سليمان عليه السلام وتردّد في صدق الهدهد فيا نبأ به عن سبأ، فقد كان نبأ عجيبا غريبا، وعلى رغم أن الهدهد قد مهّد للنبأ بقوله (**أحطت بما لم تحط به**) وحاول أن يزيل الشك في صدقه بقوله (**بنبأ يقين**)، على رغم هذا كله قال له سليمان شاكاً متردّدا (**سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين**).

وهذا الأسلوب (**أصدقت أم كنت من الكاذبين**) أقوى وأبلغ في نسبة الكذب إلى الهدهد من قول قائل «**أصدقت أم كذبت**» لأن كونه من الكاذبين يدل على أنه معروف بالكذب له سابقة في هذا الوصف، بخلاف «أم كذبت» فإنه يدل على اتهامه بالكذب ابتداء دون أن يكون له سابقة فيه.

١٧ ــ أصفى

أما الفعل السابع عشر من الأفعال الماضية التي دخلت عليها همزة الاستفهام في القرآن الكريم فهو (أصفى)، وقد ورد في موضع واحد في قوله تعالى:

﴿أَفَأَصْفَىٰكُمْ رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًا ۚ إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ٤٠﴾

الآية (٤٠) من سورة الإسراء.

في هذه الآية الكريمة الردّ على القائلين الملائكة بنات الله. وهي تتضمن أن الله سبحانه وتعالى لم يخص المشركين ولم يؤثرهم بأفضل الأولاد وهم البنون، ولم يتخذ لنفسه من الملائكة بنات.

إن المشركين بقولهم الملائكة بنات الله ليفترون على الله افتراء عظيما.

وقد جاء استفهام: (**أفأصفاكم ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة إناثا**)، جاء مفيدا الإنكار والتوبيخ والتعجيب والسخرية: أفاد الإنكار بمعنى النفي أي لم يخصكم ربكم أيها المشركون بالبنين، ولم يتخذ لنفسه من الملائكة إناثا.

وأفاد توبيخ أولئك المشركين على أن جعلوا لله مايكرهونه لأنفسهم وهن البنات، وخصوا أنفسهم بمن يحبونهم وهم البنون.

و يفيد التعجيب والسخرية من أولئك المشركين في ادعائهم أن الله سبحانه وتعالى قد خصهم بأفضل الأولاد ــ في زعمهم ــ وهم البنون، واتخذ لنفسه الأدنى من الأولاد ــ في زعمهم ــ وهن البنات، إنه لزعم يدعو إلى التعجب و يبعث على السخرية، فالله سبحانه وتعالى لم يلد ولم يولد ولم يتخذ ولدا ذكرا كان أو أنثى.

١٨ ــ اصطفى

أما الفعل الثامن عشر من الأفعال الماضية التي دخلت عليها همزة الاستفهام في القرآن الكريم فهو (اصطفى)، وقد ورد ذلك في موضع واحد في قوله تعالى:

فَٱسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَاتُ
وَلَهُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿١٤٩﴾ أَمْ خَلَقْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثًا وَهُمْ
شَٰهِدُونَ ﴿١٥٠﴾ أَلَآ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ
ٱللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٥٢﴾ أَصْطَفَى ٱلْبَنَاتِ عَلَى ٱلْبَنِينَ ﴿١٥٣﴾
مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٥٤﴾ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٥﴾ أَمْ لَكُمْ سُلْطَٰنٌ مُّبِينٌ
﴿١٥٦﴾ فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٥٧﴾

الآيات: (١٤٩ ــ ١٥٧) من سورة الصافات

تتضمن هذه الآيات الكريمة أن الله سبحانه وتعالى قد أمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يسأل المشركين إنكارا عليهم واستخفافا بهم وتوبيخا لهم وتعجيبا منهم، أن يسألهم: لم جعلتم البنات ــ وهن أقل الجنسين منزلة في زعمكم ــ لم جعلتموهن لله سبحانه وتعالى ونسبتموهن إليه عزّ وجلّ، ولم جعلتم البنين لكم ــ وهم في زعمكم أفضل الجنسين منزلة ــ فنسبتموهم إليكم، اسألهم يامحمد: هل يستطيعون أن يثبتوا وجها من الهدى لهذه القسمة الضالة، حيث جعلوا لله تعالى البنات وهن مايكرهون، فقد كانوا إذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودّا يتوارى من القوم من سوء مابشّر به، ثم خصوا أنفسهم بما يحبون وهم البنون.

إنهم لم يكونوا شاهدين حاضرين حين خلق الله الملائكة، وإذ لم يشهدوا ذلك ولم يحضروه فمن أين لهم أن الملائكة إناث؟!

لقد بلغ بهم الكذب والإفك أن قالوا إن الله قد ولد، فياله من كذب صراح وقاح!!

ولو ذهب ذاهب ــ على سبيل الافتراض ــ إلى أن الله سبحانه وتعالى قد ولد، فكيف تحكمون أنه قد ولد البنات واصطفاهن دون البنين؟! من أين لكم أن تحكموا أن لله البنات وأن لكم البنين؟! إن حكمكم بأن الملائكة بنات وأنهن بنات الله حكم ينفيه العقل ولايصدقه، وليس لكم فيه دليل نقلي ورد في كتاب مرسل من عند الله إليكم أو إلى غيركم، فأنتم في حكمكم هذا كاذبون، إذ لم يقم عليه دليل نقلي مصدّق يصدّقه، ولم يقم عليه دليل عقلي يحقّقه، ولم يقم عليه دليل حسّي من مشاهدة وحضور.

أفلا تتذكرون وتعقلون وترجعون عن الكذب والإفك إلى الحق والصدق؟!

وقد أفاد استفهام (**أصطفى البنات على البنين**) أفاد الإنكار والتوبيخ والسخرية والتعجيب :

أفاد الإنكار بمعنى لم يلد الله أحدا، ولم يصطف لنفسه ولم يختر البنات ويفضلهن على البنين.

وأفاد توبيخ المشركين على قولهم قد أصطفى الله البنات وترك البنين وليس لهم حجة ولابرهان.

ويفيد السخرية بهؤلاء المشركين والتعجيب منهم حيث ينسبون إلى الله الذي خلقهم مالايرضونه لأنفسهم ويقولون على الله تعالى مالايعلمون.

والفعل الذي دخلت عليه همزة الاستفهام هنا هو (إصطفى) وبعد أن دخلت عليه همزة الاستفهام صار (أإصطفى) بهمزتين : الأولى همزة الاستفهام المفتوحة والثانية همزة الوصل المكسورة، واجتماع همزتين في أول الكلمة على هذا النحو ثقيل على اللسان، فحذفت همزة الوصل المكسورة تخفيفا واستغناء عنها بهمزة الاستفهام.

١٩ ـ اطلع

أما الفعل التاسع عشر من الأفعال الماضية التي دخلت عليها همزة الاستفهام في القرآن الكريم فهو (اطلع) وقد ورد ذلك في موضع واحد في قوله تعالى:

أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾ أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾ كَلَّا ۚ سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا ﴿٧٩﴾ وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴿٨٠﴾

الآيات: (٧٧ ـ ٨٠) من سورة مريم.

جاء في تفسير البحر المحيط أن هذه الآيات نزلت في العاصي بن وائل السهمي: فقد عمل له خبّاب بن الأرتّ عملا وتقاضاه أجر ماعمل، فقال العاصي: لاأنصفك حتى تكفر بمحمد، فقال خبّاب: لا أكفر بمحمد حتى يميتكَ الله و يبعثك، فقال العاصي: أو مبعوث أنا بعد الموت؟! قال خباب: نعم. قال العاصي فائت إذا كان ذلك فسيكون لى مال وولد، وعند ذلك أقضيك دينك.

فالعاصي بن وائل السهمي هو المراد ب (**الذي كفر بآياتنا**) وقد تضمنت هذه الآيات الكريمة: أفرأيت يامحمد هذا الذي كفر بالقرآن الكريم وبالحجج الدالة على البعث، وقال مستهزئا متعنتا: لأوتَيَنّ مالا وولدا، أو بلغ من عظمة شأنه أن ارتقى إلى علم الغيب الذي توحد به الله تعالى فادعى أن يؤتَى في الآخرة مالا وولدا، أم اتخذ عند عالم الغيب عهدا أن يؤتى ذلك؟!

ليرتدعْ عن قوله الكاذب!! فليس الأمر كما قال، فهو لم يطلع الغيب، ولم يتخذ عند الرحمن عهدا، إنه مجرم كاذب كفار!!

سنحفظ عليه هذا القول ونجازيه به في الآخرة، سوف نزيده عذابا فوق عذاب، ونسلبه ماأعطيناه في الدنيا من مال وولد، ولسوف يأتينا يوم القيامة فردا ذليلا لامال ولا ولد ولاعشيرة.

وقد جاء استفهام (أطلع الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهدا) جاء مفيدا الإنكار والتوبيخ والسخرية والتعجيب.

أفاد الإنكار بمعنى لم يطلع الغيب ذلك الرجل الذي قال وأقسم لأعطينَّ مالا وولدا، لم يطلع الغيب لأن الغيب مختص به تعالى، والله جلّ وعلا لم يعلمه ماذا سيكون حاله في الآخرة، ولم يتخذ ذلك الرجل عهدا وموثقا من الله تعالى أنه سيعطيه مالا وولدا في الآخرة، فالطريقان اللذان يعرف بهما ذلك الرجل أمره في الآخرة قد انتفيا.

وأفاد هذا الاستفهام توبيخ ذلك الرجل على ماادعاه لنفسه في الآخرة وأقسم عليه من كذب وزور وبهتان.

ويفيد هذا الاستفهام أيضا السخرية بذلك الرجل والتعجيب منه حيث يقيس حاله في الآخرة التي لايدرى عنها شيئا على حاله في الدنيا فيهرف بمالا يعرف، ويقول مالايعقل ولايعلم.

والفعل الماضى (أطلع) الذي دخلت عليه همزة الاستفهام متعد بنفسه هنا، و(الغيب) مفعول به وليس منصوبا على نزع الخافض، و(أم) متصلة عاطفه، و(اتخذ) فعل ماض وهو هنا متعد إلى مفعول به واحد هو (عهدا) و(عند) ظرف مكان متعلق ب (اتخذ)، وجملة (اتخذ عند الرحمن عهدا) معطوفة على الجملة الواقعة بعد همزة الاستفهام فهى مثلها داخلة في حيز الاستفهام.

والهمزة المفتوحة في (أطلع) هى همزة الاستفهام، أما همزة الوصل المكسورة التي كانت في أول الفعل قبل دخول همزة الاستفهام فقد حذفت للتخفيف ولأن همزة الاستفهام تغنى عنها.

٢٠ ــ طال

أما الفعل العشرون من الأفعال الماضية التي دخلت عليها همزة الاستفهام في القرآن الكريم فهو (طال) وقد ورد ذلك في موضع واحد في قوله تعالى:

يَـٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ قَدۡ أَنجَيۡنَٰكُم مِّنۡ عَدُوِّكُمۡ وَوَٰعَدۡنَٰكُمۡ
جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنَ وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَنَّ وَٱلسَّلۡوَىٰ ﴿٨٠﴾ كُلُواْ
مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَلَا تَطۡغَوۡاْ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيۡكُمۡ غَضَبِيۖ
وَمَن يَحۡلِلۡ عَلَيۡهِ غَضَبِي فَقَدۡ هَوَىٰ ﴿٨١﴾ وَإِنِّي لَغَفَّارٞ لِّمَن تَابَ
وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا ثُمَّ ٱهۡتَدَىٰ ﴿٨٢﴾ ۞ وَمَآ أَعۡجَلَكَ عَن
قَوۡمِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٨٣﴾ قَالَ هُمۡ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِي وَعَجِلۡتُ إِلَيۡكَ
رَبِّ لِتَرۡضَىٰ ﴿٨٤﴾ قَالَ فَإِنَّا قَدۡ فَتَنَّا قَوۡمَكَ مِنۢ بَعۡدِكَ وَأَضَلَّهُمُ
ٱلسَّامِرِيُّ ﴿٨٥﴾ فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفٗاۚ قَالَ
يَٰقَوۡمِ أَلَمۡ يَعِدۡكُمۡ رَبُّكُمۡ وَعۡدًا حَسَنًاۚ أَفَطَالَ عَلَيۡكُمُ
ٱلۡعَهۡدُ أَمۡ أَرَدتُّمۡ أَن يَحِلَّ عَلَيۡكُمۡ غَضَبٞ مِّن رَّبِّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُم
مَّوۡعِدِي ﴿٨٦﴾ قَالُواْ مَآ أَخۡلَفۡنَا مَوۡعِدَكَ بِمَلۡكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلۡنَآ
أَوۡزَارٗا مِّن زِينَةِ ٱلۡقَوۡمِ فَقَذَفۡنَٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلۡقَى ٱلسَّامِرِيُّ ﴿٨٧﴾
فَأَخۡرَجَ لَهُمۡ عِجۡلٗا جَسَدٗا لَّهُۥ خُوَارٞ فَقَالُواْ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمۡ
وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ﴿٨٨﴾ أَفَلَا يَرَوۡنَ أَلَّا يَرۡجِعُ إِلَيۡهِمۡ قَوۡلٗا وَلَا
يَمۡلِكُ لَهُمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗا ﴿٨٩﴾ وَلَقَدۡ قَالَ لَهُمۡ هَٰرُونُ مِن قَبۡلُ
يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوٓاْ

أَمْرِي ﴿٩٠﴾ قَالُوا لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ
﴿٩١﴾ قَالَ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ
أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي ﴿٩٣﴾ قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي
إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ
قَوْلِي ﴿٩٤﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ ﴿٩٥﴾ قَالَ بَصُرْتُ
بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ
فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي ﴿٩٦﴾ قَالَ
فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ
مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُ وَانظُرْ إِلَىٰ إِلَٰهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ
عَاكِفًا لَّنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٧﴾ إِنَّمَا
إِلَٰهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾

الآيات : (٨٠ ــ ٩٨) من سورة طه.

تتضمن هذه الآيات الكريمة أن الله سبحانه وتعالى قد أنعم على بني إسرائيل فأغرق عدوهم فرعون وجنوده في اليم،وأنجاهم من العذاب الذي كانوا يلاقونه في مصر على يد القبط الذين كانوا يذبحون أبناءهم و يستحيون نساءهم.

وأنعم عليهم مرة أخرى بعد أن قطعوا البحر ونجوا إلى البر، فأنزل عليهم المنّ ذلك الطعام الذي كان يشبه الدقيق، ينزل عليهم مع الفجر كالندى، و يتجمد فوق الأرض كالجليد، فيلتقطونه و يصنعون منه طعاما لذيذا، وأنزل عليهم السلوى طائر السماني تسوقه إليهم الريح بأمر الله فيقبضونه بالأيدي

ويصنعون من لحمه طعاما شهيا.

أمرهم الله تعالى أن يستمتعوا بهذا الرزق حلالا سهلا لاينالهم فيه نصب ولايمسّهم جوع، وحذرهم من الطغيان في هذا الرزق بأن لايشكروا الله الذي أنعم عليهم وأن يعبدوا سواه، أو أن يصيبهم فيه الأشر والبطر والإسراف، أو أن يأكلوه اغتصابا بعضهم من بعض، وأنذرهم عاقبة الطغيان، وعاقبة الطغيان أن يحل عليهم غضب الله، ومن يحلل عليه غضب الله فقد هوى.

على أنه من يرتكب خطيئة أو يجترح إثما فإن الله تواب غفور رحيم، يغفر الذنوب لمن يتوبون إليه ويؤمنون به ثم يتبعون إيمانهم بالعمل الصالح، ويلتزمون مايقتضيه الإيمان من حقوق، فلا يتراجعون عنها ولايغفلون عنها ولايفترون.

وقد واعد الله سبحانه وتعالى بنى إسرائيل جانب الطور الأيمن بإتيان موسى عليه السلام إلى هذا الجبل بسيناء لمناجاته وإنزال التوراة عليه فيها هدى وصلاح وإرشاد إلى ماينفعهم في الدنيا والآخرة.

وتعجل موسى الإتيان إلى الجبل دون أن يكون معه قومه، وترك أخاه هارون يخلفه فيهم.

وفي نهاية المناجاة وبعد إنزال التوراة عليه سأله الله تعالى ـ وهو أعلم ـ **(وما أعجلك عن قومك ياموسى)؟!**

قال موسى ــ وقد فوجيء بالسؤال ــ إن قومي يسيرون على أثرى غير بعيد، وعجلت إليك ربِّ حرصا على مناجاتك وطلبا لمزيد رضاك.

فأخبره الله تعالى أن قومه قد وقعوا في الفتنة، وأن الله قد ابتلاهم بعبادة العجل الذي أخرجه لهم السامريّ وزعم أنه إلهم، فأضلهم بعد أن كانوا مهتدين.

رجع موسى إلى قومه غضبان حزينا لما أحدثوا بعده من الكفر، ووقف فيهم خطيبا: ألم يعدكم ربكم وعدا حسنا؟! بلى قد وعدكم ربكم أن ينزل عليّ التوراة فيها لكم هدى ونور ورحمة، وقد أنجز الله ماوعد، وهاأنا ذا

أعود إليكم بها.

أفطال عليكم غيابي والعودة إليكم بما وعدكم ربكم، لم يطل، إن كان إلا أربعين ليلة، وماأربعون ليلة بكثير، لقد وعدتمونى أن تقيموا على ماأمرتكم به وتركتكم عليه من الإيمان بالله والتزام طاعته وعبادته، فأين ماوعدتموني به؟! وماهذا الذي فعلتموه من بعدى؟! ماعبادة العجل هذه التي تعبدونها؟! لقد استحققتم بها غضب الله، وفعلتم فعل من يريد أن ينزل عليه عذاب الله.

قال القوم يعتذرون إلى موسى: ماتركنا موعدك طواعية واختيارا، ولكنا غلبنا على أمرنا بإضلال السامريّ لنا حين حفر حفرة في الأرض وأمرنا أن نلقي فيها أوزاراً من الذهب والفضة استعرناها من القبط ليلة خروجنا من مصر، وقد سوّغ لنا ذلك الإلقاء وزينه في نفوسنا، فألقيناها، وكذلك ألقى السامري ماكان في يده، فأخرج لنا عجلا جسدا له خوار، وقال لنا هو وأتباعه: هذا العجل هو إلهكم وإله موسى، وقد نسي موسى ربه هنا، نسي أن ربه الذي ذهب يريده ويطلبه هو هذا العجل.

لقد بلغت الفتنة بمن أضلهم السامري أنهم كانوا يرون العجل لايرجع إليهم قولا ولاينبس ببنت شفة، ثم هو لايدفع عنهم ضرا ولايجلب لهم نفعا، ومع ذلك كله عبدوه واتخذوه إلها!!

وبلغ بهم الأمر أن نبيهم هارون قد قال لهم من قبل أن يعود إليهم موسى: ياقوم إن هذا العجل فتنة لكم واختبار لإيمانكم، فابقوا على ماترككم عليه موسى وأوصاكم به من عبادة الله وحده لاشريك له ولاند، ياقوم إن ربكم الرحمن يرحمكم ويغفر لكم من ذنوبكم إن تبتم إليه ورجعتم عن هذه العبادة الظالمة الخاسرة، إنه هو التواب الرحيم، ياقوم اتبعوني على ماآمركم به من عبادة الله ونبذ عبادة هذا العجل، أطيعونى في البقاء على طاعة الله وإخلاص العبادة له، ياقوم إن هذا العجل كما ترون لايعقل ولا يعى ولايسمع ولايضر ولاينفع، فعبادته ضلال وجهالة، ياقوم إنى رسول الله إليكم وإنى فيما أقوله لكم ناصح أمين.

فأجابه القوم ضلّة وعنادا: لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع إلينا

موسى، فيبين لنا أن هذا العجل ليس إلها ولايستحق أن يعبد.

وبعد أن رجع موسى من مناجاة ربه وأنكر على قومه عبادة العجل التفت إلى أخيه هارون آخذا رأسه باليد اليمنى ممسكا لحيته باليد اليسرى قائلا يلوم ويعتب: مامنعك إذ رأيت الذين ضلوا فعبدوا العجل من دون الله، مامنعك أن تأخذهم بالحزم وأن تسوسهم بالشدّة وأن تقاتلهم بمن معك من المسلمين، لقد قلت لك حين فارقتك إلى الطور اخلفني في قومى وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين، فعصيت أمرى وضعفت واستكنت ولم تأخذ الضالين بما ينبغى أن تأخذهم به، فتمادوا في الضلال وعبدوا العجل، واكتفيت بالنصح الذي لم يلق أذنا صاغية.

قال هارون يعتذر ويستعطف: ياابن أمَّ لا تأخذ بلحيتى ولا برأسى، فما أنا بالعاصى أمرك، وماكنت لأقصر فيه، ولكنى خشيت إن أنا أخذتهم بالحزم وسستهم بالشدة أن يتقاتلوا وأن يتفانوا وأن تقول فرّقت بين بني إسرائيل ولم ترقب قولى في الإصلاح.

لقد زجرتُ من ضلّ وبيّنتُ لهم أن العجل فتنة، فاستكبروا استكبارا وأصروا على العكوف عليه حتى ترجع إليهم ويروا رأيك فيه.

وبعد جواب هارون واعتذاره التفت موسى إلى السامريّ وقال: ماهذه الفعلة الضالة المضلة التي فعلت ياسامريّ؟!

قال السامريّ: علمت مالم يعلم القوم، وفطنت لما لم يفطنوا له، فقبضت قبضة من أثر الرسول وألقيتها في الحلي الذي ألقاه القوم، وأخرجت لهم منه عجلا جسدا له خوار، وليس هذا سوى شيء سوّلته لى نفسى وفعلة خطر ببالى أن أفعلها.

قال له موسى: تبًّا لك! وتعساً لما سوّلت لك نفسك!! إن لك في هذه الحياة الدنيا عقوبة لا تنفك عنك ولا تزول عنها مادمت حيا، ستظل تسير بين الناس تتحاماهم ويتحامونك وأنت تصيح فيهم: لامساس لامساس، خشية أن تمسّ أحدا أو يمسّك أحد فتنزل بكل منكما حمى شديدة لانجاء منها ولاشفاء.

وإن لك في الآخرة موعدا لن تنجو منه ولن تُخلفه، إن لك فيها عذابا أشد وأبقى، نار جهنم مثوى من ضل وغوى.

أما هذا العجل الذي اتخذته إلها وظللت عليه عاكفا فلن نبقى له أثرا، لنحرّقنّه ثم لننسفنّه في اليم نسفا، ولسوف ترى أنه عاجز لايستطيع أن يدفع عن نفسه الضّر والهلاك والدمار.

أيها الناس، إنما إلهكم إله واحد لاشريك له، هو أعلم بمن ضلّ عن سبيله، وهو أعلم بمن أهتدى، لا إله إلا هو قد أحاط بكل شيء علما.

هذا، وقد أفاد استفهام (**أفطال عليكم العهد**) الإنكار والتوبيخ: أفاد الإنكار بمعنى النفي أي لم يطل عليكم العهد بوعد الله إياكم بأن ينزل التوراة عليّ في جانب الطور الأيمن يكون لكم فيها هدى ومنافع، فما زادت غيبتى على أربعين ليلة، وماأربعون ليلة بالزمن الطويل.

وأفاد التوبيخ: توبيخ من عبدوا العجل على إخلافهم ماوعدوه من الثبات على الإيمان بالله والتزام طاعته وعبادته حتى يرجع إليهم، وتوبيخهم على انصرافهم عن عبادة الله إلى عبادة العجل، على الرغم من أن غيبته عنهم لم تكن طويلة فيجدوا في طولها عذرا لليأس من وفاء الله بما وعدهم أو لنسيان ماوعدوا به.

و(أم) في قوله (**أم أردتم أن يحل عليكم غضب من ربكم فأخلفتم موعدى**)، (أم) هذه منقطعة بمعنى بل، فهي للإضراب عما قبلها إضرابا انتقاليا وللعدول إلى مابعدها، كأنه يقول: لم يطل عليكم عهدى ولكنكم أردتم بصنيعكم هذا أن يحل عليكم غضب من ربكم فأخلفتم موعدى، أى فعلتم فعل من يريد ذلك.

والفاء الواقعة بعد همزة الاستفهام في (**أفطال عليكم العهد**) عاطفة، عطفت مابعدها، والمعطوف عليه هو ماقبل الهمزة ـــ وهذا هو رأي سيبويه والجمهور ـــ وقد ذهب الزمخشري إلى أن المعطوف عليه محذوف مقدر بعد الهمزة.

وإذا رجعنا إلى الآيات المتقدمة وجدنا فيها استفهاما آخر دخلت فيه همزة الاستفهام على الفعل الماضي وهو (**أفعصيت أمرى**).

وقد جاء هذا الاستفهام محكيا عن موسى عليه السلام يخاطب به هارون عليه السلام.

ولكن ماهذا الأمر الذي أمر به موسى أخاه هارون فعصاه؟

ذهبت طائفة من المفسرين إلى أن المراد بهذا الأمر هو قول موسى لأخيه هارون حين ذهب موسى لمناجاة ربه: اخلفني في قومي وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين، فخلفه هارون وأصلح بحسب اجتهاده فأنكر على الذين عبدوا العجل وبيّن لهم أن عبادتهم العجل شرك وضلال، ولكنه لم يقاتلهم بمن بقي معه على الإيمان خشية أن يتفانوا و يتسع الخرق على الراقع.

وذهبت طائفة أخرى إلى أن المراد بهذا الأمر هو أن يتبع هارون موسى ببني إسرائيل إلى جبل الطور بعد أن ذهب إليه لمناجاة ربه ولم يتبعه هارون بمن بقي معه على الإيمان خشية أن يقول له موسى فرّقت بين بني إسرائيل فجئتنى بفريق وتركت فريقا.

ومهما يكن المراد فقد أفاد استفهام (**أفعصيت أمرى**) الإنكار واللوم: بمعنى لاينبغى لك ياهارون أن تعصى أمرى فتأخذ عبدة العجل باللين والسلم بعيدا عن الشدّة والحزم.

أو بمعنى لاينبغى لك هارون أن تعصى أمرى فلاتتبعنى ببني إسرائيل إلى جبل الطور بعدأن ذهبت إليه لمناجاة ربى.

وقد ذهب أبو السعود في تفسيره إلى أن استفهام (**أفعصيت أمري**) يفيد الإنكار التوبيخي. وأنا استبعد أن يوبخ موسى أخاه هارون وهو رسول مثله.

وأحب أن أنبّه هنا على أن حروف العطف التي تقع بعد همزة الاستفهام هي الواو والفاء ــ وهذا كثير جدا ــ و(ثمّ) وهذا قليل جدا. وأبو السعود في تفسيره أكثر المفسرين اتباعا وأخذا برأي الزمخشري القائل إن حروف العطف بعد همزة الاستفهام تعطف على محذوف مقدر بعد الهمزة، وقد عنى في تفسيره بذكر هذا المعطوف عليه المحذوف المقدّر بعد الهمزة أكثر مما عنى الزمخشرى نفسه بهذا في تفسيره الكشاف.

فعلى الذين يريدون أن يعرفوا المعطوف عليه المحذوف المقدّر بعد همزة الاستفهام أن يرجعوا إلى تفسير أبى السعود.

والتقدير عند أبى السعود في استفهام (**أفطال عليكم العهد**): أوعدكم ذلك فطال عليكم العهد.

والتقدير في استفهام (**أفعصيت أمري**): أخالفتني فعصيت أمري.
وأرى أن تقدير معطوف عليه محذوف بعد همزة الاستفهام تكلف لايستدعيه السياق ولايتطلبه المعنى، وأن الرأي ماذهب إليه سيبويه من أن حروف العطف بعد همزة الاستفهام تعطف على ماقبل الهمزة.

على أن حروف العطف بعد همزة الاستفهام ليس لها تأثير في معنى الهمزة، وإنما هي لربط الكلام بعضه ببعض.

٢١ ـ عجب

أما الفعل الحادي والعشرون من الأفعال الماضية التي دخلت عليها همزة الاستفهام في القرآن الكريم فهو (عجب) وقد ورد ذلك في موضعين:
الموضع الأول في قوله تعالى:

قَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾ قَالَ
يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ
﴿٦١﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ
مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَى
رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٦٣﴾ فَكَذَّبُوهُ
فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا
بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ ﴿٦٤﴾

الآيات: (٦٠ ـ ٦٤) من سورة الأعراف

تتضمن هذه الآيات الكريمة أن الله سبحانه وتعالى قد بعث نوحا عليه السلام رسولا إلى قومه يدعوهم إلى عبادة الله ونبذ عبادة الأصنام، ويحذرهم من عقاب الله إن لم يستجيبوا له، فناداهم نداء نديًا يستعطفهم فيه ويذكرهم أنهم قومه، فهم أقرب الناس إليه، وهو أحرص الناس على مافيه خير لهم، فينبغي لهم أن يكونوا أجدر من غيرهم في أن يستجيبوا له وألا يخالفوه.

قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره، فهذه الأصنام التي تعبدونها ليست آلهة تستحق العبادة، هي لا تدفع عنكم ضرا ولاتجلب لكم نفعا،

ولا تعقل ماتقولون ولا تسمعكم إذ تدعون، الله وحده هو الخالق الرازق الذي يسمع دعاءكم و يستجيب لكم إذا مادعوتموه مخلصين له الدين.

أنا أدعوكم إلى عبادة الله وحده حرصا على مافيه نفعكم وإشفاقا عليكم، إني أخاف عليكم إذا ماتماديتم في عبادة أصنامكم واستكبرتم عن عبادة ربكم، إنى أخاف عليكم أن يعذبكم الله عذابا شديدا يوم القيامة العظيم، يوم يبعث الناس من قبورهم ويحاسبون على أعمالهم، و يلقون جزاء ماكانوا يعملون.

لم يجد نداء نوح سبيلا إلى آذان قومه الصم، ولاطريقا إلى قلوبهم الغليظة، فأعرضوا عما دعاهم إليه، وكذّبوه وكفروا بدعوته، وأصروا على عبادة أصنامهم، واستكبروا عن الإيمان بما دعاهم إليه.

قال أشراف قومه وسادتهم بلسان ينضح بالحقد والكراهية: إنا لنراك يانوح غارقا في الضلال، ضلالك يانوح واضح مبين، لايخفى علينا ولا تعمى عنه العيون.

لم يفتّ هذا الجواب الفظّ في عضد نوح ولم يفلّ من عزمه، فراح يحاور قومه في سماحة وسجاحة وسكينة، ويجادلهم بالتي هي أحسن: قال نوح ليس بى ياقوم من ضلالة، وماأنا بضال ولاداعية ضلال، وإنما أنا رسول من رب العالمين، أبلغكم ماأمرنى الله أن أبلغكم إياه، لا أزيد فيه ولا أنقص، ولن أتوقف عنه أو أفتر، ولن أرجع عنه أو أنام، سأظل أنصح لكم فيما أدعوكم إليه من عبادة الله، وسوف أظل أحذركم من العاقبة السوءى لعبادة الأصنام، وأنا أعلم من الله فيما أنصح وفيما أحذر وفيما يجب علي أن أفعله مالا تعلمون.

لاينبغي لكم ياقوم أن تعجبوا من أن يأتيكم وعظ وهدى من ربكم على لسان رجل من البشر مثلكم ولم يك من الملائكة، أنْ يكون ياقوم رجلا منكم أحق وأولى، كي تفهموا عنه مايقول، وتعقلوا مايدعوكم إليه و ينهاكم عنه.

ماجئتكم ياقوم أطلب رئاسة عليكم وإمارة، وماجئتكم أبغى مالا وتجارة، جئت لأبين عاقبة السوء لعبادة الأصنام التي عليها تعكفون، جئت لأنصح

لكم أن تخلصوا العبادة لله وأن تنبذوا عبادة الأصنام لعل الله يرحمكم ويتوب عليكم وينجيكم من عذاب أليم.

لكن قوم نوح كذبوا نوحا وتمادوا في العناد والإعراض إلى حدّ أنهم كانوا يضعون أصابعهم في آذانهم كي لايسمعوا إنذاره ونصحه، ويضعون ثيابهم على عيونهم كي لايبصروا وجهه وشخصه.

ويوحي الله تعالى إلى نوح أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن، ويأمره أن يصنع السفينة لينجو فيها هو ومن كان معه من المؤمنين.

ويصنع نوح السفينة ويركب فيها هو والذين آمنوا معه ــ وما آمن معه إلا قليل ــ ويحمل فيها من كل زوجين اثنين كما أمره الله رب العالمين.

وسرعان مايأتي الطوفان بأمر من الله جلّت قدرته، فيغمر وجه الأرض ومافيها من أودية وماعليها من تلال وجبال، وتجري السفينة بمن فيها في موج كالجبال، وينجي الله نوحا والذين آمنوا معه وماحملته السفينة، ويغرق الذين كفروا بآياته دون أن يجدوا عاصما يعصمهم من أمر الله العلي العظيم.

لقد كانوا قوما عمين، عميت قلوبهم عن الهدى، نصح لهم نوح أن يعبدوا الله وينبذوا عبادة الأصنام فأبوا واستكبروا استكبارا، وأصروا على الكفر والعصيان إصرارا. حذرهم عاقبة كفرهم فسخروا منه ومن وعيده، فانتقم الله منهم فكانوا من المغرقين.

ونجى الله نوحا والذين آمنوا معه، إنهم كانوا عبادا صالحين مهتدين.

وقد جاء استفهام (**أوعجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم ولتتقوا ولعلكم ترحمون**) جاء مفيدا الإنكار والتوبيخ والتعجب بمعنى لاينبغي لكم ياقوم أن تعجبوا من أن يرسل الله إليكم رجلا منكم ليهديكم إلى عبادة الله وحده ونبذ عبادة الأصنام، ولينذركم عقاب الله ولتتقوا عذابه ولعلكم ترحمون.

أنْ يكون الرسول رجلا منكم أحق وأولى، فأنتم تعرفونه وتأنسون إليه وتفهمون عنه مايقول، وهو أدرى بشؤون حياتكم وأحرص على مافيه خيركم.

وإنه لما يثير العجب أن تعجبوا من أن يرسلنى الله إليكم، وليس في هذا عجب، فسنة الله في خلقه أن يرسل إلى كل قوم رسولا منهم، ولكنكم

قوم لا تعقلون، ولو كنتم تعقلون ماعبدتم أصناما لاتحسّ ولا تعقل، ولا تدفع ضرا ولاتجلب نفعا.

وقد ذهب الزمخشري في تفسيره الكشاف إلى أن الواو الواقعة بعد همزة الاستفهام في قوله (أوعجبتم) عاطفة على محذوف بعد الهمزة، والتقدير عنده: أكذبتم وعجبتم، وجاء أبو السعود من بعده فجعل التقدير في تفسيره: أستبعدتم وعجبتم.

والصحيح ماذهب إليه سيبويه وجمهور النحاة من أن الواو الواقعة بعد همزة الاستفهام تعطف مابعدها على ماقبل الهمزة ولاحذف ولا تقدير، وأصل الكلام وأعجبتم بتقديم واو العطف على همزة الاستفهام، ولكن همزة الاستفهام قدمت على حرف العطف لأن لها الصدارة.

أما الموضع الثاني الذي دخلت فيه همزة الاستفهام على الفعل الماضي (عجب) فقد ورد في قوله تعالى:

۞ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ
هُودًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ
﴿٦٥﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى
سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦٦﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ
لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٧﴾
أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾ أَوَعَجِبْتُمْ
أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ ۚ
وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ
فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً ۖ فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ
﴿٦٩﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ
يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا ۖ فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ

﴿٧٠﴾ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ
أَتُجَٰدِلُونَنِى فِىٓ أَسْمَآءٍ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم
مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ
ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿٧١﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا
وَقَطَعْنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَمَا كَانُواْ مُؤْمِنِينَ
﴿٧٢﴾

الآيات: (٦٥ ــ ٧٢) من سورة الأعراف.

تتضمن هذه الآيات الكريمة أن الله سبحانه وتعالى قد أرسل إلى قوم عاد واحدا منهم يعرفون صدقه وأمانته وشرف نسبه، أرسل إليهم هودا عليه السلام.

قال ياقوم اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئا، فإنه ليس لكم من إله غيره، واتقوا الله واحذروا أن يحل بكم عقابه كما حلّ بقوم نوح من قبل.

قال أشراف قومه الذين أنكروا وحدانية الله تعالى وكذّبوه رسولا إليهم: إنا لنراك ياهود في ضلالة عن الحق وبعد عن الصواب بتركك ديننا وإنكارك آلهتنا ودعوتك إيانا أن نعبد الله وحده وننبذ الأصنام، وإنا لنظنك كاذبا في قولك إنى رسول رب العالمين.

قال ياقوم ليس بى ضلالة عن الحق ولابعد عن الصواب، ولكنى رسول من رب العالمين، أبلغكم رسالات ربى كما أمرنى ربى أن أبلغكم إياها، وإنى لناصح لكم إذ أدعوكم إلى عبادة الله وترك ماعداه، وإنى لأمين فيما أبلغكم عن الله، فلا مينْ ولا زيْد ولا نقص ولا تبديل.

وماكان ينبغى لكم ياقوم أن تعجبوا من أن ينزل الله وحيه عليّ وأنا رجل من البشر مثلكم كي أنذركم بأس الله وأحذركم من عقابه.

كان ينبغى لكم ياقوم أن تحمدوا الله أن بعث إليكم رجلا منكم يهديكم إلى الحق، وأن تذكروا نعمة الله عليكم إذ جعلكم خلفاء قوم نوح في الأرض، وإذ خلقكم أطول منهم أجساما وأحسن قواما وأشد قوة، إذكروا

نعم الله هذه واشكروه عليها بإخلاص العبادة له ونبذ ماعداه لعلكم تفلحون.

قال أشراف قومه منكرين موبخين مكذبين: أجئتنا ياهود لنعبد الله وحده وندع عبادة الآلهة والأصنام التي كان يعبدها آباؤنا؟! إنّا لن نتبعك على هذا ولن نؤمن بك، فأتنا بما تعدنا من العقاب والعذاب إن كنت من الصادقين فيما تقوله لنا وتهدّدنا به.

قال لهم هود: قد وقع عليكم من ربكم سخط وغضب، أتجادلونني في أصنام سميتموها آلهة أنتم وآباؤكم ماجعل الله لكم في عبادتكم إياها من حجة تحتجون بها ولامعذرة تعتذرون بها، انتظروا حكم الله فينا وفيكم إني معكم من المنتظرين.

وينجي الله هودا والذين معه، ينجيهم الله برحمة منه، ويهلك الذين كذبوا بآياته فلايبقى منهم أحدا.

وقد أفاد استفهام (أوعجبتم) هنا ماأفاده استفهام (أوعجبتم) السابق.

٢٢ ـ عجز

أما الفعل الثاني والعشرون من الأفعال الماضية التي دخلت عليها همزة الاستفهام في القرآن الكريم فهو (عجز)، وقد ورد في موضع واحد في قوله تعالى:

وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا
فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ
قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ
لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ
رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ
مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتْ
لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٣٠﴾
فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي
سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا
الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ ﴿٣١﴾

الآيات: (٢٧ ـ ٣١) من سورة المائدة

تتضمن هذه الآيات الكريمة أن الله سبحانه وتعالى يأمر رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم أن يتلو بالحق وبالصدق على بنى إسرائيل خبر ابني آدم هابيل وقابيل إذ قرّب كل منهما قربانا إلى الله تعالى، وكان هابيل صاحب ماشيه يعمل الصالحات فعمد إلى خير ماشيته فتقرب به إلى الله تعالى يبتغى مرضاته، فتقبل الله منه.

أما قابيل فكان صاحب زرع يعمل السيئات فعمد إلى أردأ زرعه فتقرب به إلى الله تعالى خداعا ورياء، فلم يتقبل الله منه.

فغضب قابيل أشد الغضب على أخيه هابيل، وحسده أن يتقبل الله منه

قربانه، فقال ينذر ويتوعد: لأقتلنك ياهابيل شر قتلة! قال هابيل بهدوء ورفق وسكينة: وماذنبي فتقتلني؟! أنا لم أسيء إليك في شيء، كل مافعلته أنى تقربت إلى الله تعالى بأفضل ما عندى أبتغى به وجهه، فتقبل الله تعالى منى.

أما أنت فلم تحسن اختيار ماتتقرب به إلى الله تعالى، لقد تقربت إليه تعالى بأردأ ماعندك، فلم يتقبل منك، إنما يتقبل الله من الذين يخشونه ويقومون بطاعته، وكانوا متقين.

ولئن مددت إليّ يدك لتقتلنى فلن أدفعك ولن أدافع عن نفسى، وما أنا بماد إليك يدى لأقتلك، إنى أخاف الله رب العالمين، وإن الله لايحب المعتدين.

وإذا كان القتل لابد منه، فإما أن تقتلني وإما أن أقتلك، فأنا أختار أن تقتلنى على أن أقتلك، لتحمل إثم قتلى وإثم معاصيك من قبل فتكون أنت من أصحاب النار، وتلك النار جزاء الظالمين.

وتسكن سورة غضب قابيل حين سمع أخاه هابيل يقول قولا ليّنا، ويقف موقفا مسالما، ويترك باب القتل أمامه مفتوحا دون مدافع.

وينام النهار، وتتلفع الأرض بليل ضاع فيه القمر وعميت فيه النجوم، وتأوى نفس قابيل إلى قابيل تهمس وتوسوس وتزيّن له قتل أخيه، وبعد لأي وعناء وأخذ وعطاء طوّعت له نفسه قتل أخيه فقتله.

وتشرق شمس الصباح لتذيع أسرار الليل، وينهض قابيل من مضجعه ليرى ماذا صنعت يداه.

ماذا تريد أن ترى ياقابيل؟! هاهي ذى جثة أخيك غارقة في الدماء، مهشمة الرأس والأعضاء، في أبشع صورة وأقبح منظر!! أوطبت نفسا وهدأت بالا ياقابيل؟!

لقد هزّت تلك الجثة المشوهة المستسلمة حنانا كان نائما في صدر قابيل، واستصرخت أخوّة حانية كانت نائية عنه، فأصبح من النادمين.

ياحسرتا!! ماذا أصنع بجثتك ياهابيل؟! لقد كنت من قبل هذا ملء السمع والبصر، وهاأنت ذا اليوم جثة هامدة خرساء لاتسمع النداء، أو أدعك لقى فوق الأرض وتحت الشمس؟!

لقد أسقط في يد قابيل، ووقف أمام جثة أخيه مشدوها لايدرى ماذا يصنع.

لقد كان هابيل أول قتيل فوق الأرض، وماكان قابيل يدرى سنة الله في الموتى، فبعث الله غرابين يقتتلان على مرأى منه ومسمع، و يقتل أحدهما الآخر ويحفر له في الأرض حفرة يلقيه فيها ويحثو عليه التراب.

و يشهد قابيل هذا المشهد فيصيح: ياو يلتا أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب الحقير فأواري سوءة أخي؟!

و يصنع قابيل ماصنع الغراب القاتل، و يوارى سوءة أخيه في جوف الأرض، ولكنه لم يستطع أن يوارى حسرة تتلظى في صدره، وندما ينهش قلبه، وجزاء عند الله لايزال ينتظر.

وقد أفاد هذا الاستفهام: **(أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سوءة أخي)** أفاد الإنكار والتوبيخ والتعجب والتحسر.

فقد أنكر قابيل على نفسه ونعى عليها وأنّبها أن لا تبلغ مبلغ هذا الغراب في حسن التصرف وسداد الرأي.

ولقد تعجب من عجزه عن أن يهتدي إلى مااهتدى إليه هذا الطائر المزدرى وهذا الغراب الحقير، وتحسر من جراء هذا العجز الفاضح المهين.

هذا وقد ذهب الزمخشري في تفسيره الكشاف إلى أن (فأواري) بالنصب على أنه جواب الاستفهام.

وقد ردّ هذا الرأي أبو حيان في تفسيره البحر المحيط، فبعد أن ذكر رأي الزمخشري السابق قال: «وهذا خطأ فاحش، لأن الفاء الواقعة جوابا للاستفهام علامتها أن ينعقد من الجملة الاستفهامية والجواب شرط وجزاء مع صحته المعنى، ولو قلت هنا: إن أعجز أن أكون مثل هذا الغراب أوار سوءة أخي. لو قلت هذا لم يصح المعنى، لأن المواراة لاتترتب على عجزه عن كونه مثل هذا الغراب» أ.هـ بتصرف.

ثم بيّن أبو حيان أن النصب في الفعل المضارع (فأواري) لأنه معطوف على الفعل المنصوب في (أن أكون).

٢٣ ـ عجل

أما الفعل الثالث والعشرون من الأفعال الماضية التي دخلت عليها همزة الاستفهام في القرآن الكريم فهو (عجل) وقد ورد ذلك في موضع واحد في قوله تعالى:

وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنۢ بَعْدِىٓ ۖ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۖ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ ۚ قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِى فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥٠﴾ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِأَخِى وَأَدْخِلْنَا فِى رَحْمَتِكَ ۖ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٥١﴾

الآيتان: (١٥٠ ـ ١٥١) من سورة الأعراف

تتضمن هاتان الآيتان الكريمتان:

أن موسى عليه السلام لما رجع من مناجاة ربه تعالى الى قومه بني إسرائيل ـ وكان عزّ وجلّ قد أخبره أن قومه قد فتنوا، وأن السامريّ قد أضلهم بعبادة العجل ـ رجع غضبان على قومه حزينا لما فعلوا من بعده، قال بئس ماعملتم من بعد ذهابي عنكم إلى مناجاة ربي، كان ينبغي لكم أن تصبروا لميعاد ربكم وأن تنتظروا حتى أرجع إليكم بكتاب من عنده دون أن تغيروا شيئا مما تركتكم عليه من توحيد الله تعالى وإخلاص العبادة له.

واشتد الغضب على موسى فألقى الألواح التي كتبت فيها التوراة على الأرض، وهجم على أخيه هارون آخذا برأسه يجره إليه ظانا أنه قصّر في كفهم عن عبادة العجل، فناداه أخوه هارون نداء استعطاف وتحنن: ياابن أمّ ـ ناداه بصلة الأم وإن كان شقيقا له لأن صلة الأم أقوى عطفا وإثارة للحنان ـ ناداه يعتذر إليه ويبيّن له أنه لم يأل جهدا في نصحه عبدة

العجل بأن عبادتهم شرك وضلال، ولكنهم عصوه واستضعفوه وكادوا يقتلونه لشدة ماأنكر عليهم تلك العبادة ولكثرة ماحاول كفهم عنها، فهو بعد هذا لايستحق أن يؤخذ برأسه هذا الأخذ الذي يُفرح الأعداء الذين أشركوا وعبدوا العجل، ولايستحق أن يجعله شريكا لهم في العقوبة.

وسرعان ماسكت عن موسى الغضب وفاءت إليه السكينة، قال وقد تبيّن له أن أخاه هارون قد أعذر ولم يقصّر: ربِّ اغفر لى مافعلت بأخى واغفر لأخى إن كان قد لان واستكان أو قصّر في جهاد الظالمين الذين كانوا للعجل عابدين، وأدخلنا في رحمتك وأنت أرحم الراحمين.

وقد أفاد استفهام (**أعجلتم أمر ربكم**) الإنكار والتوبيخ. والمراد ب (**أمر ربكم**) ماأمر الله تعالى به وهو أن ينتظروا موسى بعد ذهابه لمناجاة ربه حافظين لعهده ولما وصاهم به، مخلصين العبادة لله حتى يعود إليهم بكتاب الله.

وقد أنكر عليهم موسى ووبخهم بمعنى لاينبغى لكم أن تعجلوا عن أمر ربكم وأن لاتتموه، كان عليكم أن تنتظروا حتى أعود إليكم من مناجاة ربى، حافظين لعهدى ولما وصيتكم به من إخلاص العبادة لله.

ولكنكم خالفتمونى من بعدى فعبدتم العجل من دون الله، فبئس مافعلتم وقبحا لكم وتعسا!!

و(أمْرَ) في قوله (**أعجلتم أمر ربكم**) يجوز أن يكون منصوبا على نزع الخافض والتقدير: أعجلتم عن أمر ربكم أي تركتموه غير تام ويجوز أن يكون مفعولا به على تضمين (عجل) معنى سبق أي أسبقتم أمر ربكم وذهبتم عنه وخلفتموه وراء ظهوركم.

٢٤ ـ عصى

أما الفعل الرابع والعشرون من الأفعال الماضية التي دخلت عليها همزة الاستفهام في القرآن الكريم فهو (عصى) وقد ورد في موضع واحد في الآيات السابقة التي ورد فيها استفهام (أفطال) وهو الفعل العشرون من هذه الأفعال المتسلسة، وينبغى الرجوع إلى تلك الآيات وإلى ماتضمنته لمعرفة المناسبة التي ورد فيها استفهام (**أفعصيت أمرى**)، ولمعرفة الكلام الذي أحاط به كى يتضح معناه على وجه أتم وأوفى وصورة أوضح وأبين.

وقد استوفى هذا الاستفهام حقه من البحث هناك بعد استفهام: (**أفطال عليكم العهد**).

٢٥ ــ عيّ

أما الفعل الخامس والعشرون من الأفعال الماضية التي دخلت عليها همزة الاستفهام في القرآن الكريم فهو (عيّ) وقد ورد ذلك في موضع واحد في قوله تعالى:

﴿أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٥﴾﴾

الآية (١٥) من سورة ق.

تتضمن هذه الآية الكريمة أن الله سبحانه وتعالى قد قدر على أن يخلق الانسان بدءا وابتداعا، وإذا كان قد قدر على خلقه بدءا وابتداعا فلن يعجز عن إعادة خلقه بعد فنائه.

إن المشركين لاينكرون قدرة الله تعالى على الخلق الأول لأنه مشاهد محسوس تراه الأعين، ولكنهم في خلط وشك ولبس من قدرته تعالى على إعادة خلقه مرة ثانية بعد أن يصبح رميا وترابا، لأنه مخالف للعادة ولا تراه الأعين، ولو كانوا يعقلون لأدركوا أن القادر على البدء قادر على الإعادة.

وقد أفاد هذا الاستفهام: (**أفعيينا بالخلق الأول**) الإنكار والتوبيخ والسخرية والتعجيب.

الإنكار بمعنى لم نعي ولم نعجز عن خلق الإنسان ابتداء وابتداعاً فكيف نعجز عن إعادة خلقه مرة ثانية.

وأفاد توبيخ المشركين والسخرية بهم والتعجيب منهم على استبعادهم وشكهم في قدرة الله تعالى على البعث وإحياء الناس من قبورهم مع أنهم يعترفون أنه هو الذي خلق الإنسان أول مرة.

والفاء في (**أفعيينا بالخلق الأول**) للعطف على مقدر بعد همزة الاستفهام، والتقدير عند أبي السعود في تفسيره: أقصدنا الخلق الأول فعيينا به، وهذا هو رأى الزمخشري ومن ذهب مذهبه.

أما سيبويه والجمهور فيرون أن الفاء عاطفة على ماقبل الهمزة، وأن لاتقدير في الكلام ولاحذف.

وقد سبق أن قلنا إن مذهب الزمخشري متكلف، وأن المعطوف عليه الذي يقدره بعد الهمزة لايستدعيه معنى الكلام ولايتطلبه السياق ولايتأثر به معنى الهمزة.

٢٦ ــ افترى

أما الفعل السادس والعشرون من الأفعال الماضية التي دخلت عليها همزة الاستفهام في القرآن الكريم فهو (افترى)، وقد ورد ذلك في موضع واحد في قوله تعالى:

وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿٧﴾ أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةٌۢ ۗ بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ فِي ٱلْعَذَابِ وَٱلضَّلَٰلِ ٱلْبَعِيدِ ﴿٨﴾

الآيتان: (٧ ــ ٨) من سورة سبأ

تتضمن هاتان الآيتان الكريمتان أن كفار قريش كانوا يقولون بعضهم لبعض على سبيل التعجيب والاستهزاء: هل ندلكم على رجل (يعنون به محمدا صلى الله عليه وسلم ونكّروه للتحقير والسخرية ــ قاتلهم الله) على رجل ينبئكم بالأعاجيب ويحدثكم بالغرائب، يقول إنكم ستبعثون أحياء بعد أن تموتوا وتمزق أجسامكم كل ممزق، سواء أمزقتها طيور السماء أم سباع الأرض، أم جرفتها السيول والأمطار، أم طوتها البراكين والزلازل، أم صارت رمادا تذروه الرياح، أم دفنت في جوف الأرض فصارت رفاتا وترابا.

يالها أنباء عجيبة يأتى بها هذا الرجل!! أتراه يفتريها على الله كذبا عن عمد وسلامة عقل، أم تراه قد أصابه الجنون فهو يقول مايقول ولايدرى مايقول.

لقد عرفتم أيها الكافرون أن محمدا صادق أمين وذو عقل راجح ورأي سديد، لايفترى على الله فيما يقول ولايكذب، وليس به جنون يأتى بالأباطيل وينطق بالترهات.

ولكنكم أيها المكذبون بالبعث واليوم الآخر قد ذهبتم في الضلال مذهبا بعيدا، وأمعنتم في العناد والإعراض إمعانا شديدا، وسوف تلقون في ذلك اليوم الذي تنكرونه وتهزئون به العذاب الأليم، جهنم تصلونها وبئس المهاد.

وقد جاء هذا الاستفهام : (**افترى على الله كذبا أم به جنة**) جاء مفيدا التردد والتشكك ـــ سخرية واستهزاء ـــ في أمرين: أيهما واقع؟

لقد تساءلوا ساخرين متظاهرين أنهم لايدرون: أيفترى محمد البعث على الله كذبا عن عمد وسلامة عقل أم ينبىء به عن جنون فهو لايدرى مايقول؟

كان هذا التساؤل استهزاء وسخرية بمحمد صلى الله عليه وسلم وبما يقوله من البعث بعد الموت، ولم يكن تساؤلا حقيقيا، فهم يعلمون أن محمدا أمين صادق لايفترى، و يعرفون أنه راجح العقل ذو رأى سديد، ولكن العناد والجهل والتكبر أضلهم ضلالا بعيدا.

هذا، و(كذبا) في قوله (**افترى على الله كذبا**) مفعول مطلق، و(أم) في قوله (أم به جنة) متصلة عاطفة عطفت جملة (به جنة) على الجملة الواقعة بعد همزة الاستفهام.

وأصل (أفترى) أإفترى بهمزتين : الأولى همزة الاستفهام المفتوحة، والثانية همزة الوصل المكسورة، فحذفت همزة الوصل المكسورة تخفيفا واستغناء عنها بهمزة الاستفهام.

٢٧ ــ قتل

أما الفعل السابع والعشرون من الأفعال الماضية التي دخلت عليها همزة الاستفهام في القرآن الكريم فهو (قتل)، وقد ورد ذلك في موضع واحد في قوله تعالى (**أقتلت نفسا زكية بغير نفس**)، وقد ورد هذا الاستفهام ضمن آيات سبق ذكرها عند الحديث عن استفهام (أخرقتها لتغرق أهلها) وهو الفعل التاسع من الأفعال الماضية التي دخلت عليها همزة الاستفهام، فلا بد من الرجوع إلى تلك الآيات وإلى ماتضمنته تلك الآيات كي تعرف المناسبة التي ورد فيها هذا الاستفهام وتعرف الكلام الذي أحاط به، فيتضح معناه على وجه أوضح وأبين.

وقد سبق القول إن هذا الاستفهام (**أقتلت نفسا زكية بغير نفس**) يفيد الإنكار والتقبيح والتعجب.

يفيد الإنكار على معنى ماكان ينبغي لك ياخضر أن تقتل نفسا طهرت من الذنوب وبرئت من الآثام، ولم ترتكب جريمة قتل فتؤخذ بها.

ويفيد التقبيح تقبيح قتل هذه النفس الزكية التي لا تزال في رونق الصبا وزهرة الشباب، ولايدور بخلد أحد أن تكون قد قتلت نفسا أخرى بغير حق فتقتل بها وتلقى من جراء ذلك هذا القصاص.

ويفيد التعجب : تعجب موسى من أن يقوم الخضر بهذا القتل الظالم، وهو الذي حرص موسى على صحبته ليعلمه مما علمه الله رشدا، فأين الرشد في قتل هذه النفس الزكية بغير نفس، لقد كان ذلك فيما بدا لموسى شيئا نكرا لم يستطع عليه صبرا.

٢٨ ــ أقرّ

أما الفعل الثامن والعشرون من الأفعال الماضية التي دخلت عليها همزة الاستفهام في القرآن الكريم فهو (أقرّ)، وقد ورد ذلك في موضع واحد في قوله تعالى:

وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ
وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ
بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ
قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾
فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٨٢﴾

الآيتان : (٨١ ــ ٨٢) من سورة آل عمران

تتضمن هاتان الآيتان الكريمتان أن الله سبحانه وتعالى قد أخذ العهد والميثاق من الأنبياء الذين آتاهم الكتاب والحكمة بأنهم كلما جاءهم رسول مصدق لما معهم آمنوا به ونصروه، وأخبر أنهم قبلوا ذلك العهد والميثاق وأقروا به وشهدوا عليه، وأن الله سبحانه وتعالى قد شهد عليهم بذلك الإقرار، وقد حكم الله سبحانه وتعالى بأن من رجع عن ذلك الإقرار كان من الفاسقين الخارجين على دين الله وطاعته.

وقد أفاد هذا الاستفهام : **(أأقررتم وأخذتم على ذلك إصري)** أفاد التقرير والتسجيل عليهم وتحذيرهم.

أفاد التقرير بمعنى طلب الاعتراف بما تضمنه السؤال إما على سبيل النفي وإما على سبيل الإيجاب، وقد أجاب النبيون بالإيجاب أى أقررنا واعترفنا بما أخذته علينا من العهد وهو أن نؤمن برسلك الذين ترسلهم مصدقين لما معنا من الكتاب والحكمة وأن ننصرهم، وقد قبلنا عهدك وألزمنا أنفسنا ميثاقك.

وأفاد هذا الاستفهام أيضا التسجيل عليهم بهذا الإقرار وتشهيره ليكون آكد وأثبت وليكون تحذيرا لهم من الرجوع عنه.

٢٩ ـــ استكبر

أما الفعل التاسع والعشرون من الأفعال الماضية التي دخلت عليها همزة الاستفهام في القرآن الكريم فهو (استكبر) وقد ورد ذلك في موضع واحد في قوله تعالى:

إِذْ قَالَ رَبُّكَ
لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ
مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ
أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ
يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ ۖ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ
مِنَ ٱلْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ ۖ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ
﴿٧٦﴾ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ
ٱلدِّينِ ﴿٧٨﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ
ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٨١﴾ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ
لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾
قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ
مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾

الآيات: (٧١ ـــ ٨٥) من سورة ص

تتضمن هذه الآيات الكريمة أن الله سبحانه وتعالى قد أخبر الملائكة أنه سيخلق بشرا من طين هو آدم عليه السلام، وأنه إذا سواه وعدله ونفخ فيه من روحه فعليهم أن يقعوا له ساجدين، فلما سواه الله تعالى وخلقه في أحسن تقويم وأبدع صورة وأودع فيه الروح التي هي من أمره تعالى، وقع الملائكة له ساجدين تكريما وتعظيما، سجدوا كلهم أجمعون طائعين.

وكان إبليس ـ وهو من الجن ـ بين الملائكة حين أمروا بالسجود لآدم فلم يسجد كما سجد الملائكة، وفسق عن أمر ربه وأبى.

سأل الله تعالى إبليس وهو يعلم جوابه قبل أن يجيب، سأله على سبيل التقرير والتوبيخ والسخرية: مامنعك ياإبليس أن تسجد لآدم الذي كرّمتُه فخلقتُه بيديّ؟! أكان عن غرور وتكبر أم أنك ترى نفسك أعلى وأفضل؟!

أجاب إبليس أنه أعلى وأفضل، واحتج لهذا العلو والفضل بأن الله خلقه من نار وخلق آدم من طين، والنار في رأيه أعلى وأفضل، وماخلق من شيء أعلى وأفضل خليق ألا يسجد لما خلق من شيء أدنى وأقل.

ولكن إبليس قد أخطأ وضل عن مزايا عظيمة قد اختص الله بها آدم، فالله سبحانه وتعالى قد خلقه بيديه، خلقه في أحسن تقويم وأبدع صورة، ونفخ فيه من روحه، وعلّمه الأسماء كلها، وقد أمر الملائكة الذين هم خير من إبليس أن يسجدوا لآدم تكريما وتعظيما فأطاعوا، فكان عليه أن يطيع أمر خالقه دون مبالاة بما خيل إليه باطلا أنه حق.

أبى إبليس أن يسجد وفسق عن أمر ربه وعصاه، فعاقبه الله على عصيانه وفسوقه، طرده من الجنة ذليلا ملعوناً إلى يوم القيامة، وخرج إبليس من جنة الله ومن رحمته، عليه اللعنة والخزي في الدنيا، وفي الآخرة عذاب أليم.

ولكن طريد الجنة والرحمة حزّ في نفسه أن يظل آدم ينعم بالجنة وأن يبوء هو بجهنم، فالحسد والحقد يأكلان قلبه، ونار النقمة حرّى في كبده، فأضمر في نفسه الكيد والسوء وقال: ربّ أمهلني ولا تعجل عليّ بجهنم، وأحيني إلى يوم القيامة، فأجابه الله تعالى إلى ماسأل وهو يعلم مايريد، أجابه الله تعالى لحكمة لايعلمها إلا الله، قال: **(فإنك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم)** سوف تظل حيا ـ ياإبليس ـ إلى يوم البعث المعلوم.

فرح إبليس بما طلب ونال، وقال بلهجة حادة ونبرة عالية جادة، وصوت الواثق بنفسه: أقسم ياإلهى بعزتك الغلابة وسلطانك الذي لايقهر لأغوين أبناء أدم أجمعين، ولن ينجو من إغوائى وإفسادى إلا عبادك الذين أخلصوا العبادة لك، وقليل هم المخلصون.

ردّ الله سبحانه وتعالى عليه مبينا جزاءه وجزاء أبنائه وجزاء أبناء آدم السائرين على دربه، ردّ الله الذي هو الحق ولايقول إلا الحق: لأملأن جهنم منك ــ ياإبليس ومن أبناء جنسك وممن تبعك من أبناء آدم أجمعين، جهنم تصلونها جميعا وبئس المهاد.

والحكمة لايعلمها إلا الله تعالى يبتلي الله آدم وزوجه ويقول: (**وقلنا ياآدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولاتقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين**) (٣٥) البقرة.

ويوسوس لهما إبليس أن يأكلا من الشجرة التي نهاهما الله عنها فيأكلان منها ويصبحان من النادمين.

ويتوب الله ــ وهو التواب الرحيم ــ على آدم وزوجه بعد أن اعترفا بذنبهما وطلبا المغفرة و(**قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين**) (٢٣) الأعراف.

ولكن الله جل وعلا بعد أن تاب عليهما أخرجهما من الجنة إلى الأرض (**قلنا اهبطوا منها جميعا فإما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولاهم يحزنون**) (٣٨) البقرة.

وهكذا بدأت وسوسة إبليس، بدأت في الجنة ثم نزلت معه إلى الأرض تسعى بين بني آدم بالإغواء والإفساد والفتنة والكيد إلى يوم يبعثون، وبعد البعث يكون المبعوثون فريقين: فريق في جهنم وهم الذين عناهم الله تعالى بقوله (**لأملأن جهنم منك وممن اتبعك منهم أجمعين**) وفريق في الجنة وهم الذين عناهم الله تعالى بقوله (**فمن اتبع هداي فلاخوف عليهم ولاهم يحزنون**).

وقد أفاد هذا الاستفهام: (**أستكبرت أم كنت من العالين**) أفاد التقرير والتوبيخ والسخرية:

أفاد التقرير على معنى طلب الاعتراف بأحد الحدثين اللذين تضمنهما السؤال، وهما كونه متكبرا أم كونه من العالين. وقد أجاب إبليس اللعين بالثاني وهو كونه من العالين، فامتناعه عن السجود كان بسبب أنه أعلى من آدم ــ فيما زعم ــ لأنه مخلوق من نار وآدم مخلوق من طين، والأعلى

لايسجد للأدنى ويفيد هذا الاستفهام أيضا التوبيخ : توبيخ الله سبحانه وتعالى إبليس على عصيانه ماأمر الله به، فقد أبى أن يسجد لآدم الذي خلقه الله بيديه، ونفخ فيه من روحه، وجعله في أبدع صورة وأحسن تقويم، وأمر الملائكة الذين هم أفضل من إبليس أن يسجدوا له تعظيما وتكريما.

ويفيد هذا الاستفهام السخرية بإبليس حيث رأى لنفسه منزلة هو دونها ولايستحقها، وادّعى لامتناعه عن السجود مسوّغا سخيفا أحمق متجاهلا الصفات العظيمة التي اختص الله بها آدم دونه.

هذا، وأصل (أستكبرت) الواردة في هذا الاستفهام (أإستكبرت) بهمزتين : الأولى همزة الاستفهام وهي مفتوحة، والثانية همزة الوصل وهي مكسورة، فحذفت همزة الوصل المكسورة تخفيفا واستغناء عنها بهمزة الاستفهام.

و(أم) في (أستكبرت أم كنت من العالين) متصلة وتسمى المعادلة، عطفت الجملة التي بعدها على الجملة الواقعة بعد همزة الاستفهام.

٣٠ ـ كذّب

أما الفعل الثلاثون من الأفعال الماضية التي دخلت عليها همزة الاستفهام في القرآن الكريم فهو (كذّب) وقد ورد ذلك في موضع واحد في قوله تعالى:

وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ
فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِـَٔايَـٰتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٨٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُو
قَالَ أَكَذَّبْتُم بِـَٔايَـٰتِى وَلَمْ تُحِيطُوا۟ بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ
﴿٨٤﴾ وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا۟ فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ ﴿٨٥﴾

الآيات: (٨٣ ـ ٨٥) من سورة النمل

تتضمن هذه الآيات الكريمة أن الله سبحانه وتعالى سوف يحشر يوم القيامة من كل أمة من أمم الأرض الفوج الذي كان يكذب بآيات الله المنزلة على رسله الداعية إلى توحيده والإيمان باليوم الآخر، ثم تضم هذه الأفواج المكذبة الكثيرة والجموع الكافرة الغفيرة بعضها إلى بعض، ثم تساق سوقا عنيفا لاأناة فيه ولا رأفة إلى موقف السؤال والجواب ومناقشة الحساب، فيقول الله جلّ جلاله: هذا هو يوم الثواب والعقاب الذي جاءتكم آياتى تدعوكم أن تؤمنوا به وبالله وحده وبالرسل الذين أنزلت عليه الآيات، وأقامت لكم الحجج وساقت لكم الدلائل، ولكنكم كذبتم بآيات الله وأعرضتم عنها وتكبرتم دون أن تتدبروها وتعقلوا ماجاء فيها، ودون أن تحيطوا علما بما اشتملت عليه، ماذا كنتم تعملون في دار الدنيا غير الكفر والتكذيب بالآيات، وغير السخرية والاستهزاء بما جاء فيها؟! اليوم يحق عليكم العذاب الذي أنذرتكم به آياتى وكنتم به تكذبون.

ولايدرى المكذبون ماذا ينطقون، فليس لديهم اليوم مابه يعتذرون، فيساقون إلى نار جهنم يصلونها بما كفروا، وماكان الله ليظلمهم، ولكن كانوا أنفسهم يظلمون.

وقد أفاد هذا الاستفهام: (**أكذبتم بآياتى ولم تحيطوا بها علما**) أفاد الإنكار والتوبيخ والتعجيب.

أفاد الإنكار بمعنى لاينبغى لكم أيها المكذبون أن تكذبوا بآيات الله بدءا ولأول وهلة دون تفكر فيها وتدبر وإمعان نظر، ودون أن تحيطوا بها علما.

و يفيد توبيخ هؤلاء المكذبين على هذا التكذيب القائم على الجهل والغباء والعناد والمكابرة.

و يفيد التعجيب منهم لأنهم يكذبون بما لايعقلون و يكذبون ولايدرون ماذا يكذبون.

هذا، وجملة (**ولم تحيطوا بها علما**) الواردة في هذا الاستفهام في محل نصب على الحال من ضمير المخاطبين في (أكذبتم) وهو الفاعل، ،(علما) تمييز محول عن الفاعل، والأصل ولم يحط علمكم بها.

وأحب أن أنبه هنا على أن فعل (كذّب) له استعمالان :

الاستعمال الأول : أن يتعدى بنفسه إلى مفعول به واحد كما في قوله تعالى : (**كل كذّب الرسل فحق وعيد**) (١٤) سورة ق، (**وإن كذبوك فقل لى عملى ولكم عملكم**) (٤١ يونس) (**فكذبوهما فكانوا من المهلكين**) (٤٨ المؤمنون). و يكون هذا الفعل حنئذ بمعنى نسبة المفعول به إلى الكذب أو القول له كذبت.

والاستعمال الثاني : أن يكون بمعنى جحد وأنكر وحينئذ يتعدى بالباء كما في قوله تعالى : (**بل كذبوا بالساعة**) (١١ الفرقان). (**فقد كذبوا بالحق لما جاءهم**) (٥ الأنعام) (**أكذبتم بآياتى ولم تحيطوا بها علما**) (٨٤ النمل) (**قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله**) (٣٢ الأنعام).

٣١ ـ كفر

أما الفعل الحادى والثلاثون من الأفعال الماضية التي دخلت عليها همزة الاستفهام في القرآن الكريم فهو (كفر)، وقد ورد ذلك في موضعين :

الموضع الأول في قوله تعالى :

﴿ وَٱضْرِبْ
لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَٰبٍ وَحَفَفْنَٰهُمَا
بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٣٢﴾ كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ
تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا ۚ وَفَجَّرْنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرًا ﴿٣٣﴾ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ
لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾
وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ
أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى
لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ
أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا
﴿٣٧﴾ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٣٨﴾ وَلَوْلَآ إِذْ
دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠
أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾ فَعَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن
جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا
زَلَقًا ﴿٤٠﴾ أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا ﴿٤١﴾

وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٤٢﴾ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿٤٣﴾ هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿٤٤﴾

الآيات : (٣٢ ــ ٤٤) من سورة الكهف.

تتضمن هذه الآيات الكريمة أن الله سبحانه وتعالى قد أمر رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم أن يضرب لأشراف المشركين من قريش مثل رجلين كان أحدهما كافرا وكان الآخر مؤمنا.

وقد جعل الله تبارك وتعالى الرجل الكافر أنموذجا لهؤلاء المشركين من قريش الذين قالوا للرسول صلى الله عليه وسلم : لو أبعدت هؤلاء عن نفسك لجالسناك وصحبناك، يعنون عمارا وصهيبا وسلمان وابن مسعود و بلالا ونحوهم من فقراء المسلمين.

وهو أيضا أنموذج لكل من كان على شاكلة هؤلاء المشركين من قريش اعتزازا بكثرة المال، واغترارا بكثرة العشيرة، وانتفاخا بعظم الجاه، وانتفاجا بعلو المنزلة، وإعراضا عن توحيد الله، وكفرا باليوم الآخر.

وقد جعل الله تبارك وتعالى الرجل المؤمن أنموذجا لفقراء المسلمين زمن الرسول صلى الله عليه وسلم، أولئك الذين كان أشراف المشركين من قريش يحقرونهم و يأنفون الجلوس معهم، و يقولون إن ريح جبابهم تؤذينا.

وهو أيضا أنموذج لأولئك الذين لم تشغلهم عن الله وعن عبادة الله وابتغاء رضاه زهرة الدنيا وزينتها، لم يشغلهم ذهب ولافضة ولاجاه ومناصب، ولا لهو ولعب ومتاع، باعوا دنياهم واشتروا أخراهم، وآثروا نعيم الله الذي لايفنى على نعيم الدنيا الذي يزول.

أما الكافر منهما فكان في سعة من العيش ورغد من متاع الدنيا، قد وهب الله تعالى من جناته التي أنبتها من فوق الأرض، ومن بساتينه التي أنشأها في هذه الدنيا، وهب له جنتين تفيضان بكروم العنب، وتكتنفان بيته من كل جانب، ويفيء إلى ظلالها وقدة الصيف، وتداعب أنامله قطوفا عليها دانية، وتصافح وجهه نسمات تهب منها رطبة كأنها برد الصباح.

وزاده الله نعمة فجعل أشجار النخيل تحيط بتينك الجنتين فتزيدهما جمالا جديدا غير جمال الكروم، وثمرا فريدا غير أثمار العنب.

كانت أشجار النخيل تسبح عالية في السماء، وكانت أشجار الكروم تسبح من فوق الأرض والعرش.

وأتم الله نعمته عليه فجعل بين الجنتين زروعا شتى تأتيه بأطيب الجنى، ونباتات مختلفة تعطيه أطيب الثمر.

وكانت الجنتان قد فجر الله خلالهما نهرا، كان يصخب ويزمجر إذا ما تساقطت مياهه أو ضاقت به الطريق، وكان يهمس ويوسوس إذا ما استوى أمامه المجرى واتسع.

كانت مياهه تغمر وجه الأرض من تحت الزرع، وتنساب جداول فضة إلى جذوع الشجرة، فلا غرو بعد هذا أن تؤتى الجنتان والزروع أكلا طيبا وثمرا وافرا لم تظلما منه شيئا.

وذات صباح والشمس في رأد الضحى، ماتعة تملأ آفاق السماء وأرجاء الأرض، أطل صاحب الجنتين من شرفة بيته الفخم الضخم، وألقى بعينيه على أشجار النخيل وكروم العنب وأشتات الزروع، ثم طاف بنوافذ بيته ليرى منها الأولاد والأحفاد والخدم والحشم يملئون الأرض من حوله، فامتلأت نفسه غبطة وسرورا، وفاض قلبه كبرا وغرورا، وامتد به الخيال فجأة إلى صاحب له لايملك مثل مايملك، ولايتقلب في النعيم الذي يتقلب فيه، ويدفعه حب الفخار والمباهاة إلى أن يمشي إليه، ثم لم يلبث أن عاد به ليريه ماهو فيه من نعيم مقيم، وشجر طيب الأكل وافر، وزرع كثير الجنى دائم، وأولاد يملئون أرجاء الجنتين كثرة عدد ونشاطا وحياة.

ويقول الرجل الكافر لصاحبه المؤمن وهو يحاوره : أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا، ثم يدخل بصاحبه جنته كافرا بنعمة الله، مزهوًا يملأ قلبه الكبر

والعُجب والفخار، واثقا من بقاء هذا النعيم، مطمئنا إلى دوام هذا الشجر والزرع والحصاد و يقول:

انظر أمامك مدّ البصر، وانظر إلى يمينك وشمالك، هذا الذي تراه يملأ عينيك شجرا أخضر وثمرا يانعا وجمالا يأخذبالألباب،إنه لن يبيد أبدا، سوف يظل مخضرا ناضرا يؤتى أكلا طيبا وافرا، إنه لن يلحقه جدب ولن يصيبه جفاف.

أما الساعة التي تزعم ياصاحبى أنها ستقوم، وأن بعث الله الناس من قبورهم آت لامحالة، وأن محاسبة الله الناس على أعمالهم سوف تجيء دون ريب، وأن الخلق من بعد ذلك الحساب فريقان: فريق في الجنة وفريق في السعير، أما هذا الذي تدعيه ياصاحبى وتخاله فهيهات هيهات أن يكون.

وعلى افتراض أن الساعة قائمة وأن الله يبعث من في القبور، وأنى رددت إلى ربى، لأجدن خيرا من هذا منقلبا، لأجدن في الآخرة خيرا مما أجده اليوم.

أنا رجل جد وعمل، مجدود حيثما عشت، محظوظ أنى توجهت، لم يكن لأحد فضل عليّ في هاتين الجنتين، لقد حصلت عليهما بجهدى ونشاطى وحذقى في العمل، وحسن قيامى عليهما ليل نهار، وماحصلت عليه في الدنيا يجعلنى جديرا بأن أحصل على مثله أو خير منه في الآخره، إمّا كانت هناك آخرة.

قال له صاحبه المؤمن وهو يحاوره : ماكان ينبغى لك أن تنكر البعث وقدرة الله على البعث، فالله الذي خلقك بدءا من تراب، ثم خلقك من منيّ يمنى، ثم سوّاك رجلا في أحسن تقويم، وعدلك إنسانا في أجمل صورة — قادر على أن يخلقك من بعد أن تموت وتحور ترابا. أنا ياصاحبى لست منك في هذا الرأي ولست منى، وأعوذ بالله من كفرك وشركك، فالله هو ربى ولارب لى سواه، عليه أتوكل وإليه أنيب.

كان ينبغي لك ياصاحبى إذ دخلت جنتك أن تشكر الله على ما أنعم به عليك، وأن تقول هبذا من فضل ربى، ماشاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، ولاحول ولاقوة إلا بالله.

إن ترنى أنا أقل منك مالا وولدا، فأنا لايهمني في هذه الحياة الدنيا مال ولاولد، إنما الذي يهمنى وأرجو الله أن ينعم به عليّ أن يؤتينى في الآخرة خيرا من جنتك هذه التي تدعى أنها من صنع يديك وحذقك ونشاطك.

إنى لأسأل الله تعالى أن يعاجلك بالنقمة جزاء كفرك وجحودك، فيرسل على جنتيك وزروعك آفة من السماء تمحق الزروع والأشجار، وتذرها أرضا بلقعا وصعيدا زلقا تزل من فوق أرضها الأقدام.

أما هذا النهر المتفجر فأسأل الله تعالى أن يجعل ماءه غورا في أعماق الأرض، لاتنال منه شيئا ولا تستطيع له طلبا.

واستجاب الله دعاء الرجل المؤمن، فأنزل من السماء قضاء ليس له دافع، فقضى على الجنتين وعلى مافيهما من زرع، ودمّر كل شيء كان يملكه الرجل الكافر.

فتح الكافر عينيه في الصباح، فلم ير شجرا كان يتمتع برؤياه، ولا ثمرا كان مطعمه ومشتهاه، ولازرعا قد استغلظ واستوى على سوقه، ولاماكان يدخره لنوائب الدهر وعاديات الزمان، لقد دمّر الله ــ جلّت قدرته ــ كل شيء كان الرجل الكافر يقول إنه لن يبيد أبداً.

أخذ الرجل الكافر وقد رأى قضاء الله وقدره، أخذ يقلب كفيه ندما وحسرة على ماأنفق في جنتيه وكرومه ونخيله وزروعه من جهد ومال وسنين طوال، أخذ يقلب كفيه ويقول: ليتنى كنت على دين صاحبى ولم أشرك بربى أحدا، ليتنى لم أغتر بحذقى ومهارتى وحسن قيامى على العمل دون أن أتوكل على الله، ليتنى لم أعتمد على أولادى وأنصارى من دون الله، لقد تبيّن لى بعد فوات الفرصة أنه لاحول ولاقوة إلا بالله.

وهكذا وجد الكافر نفسه وحيدا طريدا من رحمة الله، لايستطيع أن ينتصر لنفسه، أو أن يجد من كان يعتده ناصرا قادرا على نصره من دون الله.

الولاية والملك والسلطان لله الحق لاشريك له، له وحده الثواب في الدنيا والآخرة، وهو خير من يثيب، وهو خير عقبا في العاجل والآجل ولا يظلم ربك أحداً.

وقد أفاد هذا الاستفهام : (**أكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سوّاك رجلا**) أفاد الإنكار والتوبيخ والتعجب.
افاد الإنكار بمعنى ماكان ينبغي لك أن تكفر بالله عز وجل، فتنكر البعث والحساب وهو الذي خلقك بدءا من تراب ثم خلقك من نطفة ثم سواك رجلا إنسانا في أحسن تقويم، فالقادر على الخلق بدءا قادر على الإعادة.

وماكان ينبغي لك أيضا أن تنكر أن هذه الجنة من عند الله، أنعم بها عليك، إن شاء أبقاها لك، وإن شاء نزعها منك، فقولك إنها لن تبيد أبدا قول من اغتر بنفسه وادعى أن مصاير أموره بيده، وجحد أن الله على كل شيء قدير.

كان ينبغي لك إذ دخلت جنتك أن تشكر الله عليها وتقول : ماشاء الله كان ومالم يشأ لم يكن، ولاحول ولاقوة إلا بالله.
ويفيد هذا الاستفهام أيضا توبيخ هذا الكافر على إنكاره قدرة الله تعالى على أن يبعثه من بعد أن يموت ويكون ترابا، فقد أنكر دون أن يفكر ويتدبر أن الذي خلقه بدءا من تراب ثم خلقه من نطفة ثم سواه رجلا إنسانا في أحسن تقويم قادر على خلقه من تراب مرة ثانية، فالقادر على البدء قادر على الإعادة.

ويفيد هذا الاستفهام أيضا التعجب من هذا الكافر كيف يجحد قدرة الله تعالى على إحيائه من بعد أن يموت ويصير ترابا، فلينظر ممّ خُلق، لقد خلقه الله بدءا من تراب ثم خلقه من منيّ يمنى، ثم سواه رجلا في أحسن تقويم، أليس الله بقادر بعد ذلك على إحياء الموتى، بلى وهو الخلاق العليم.

هذا، و(سوّى) فعل ماض، فاذا كان بمعنى أنشأ وخلق فهو متعد إلى مفعول به واحد هو الكاف، و(رجلا) على هذا المعنى حال من الكاف، وإذا كان (سوّى) بمعنى جعل فهو متعد إلى مفعولين، و يكون الكاف هو المفعول الأول، و يكون رجلا هو المفعول الثاني.

أما الموضع الثانى من مواضع همزة الاستفهام الداخلة على الفعل الماضى (كفر) فقد ورد في قوله تعالى:

يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ
وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ
فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ
وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٠٧﴾

الآيتان: (١٠٦ ــ ١٠٧) من سورة آل عمران.

تتضمن هاتان الآيتان الكريمتان أن الناس يوم القيامة فريقان: فريق وجوههم مبيضة مشرقة ناضرة من الفرح والسرور وهم المؤمنون، وفريق وجوههم مسودّة مغبرة عليها قترة من الهم والحزن وهم الكافرون.

فأما الذين اسودت وجوههم فيقال لهم يوم القيامة: أكفرتم بعد إيمانكم، يقال لهم ذلك إنكارا عليهم وتوبيخا لهم على كفرهم بعد الإيمان، وتعجبا من هذا الكفر، ثم يقال لهم بعد ذلك تهكما وسخرية وتسخيرا: ذوقوا العذاب جزاء كفركم الذي كفرتموه في دار الدنيا.

وأما الذين ابيضت وجوههم ــ وهم الذين آمنوا ــ فيدخلهم الله تعالى جنته رحمة منه وفضلا، فهم فيها خالدون لايظعنون عنها ولايموتون.

وقد أفاد هذا الاستفهام: **(أكفرتم بعد إيمانكم)** أفاد الإنكار والتوبيخ والتعجب.

أفاد الإنكار بمعنى ماكان ينبغي لأولئك الكافرين أن يرتدّوا عن إيمانهم بالله بعد أن شهدوا أن لارب لهم سواه يوم قال الله تعالى لهم: **(ألست بربكم قالوا بلى شهدنا)** (١٧٢ الأعراف).

وأفاد توبيخ أولئك الكافرين على ارتدادهم عن الإيمان الذي أقروا به وشهدوا به على أنفسهم.

وأفاد التعجب من أولئك الكافرين كيف يكفرون بالله تعالى وقد شهدوا على أنفسهم أن لارب لهم سواه.

وجملة الاستفهام: **(أكفرتم بعد إيمانكم)** معمولة لقول مقدر يدل عليه المعنى، وتقدير الكلام: فأما الذين اسودت وجوههم فيقال لهم: أكفرتم بعد إيمانكم.

٣٢ ـ كان

أما الفعل الثاني والثلاثون من الأفعال الماضية التي دخلت عليها همزة الاستفهام في القرآن الكريم فهو (كان)، وقد ورد ذلك في موضع واحد في قوله تعالى:

أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا
أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ
أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ قَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا
لَسَٰحِرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾

الآية (٢) من سورة يونس

تتضمن هذه الآية الكريمة أن مشركي مكة قد عجبوا من أن يوحي الله سبحانه وتعالى إلى رجل منهم ـ وهو محمد صلى الله عليه وسلم ـ يخوف الناس عذاب الله إن لم يفردوه بالعبادة، ويبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم عند الله منزلة رفيعة، ولما أنذر الناس وبشر المؤمنين وتلا عليهم آيات الله قال الكافرون إن محمدا لساحر مبين، وإن مايتلوه علينا لسحر بيّن.

قالوا ذلك وهم على ثقة أن محمدا ـ صلى الله عليه وسلم ـ ليس بساحر، فقد نشأ بينهم، وماخالط أحدا سواهم، وما أخذ سحرا عن أحد، وكان معروفا عندهم بالأمانة والصدق ورجاحة العقل، فقولهم إنه لساحر مبين، وإن القرآن الذي يتلوه عليهم لسحر بيّن، إنما هو عناد وتكبر وحماقة وجهالة.

وقد أفاد هذا الاستفهام: **(أكان للناس عجبا أن أوحينا إلى رجل منهم أن أنذر الناس وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم)** أفاد الإنكار والتعجيب والتوبيخ:

أفاد الإنكار بمعنى ماكان ينبغى للمشركين من أهل مكة أن يعجبوا من أن يوحي الله إلى رجل منهم أن ينذر و يبشر، فليس في هذا مايدعو إلى العجب، لأن الرسل المبعوثين إلى الأمم السابقة لم يكونوا إلا بشرا منهم، وسنة الله تعالى أن يكون الرسول المصطفى بشرا من جنس المبعوث إليهم، **(قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا)** (٩٥ الإسراء)، وإذا كان محمد فقيرا فليس ذلك بعيب، لأن الغنى والتقدم في الدنيا ليس من الأسباب التي يقوم عليها اصطفاء الله تعالى لرسله **(وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى)** (٣٧ سبأ)، وأما أنه ينذر و يبشر فالبعث والعقاب على الشر والثواب على الخير هو الحكمة العظمى، وإنما العجب العجيب أن يحسب الناس أنهم خلقوا عبثا وأنهم إلى الله لايرجعون.

وأفاد التعجيب من تعجب مشركى مكة، لأنهم تعجبوا من أن يوحي الله تعالى إلى بشر منهم أن ينذر و يبشر، مع أن هذا الأمر ليس فيه ما يدعو إلى التعجب، لأن عادة الله تعالى في إرسال رسله أن يكونوا بشرا من جنس المبعوث إليهم.

و يفيد هذا الاستفهام التوبيخ : توبيخ كفار مكة على تعجبهم من أن يوحى الله تعالى إلى رجل منهم أن ينذر و يبشر، لأن ذلك الإيحاء ليس مدعاة إلى التعجب، فسنة الله في الذين خلوا من قبلهم أن يرسل إليهم رسلا بشرا من جنسهم.

وقد اختلفت آراء العلماء في معنى **(قدم صدق)** في قوله تعالى: **(وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم)**.

قال الطبرى في تفسيره : «ومعناه أن لهم أعمالا صالحة عند ربهم يستوجبون بها الثواب» أ.هـ.

وقال الزمخشري في تفسيره (قدم صدق عند ربهم) أي سابقة وفضلا ومنزلة رفيعة، فإن قلت: لم سميت السابقة قدما؟ قلت: لمّا كان السعي والسبق بالقدم سميت المسعاة الجميلة والسابقة قدما كما سميت النعمة يدا لأنها تعطى باليد...» أ.هـ.

وهناك آراء أخرى كثيرة ذكرها القرطبي وأبو حيان كل منهما في تفسيره.

٣٣ ــ ألقى

أما الفعل الثالث والثلاثون من الأفعال الماضية التي دخلت عليها همزة الاستفهام في القرآن الكريم فهو (ألقى) وقد ورد ذلك مرة واحدة في قوله تعالى:

كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ ﴿٢٣﴾ فَقَالُوٓا۟ أَبَشَرًا
مِّنَّا وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٢٤﴾ أَءُلْقِىَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ
مِنۢ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ﴿٢٥﴾ سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ ٱلْكَذَّابُ
ٱلْأَشِرُ ﴿٢٦﴾ إِنَّا مُرْسِلُوا۟ ٱلنَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَٱرْتَقِبْهُمْ وَٱصْطَبِرْ ﴿٢٧﴾
وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ ٱلْمَآءَ قِسْمَةٌۢ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ ﴿٢٨﴾ فَنَادَوْا۟ صَاحِبَهُمْ
فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ ﴿٢٩﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٠﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ
صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَكَانُوا۟ كَهَشِيمِ ٱلْمُحْتَظِرِ ﴿٣١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ
لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٣٢﴾

الآيات: (٢٣ ــ ٣٢) من سورة القمر

تتضمن هذه الآيات الكريمة أن الله سبحانه وتعالى قد أرسل إلى قبيلة ثمود رجلا منهم هو صالح عليه السلام، فدعاهم إلى عبادة الله وحده ونبذ عبادة الأصنام، وأنذرهم عذاب الله وعقابه إن لم يستجيبوا إلى مايدعوهم إليه.

وتكررت إنذاراته لهم مرة بعد مرة، وصباح مساء، دون أن يصيبها فتور أو يعتريها توقف، ولكنهم كذبوه، وكذبوا بالنذر التي أنذرهم إياها، وقالوا منكرين مستكبرين: أنت بشر مثلنا وواحد منا، ولست من الملائكة فيكون لك علينا فخر وشرف، فكيف نتبعك بعد هذا وتكون فينا سيّدا مسوّدا، إن هذا لن يكون، وإنا إذن لفى ضلال وجنون.

كيف أنزل الوحي عليك من بيننا وفينا من هو أحق منك بذلك، فينا من هو أعلى منك منزلة وأعز نفرا واكثر مالا، إن ماتدعيه زور وبهتان، وما أنت إلا كذاب معجب بنفسك مغرور متكبر بطر.

وقد ردّ الله سبحانه وتعالى عليهم: ستعلمون أيها المتكبرون المعاندون في غد قريب من الكذاب الأشر: أرسولكم صالح الذي سوف ينجيه الله وينجي من آمن معه، أم أنتم الذين سيحل بكم عذاب يخزيكم فتصبحون في دياركم جاثمين.

لقد طلبوا منك ياصالح آية تثبت صدق دعواك وأنك فيا بلغتهم صادق، طلبوا منك أن يخرج الله لهم ناقة من هضبة أشاروا إليها، فأرسلناها تأييدا لك وابتلاء لهم: أيؤمنون بالله ويصدقونك ويستجيبون إلى ماتدعوهم إليه، أم يكذبونك ويكفرون بالله وبإرسالك.

أوحينا إليك بعد أن أخرجناها لهم ناقة تأكل وتشرب وتحلب، أوحينا إليك أن تراقبهم وأن تصبر على هذه المراقبة صبرا لايعتريه ضجر ولافتور، وأن تنظر ماذا يصنعون بناقة الله، ومايصنع الله بهم، وإياك أن تعجل حتى يأتي أمر الله.

نبئهم ياصالح أن هذه الناقة التي سألوها آية لك وأرسلنا فتنة لهم، نبئهم أن لها يوما خاصا بها تشرب فيه، وأن لهم يوما خاصا بهم، وأن البئر التي يستقون منها قسمة بينهم، كل منهما له شرب يوم محتضر، نبئهم أن يذروا ناقة الله تأكل في أرض الله، وأن لايمسّوها بسوء فيأخذهم عذاب أليم.

ولم يمض غير قليل حتى ضاقوا بالناقة وضاقوا بشربها، وضاقوا بهذه القسمة التي فرضت عليهم، وأخذوا يتهامسون قتلها فيا بينهم ولايعلنون.

وتضيق صدور القوم آخر الأمر ولم يعد فيها مصطبر، ويجمعون أمرهم على قتلها والنجاء من شربها، ليخلص لهم ماء البئر كله، ويصبح لهم وحدهم المرعى والعشب والكلأ.

وتداولوا الأمر شورى بينهم: أيهم يكون قاتل هذى الناقة التي جلبت عليهم البلاء وقاسمتهم المرعى والماء.

وبعد لأي وعناء وحجاج وطول مراء ألقوا قتلها على عاتق رجل منهم يعرف بالجرأة والإقدام يسمى قدار بن سالف، وسرعان مااستل سيفه ومضى رابط الجأش يغذّ خطاه إلى الناقة، فعقرها وعاد إلى قومه يقطر من دمها سيفه.

ويستريح القوم وتهدأ ثائرتهم، ويسكت عنهم الغيظ والغضب. أما إنذارات رسولهم صالح عليه السلام فما كانت لتكرثهم أو تثير مخاوفهم، لأنهم لم يصدقوها، وكيف يصدقونها وهم يعتقدون أن من جاءهم بها كذاب أشر؟!

لكن إنذار صالح لهم أن لايمسوها بسوء لم يك كاذبا، وما هو بالهزل، إنه لقول صدق وفصل، وإن رسولهم صالحا كان الصادق الأمين.

لقد آن لهؤلاء المجرمين أن يعلموا من الكذاب الأشر، هاهو ذا عذاب الله العظيم ينزل بساحتهم، فساء صباح المنذرين، إن كانت إلا صيحة واحدة ليس لها ثانية، فإذا هم في ديارهم جاثمون.

أصبحوا كما تصبح حظائر الماشية عيدانا يابسة وأوراقا هشّه، وفتاتا يتكسر من تحت الأقدام، بعد أن كانت أغصانا لدنة، وأفنانا غضة.

لقد يسّر الله هذا القرآن الكريم للناس، فأنزله بلسان عربي مبين، وشحنه بأنواع شتى من عظات وعبر، وصرّف فيه من كل مثل، ليذّكر أولو الألباب، فأبى أكثر الناس إلا نفورا.

هذا، وقد أفاد هذا الاستفهام : **(أألقي الذكر عليه من بيننا بل هو كذاب أشر)** أفاد التعجب والإنكار:

أفاد التعجب بمعنى كيف يلقى الوحي عليه دوننا وفينا من هو أحق منه؟!

وأفاد الإنكار بمعنى النفي أي لم يلق عليه الوحي، فادعاؤه هذا كذب واختلاق.

٣٤ ــ ليس

أما الفعل الرابع والثلاثون من الأفعال الماضية التي دخلت عليها همزة الاستفهام في القرآن الكريم فهو (ليس)، وقد ورد ذلك في ستة عشر موضعا:

الموضع الأول

الموضع الأول لاستفهام (أليس) ورد في قوله تعالى:

وَقَالُوٓاْ إِنۡ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا وَمَا نَحۡنُ
بِمَبۡعُوثِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ وُقِفُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمۡۚ قَالَ أَلَيۡسَ هَٰذَا
بِٱلۡحَقِّۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَاۚ قَالَ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ
﴿٣٠﴾

الآيتان: (٢٩ ــ ٣٠) من سورة الأنعام

تتضمن هاتان الآيتان الكريمتان أن الكفرة المشركين كانوا ينكرون أن الله يحيى خلقه بعد موتهم، ويجحدون أن الله يحاسب الناس في الدار الآخرة على أعمالهم، فهم لايرجون ثوابا على إيمانهم بالله ورسوله، ولايخافون عقابا على كفرهم بالله ورسوله.

ولو ترى يامحمد هؤلاء المنكرين للبعث الذين كانوا يقولون لاحياة إلا حياتنا الدنيا، ولن نبعث خلقا جديدا بعد الممات، لو ترى هؤلاء يوم القيامة حين يوقفون ليحكم الله فيهم حكمه ويقضى قضاءه لرأيت من سوء حالهم وصغارهم وذلتهم وخوفهم مالم تره عين في الحياة الدنيا ولم يكن ليخطر على قلب بشر.

ويُسألون عن هذا البعث والنشور ونار جهنم: أليس هذا بالحق؟ فيقولون في حسرة وذلة وندم: بلى وربنا إنه لحق، فيقال لهم: ذوقوا اليوم عذاب جهنم التي كنتم بها تكذبون، ذوقوا جزاء كفركم بالله وتكذيبكم رسله وإنكاركم هذا البعث والنشور.

وقد جاء هذا الاستفهام: (**أليس هذا بالحق**) جاء مفيدا التوبيخ والتقرير والتهكم والإذلال والاحتقار: فقد وبخ الله عزّ وجلّ الكفرة المشركين على تكذيبهم الرسل وإنكارهم البعث بعد الموت، وقولهم حين كانوا يسمعون حديث البعث والجزاء يوم القيامة: ماهذا إلا باطل.

وجاء مفيدا التقرير على معنى طلب الاعتراف بما تضمنه السؤال إما على سبيل الإثبات وإما على سبيل النفي، فاعترفوا على سبيل الإثبات وقالوا: بلى وربنا.

وجاء مفيدا الإذلال والاحتقار والتهكم بمعنى: اعترفوا أيها الكفرة المشركون بهذا الذي ترون رغم أنوفكم ورغم الكبرياء الكاذبة التي كنتم عليها في الدار الدنيا، وأين هاتيكم العزة بالإثم التي كانت تأخذكم وأنتم تكذبون دعوة الرسل؟! أين قولكم للرسل: مانحن بمعذبين، وقولكم لهم هازئين ساخرين: متى هذا الوعد إن كنتم صادقين.

وفي قوله تعالى: (بالحق) الباء حرف جر زائد، وقد جاءت هذه الزيادة لغرض بلاغي هو تأكيد معنى الجملة التي تضمنته على وجه الإثبات، و(الحق) مجرور بالباء وعلامة جره الكسرة الظاهرة على آخره، وهو أيضا منصوب لأنه خبر ليس، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على آخره منع من ظهورها الكسرة العارضة لمناسبة حرف الجر الزائد.

الموضع الثاني

الموضع الثانى لاستفهام (أليس) ورد في قوله تعالى:

﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَوٰةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٢﴾ وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوا أَهَٰؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّن بَيْنِنَا ۗ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ ﴿٥٣﴾﴾

الآيتان: (٥٢ ـ ٥٣) من سورة الأنعام

روى أن بعض أشراف المشركين ورؤسائهم مروا على النبي صلى الله عليه وسلم وهو جالس في جماعة من ضعفاء المسلمين، فقالوا له: أهؤلاء الذين منّ الله عليهم من بيننا، أنحن نصير تبعا لهؤلاء، اطردهم لعلنا نتبعك، فنزل قوله تعالى في الآيتين السابقتين.

وتتضمن الآية الأولى: لاتبعد ـ يامحمد ـ عن مجلسك هؤلاء الذين يدعون ربهم ليل نهار مخلصين له الدين يبتغون وجهه ولا يشركون به شيئا، بل أجعلهم جلساءك وخلصاءك.

ليس لك أن تطردهم وماعليك من حسابهم من شيء، وليس عليهم من حسابك من شيء، إنك إن تطردهم وهذه هي حالك معهم وحالهم معك تكن ممن وضع الطرد والإقصاء بعيدا عن مواضعه.

وتتضمن الآية الثانية: ومثل ذلك الفتون الذي وقع في الأمم الخالية التي جاءها المرسلون فافترق ناسها بين مؤمن مهتد ومكذب ضال، فتنّا هذه الأمة بعضها ببعض، فابتلينا رؤساء الكفار الأغنياء الأقوياء بضعفاء المؤمنين الفقراء، فأخذ أولئك الرؤساء يقولون عن الضعفاء ساخرين هازئين في

عجب: أهؤلاء يمنّ الله عليهم من بيننا بالهدى والرشد وهم ماهم فيه من الفقر والذلة، ونحن مانحن عليه من الغنى والقوة؟! فردّ الله ـ جلّ وعلا ـ على هؤلاء المستكبرين المستخفين بالمؤمنين بأنه تعالى أعلم بمن يشكر فيضع فيه هدايته ويجزيه على شكره، وأعلم بمن يكفر فلايهديه، ويعاقبه على كفره.

وقد جاء هذا الاستفهام : (**أليس الله بأعلم بالشاكرين**) جاء مفيدا التقرير والرد على المشركين وتوبيخهم :

أفاد التقرير على معنى الإخبار بما تضمنه السؤال على وجه الإثبات والتوكيد، أي إن الله أعلم بالشاكرين.

وأفاد التوبيخ لرؤساء المشركين والرد على إنكارهم وتعجبهم وسخريتهم واستهزائهم بضعفاء المسلمين أن يمنّ الله عليهم بالإيمان، وبّخهم الله ـ جلّ وعلا ـ وردّ عليهم بأنه هو الذي هداهم للإيمان جزاء شكرهم لله على نعمائه، واذا كان الله هو الهادى فلا موضع للإنكار والتعجب ولامجال للاستهزاء والسخرية، لأن الله ـ عزّ وجلّ ـ يفعل مايشاء ويختار، فيهدى من يشكره على نعمه ويجزيه جزاء حسنا، أما من كفر فيعذبه الله عذابا شديدا.

هذا، والباء في (بأعلم) الواردة في هذا الاستفهام زائدة لتوكيد معنى الجملة التي تضمنته على وجه الإثبات، و(أعلم) مجرور بهذه الباء الزائدة وعلامة جره فتحة ظاهرة على آخره نائبة عن الكسرة، وجر بالفتحة لأنه ممنوع من الصرف والمانع له من الصرف الوصفية ووزن الفعل، و(أعلم) منصوب أيضا وعلامة نصبه فتحة مقدرة على آخره منع من ظهورها الفتحة العارضة الظاهرة على آخره لمناسبة حرف الجر الزائد وكون الاسم ممنوعا من الصرف.

الموضع الثالث

الموضع الثالث لاستفهام (أليس) ورد في قوله تعالى:

﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾﴾

الآيتان: (١٧٢ ــ ١٧٣) من سورة الأعراف

تتضمن هاتان الآيتان الكريمتان أن الله سبحانه وتعالى قد أخذ ذرية بني آدم بعضهم من أصلاب بعض وأشهدهم على أنفسهم قائلا لهم: ألست بربكم. فاعترفوا وقالوا: أنت ربنا ومليكنا ولا إله إلا أنت.

وقد أشهدهم الله تعالى هذا الإشهاد على أنفسهم لئلا يقولوا يوم القيامة معتذرين عن شركهم في الدنيا: إنا كنا عن هذا التوحيد غافلين، أولئلا يقولوا إنا كنا تبعا لآبائنا في هذا الشرك فكيف تعذبنا والذنب إنما هو ذنب من طرّقه لنا وأضلنا عن سواء السبيل.

هذا، وقال القرطبي في تفسيره: «وقوله نعالى **(وإذ أخذ ربك)**... وهذه آية مشكلة، وقد تكلم العلماء في تأويلها وأحكامها» ثم ذكر آراء العلماء في ذلك.

وقال أبو حيان في تفسيره البحر المحيط: «وأحسن ماتكلم به على هذه الآية مافسره به الزمخشري» أ.هـ.

والذي قاله الزمخشري في تفسيره الكشاف: «وقوله **(ألست بربكم قالوا بلى شهدنا)** من باب التمثيل والتخييل، ومعنى ذلك أنه نصب لهم

الأدلة على ربوبيته ووحدانيته وشهدت بها عقولهم وبصائرهم التي ركبها فيهم وجعلها مميزة بين الضلالة والهدى، فكأنه أشهدهم على أنفسهم وقررهم وقال لهم: ألست بربكم وكأنهم قالوا: بلى أنت ربنا شهدنا على أنفسنا وأقررنا بوحدانيتك.

وباب التمثيل واسع في كلام الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم وفي كلام العرب، ونظيره قوله تعالى: **(إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون)** وقوله تعالى: **(فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين)**.. ومعلوم أنه لاقول ثم وإنما هو تمثيل وتصوير للمعنى) اهـ.

وقد أخذ برأي الزمخشري هذا أبو السعود في تفسيره وابن عاشور في تفسيره التحرير والتنوير، ورجحه البيضاوى في تفسيره.

وذهب فريق من العلماء إلى أن الآية على ظاهرها وأنه قد وقع الأخذ والقول والسؤال والجواب على سبيل الحقيقة وليس من باب التمثيل، فقد قال ابن المنير في كتابه: «الإنصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال) المطبوع على هامش تفسير الكشاف «قوله تعالى: **(وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهو ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم)** الآية. قال الزمخشري: «هذا من باب التمثيل والتخييل الخ».

فقال ابن المنير: «اطلاق التمثيل أحسن وقد ورد الشرع به، وأما إطلاق التخييل على كلام الله تعالى فمردود.. وقد كثر إنكارنا عليه لهذه اللفظة، ثم إن القاعدة مستقرة على أن الظاهر مالم يخالف المعقول يجب إقراره على ماهو عليه، فلذلك أقره الأكثرون على ظاهره وحقيقته ولم يجعلوه مثالا، وأما كيفية الإخراج والمخاطبة فالله أعلم بذلك». اهـ.

وقد أفاد هذا الاستفهام: (ألست بربكم) التقرير والإلزام والتسجيل عليهم.

أفاد التقرير على معنى طلب الاعتراف بما تضمنه السؤال إما على سبيل الإيجاب والإثبات وإما على سبيل السلب والنفي، وقد اعترفوا بالإيجاب والإثبات وقالوا: بلى شهدنا، أي أنت ربنا لاشريك لك ولا إله إلا أنت وقد شهدنا بذلك.

و يفيد الإلزام على معنى إلزامهم أن يعملوا في الدنيا ما اعترفوا به.

و يفيد التسجيل عليهم بذلك، فلا يحق لهم يوم القيامة أن يقولوا إن كنا غافلين عن هذه الربوبية والوحدانية، أو إنا قد وجدنا آباءنا من قبل يعبدون الأصنام و يشركون بالله فاتبعناهم وسرنا على آثارهم فهم الذين أضلونا السبيل.

هذا، وحذفت ياء (ليس) في (ألست) لالتقاء الساكنين: ياء ليس وسينها.

الموضع الرابع والخامس

الموضع الرابع والخامس لاستفهام (أليس) وردا في قوله تعالى:

وَلَمَّا
جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا
يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٧٧﴾ وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُوا۟
يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ۖ
فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِى ضَيْفِىٓ ۖ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ
﴿٧٨﴾ قَالُوا۟ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِى بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ
﴿٧٩﴾ قَالَ لَوْ أَنَّ لِى بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِىٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴿٨٠﴾ قَالُوا۟
يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓا۟ إِلَيْكَ ۖ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ
مِّنَ ٱلَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ ۖ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا
مَآ أَصَابَهُمْ ۚ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ ۚ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿٨١﴾

فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا
حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ
وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾

الآيات : (٧٧ — ٨٣) من سورة هود

تتضمن هذه الآيات الكريمة :

ولما جاءت ملائكة الله عزّ وجلّ النبيَّ لوطا ظنهم أضيافا يريدون النزول عليه في بيته، وماكان قد عرف أنهم ملائكة مرسلون إليه من عند الله تعالى، فساءه مجيئهم، واستولى الغم والهم على نفسه، فقد رآهم على حسن رائع وجمال بارع، وكان قومه قد اعتادوا تلك العادة السيئة المنكرة القذرة، وهي إتيان الرجال شهوة دون النساء، فخاف عليهم من قومه وشعر بأن الدفاع عن هؤلاء الأضياف وحمايتهم ستكون شاقة قاسية عسيرة، فقال هذا يوم عظيم البلاء عسير.

وسرعان ماعلم قوم لوط بأضيافه وأنهم على وافر حسن وعظيم جمال، فجاءوا مسرعين إلى بيته يسوقهم السوء والشر، وتهزهم الشهوة الخسيسة القذرة، وأخذوا يراودونه عن ضيفه، وحاول لوط في بداية الأمر أن يخاطبهم بالحسنى وأن يقنعهم بإحسان، فقال لهم هؤلاء بناتى هن أطهر لكم فانكحوهن بالحق، واتقوا الله في ضيفى ولا تخزونى بهذه الفاحشة التي تبتغون. وحين لم تظهر عليهم معالم الاقتناع والاستجابة صاح من غيظ وغضب: ويحكم! أليس منكم رجل رشيد يعرف الحق وينهى عن المنكر ويحول بينكم وبين هذا الفسوق الذي تطلبون.

ولكن قوم لوط قد اعتادوا هذه الفاحشة السيئة التي لم يسبقهم إليها أحد من العالمين، وقد شبّوا عليها وشابوا، ورأوا لوطا ضعيفا أمام قوتهم وكثرتهم لايستطيع لهم دفعا ولامنعا، ثم إن امرأة لوط عجوز السوء التي كانت ضالعة مع قومها كانت قد أخبرتهم أنه قد تضّيف لوطا قوم مارأت أناسا أحسن

منهم وجوها ولا أشد بياضا ولا أطيب ريحا، فهيهات هيهات بعد هذا كله أن يستجيب قوم لوط إلى دعوة لوط وإلى وعظه ونصحه، قالوا له لقد علمت مالنا في بناتك من حق، فهن لسن لنا أزواجا، وإنك يالوط لتعلم أن حاجتنا في غير بناتك، وأن الذي تنهانا عنه هو مانريد.

وحين رأى لوط من قومه أنهم يأبون إلا المضيّ لما جاءوا له من السيئات، ويئس من أن يستجيبوا إلى شيء مما عرض عليهم، وأنه لم يَعُدْ له قبلٌ بهم، حزن واستكان وأخذ يشكو ويقول: لو أن لى أنصارا ينصرون وأعوانا يعينون أو ملاذا من عشيرة تمنع وقبيلة تحمى لحلت بينكم وبين ماجئتم له من هؤلاء الأضياف.

ولما رأى الملائكة المرسلون الأضياف ماأصاب لوطا من الضعف والأسى والاستكانة والحيرة، ورأوا قومه يدفعون باب داره يريدون أن يلجوه عنوة واغتصابا، ورأوا لوطا قد أوشك أن يستسلم ـــ أفصحوا عن أمرهم وقالوا: يالوط إنّا رسل ربك إليك لإهلاك قومك، وإنهم لن يصلوا إليك ولا إلينا بمكروه.

وفرح لوط بنصر الله وأحسّ بالنشاط والقوة والعزة، ونظر حوله فرأى قومه عميانا يتخبطون على الطرق إلى بيوتهم يطلبون النجاة، ومادروا أنهم سوف يلاقون مع الصباح في هذه البيوت الموت، الموت الذي لم يكن ليخطر لهم على بال.

ثم يلتفت الملائكة المرسلون إلى لوط ويقولون له: عليكِ أن تخرج أنت وأهلك من بين قومك، وأن تترك قومك وراء ظهرك، أخرج من ليلتك هذه قبل أن يطلع الصباح، ولا تأخذ معك امرأتك، دعها تتخلف مع قومها فهى منهم، وسوف ينزل بها من العذاب ماينزل بهم، وإياك أن تلتفت أنت أو أحد من أهلك إلى الوراء، أسرع في الخروج، أسرع في الخروج، إن موعد هلاكهم الصبح، وإن الصبح لقريب.

ويخرج لوط وأهله إلا امرأته قبل أن يطلع الصبح، ويجيء الصباح ويجيء معه الهلاك والدمار والعذاب، فيدمر الله جلّت قدرته قرى قوم لوط، ويجعل عاليها سافلها، ويمطر عليها حجارة من سجيل منضود مسوّمة عند ربك فلا ينجو منهم أحد.

وماتلك القرى التي دمّرها الله تعالى بمكان بعيد عن مشركي قريش، إنهم يمرون عليها غدوا ورواحا في أسفارهم إلى الشام، فليكن لهم فيها عظات وعبر.

هذا، وقد جاء استفهام : **(أليس منكم رجل رشيد)** جاء مفيدا الإنكار والتوبيخ: فقد أنكر لوط على قومه تركهم الرشد، ووبخهم على تمالئهم على الفحشاء والمنكر وأن لايكون منهم على كثرتهم وسوء مطلبهم رجل عاقل يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويقف إلى جانبه ينصر الحق ويعين على الباطل ويدفع الشر والسوء والفحشاء عن بيته.

وجاء استفهام : **(أليس الصبح بقريب)** جاء مفيدا التقرير والطمأنة: أفاد التقرير على معنى الإخبار بما تضمنه السؤال على وجه الإثبات والتوكيد أي إن الصبح لقريب.

وأفاد الطمأنة على معنى ليطمئن قلبك يالوط وليهدأ روعه. فقد استبطأ لوط موعد العذاب حين قال له الملائكة إن موعدهم الصبح، فأجابوه: أليس الصبح لقريب، إنه لقريب يالوط، فاطمئن، وليهدأ قلبك ويسكن.

وقد ذهب الألوسي في تفسيره إلى أن استفهام **(أليس منكم رجل رشيد)** يفيد التعجب: التعجب أن لايكون فيهم رجل رشيد على كثرتهم.

الموضع السادس

الموضع السادس لاستفهام (أليس) ورد في قوله تعالى:

وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِى صُدُورِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾

الآية (١٠) من سورة العنكبوت

تتضمن هذه الآية الكريمة :

ومن الناس طائفة تقول آمنا بالله وحده لاشريك له، حتى إذا آذاهم المشركون من جراء إيمانهم هذا رجعوا مرتدين إلى الكفر غير صابرين على الأذى مطيعين المشركين فيما يطلبونه منهم كما يطيع الله من يخاف عذابه.

واذا جاء نصر من ربك للمؤمنين رأيت هؤلاء المرتدين عن إيمانهم يقولون للمؤمنين لقد كنا أيها المؤمنون معكم في الإيمان ولكننا أكرهنا فقلنا ماقلنا فأشركونا في الغنيمة.

إن الله سبحانه وتعالى أعلم من كل أحد بما في نفسه، وهو أعلم منكم بما في صدوركم، فلا تظنوا أنكم تستطيعون أن تخدعوا الله عما في تلك الصدور بقولكم للمؤمنين إنا كنا معكم. ألا إنكم في هذا لكاذبون.

وقد جاء هذا الاستفهام : **(أوليس الله بأعلم بما في صدور العالمين)** جاء مفيدا التقرير والتكذيب :

أفاد التقرير : على معنى الإخبار بما تضمنه السؤال على جهة الإثبات والتوكيد أى إن الله لأعلم بما في صدور العالمين.

وأفاد التكذيب : على معنى تكذيب أولئك المنافقين في قولهم للمؤمنين إنا كنا معكم شركاء في الإيمان، يريدون بذلك أن يكونوا شركاء لهم في الغنائم التي يغنمونها حين ينصرون على الأعداء، فبين الله سبحانه وتعالى ماكانوا يخفونه في صدورهم من كفر، وأنهم في دعواهم الإيمان لكاذبون.

الموضع السابع

الموضع السابع لاستفهام (أليس) ورد في قوله تعالى:

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ
لَمَّا جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾

الآية : (٦٨) من سورة العنكبوت

تتضمن هذه الآية الكريمة أنه لاأحد أظلم ممن افترى على الله الكذب فنسب إليه الولد والصاحبة والشريك وحرّم وحلّل على غير ماأمر الله تعالى، أو كذب الرسول صلى الله عليه وسلم وبالقرآن المنزل عليه من ربه تكذيبا بعيدا عن التأمل والتدبر والتفكير.

وتتضمن أيضا الوعيد لهؤلاء المفترين على الله الكذب وللمكذبين الرسول وبالقرآن، الوعيد لهم بأن لهم يوم القيامة نار جهنم مثوى لهم جزاء كفرهم الذي كانوا يكفرون.

وقد جاء استفهام (أليس في جهنم مثوى للكافرين) جاء مفيدا التقرير والتهديد والوعيد.

أفاد التقرير : على معنى الإخبار بما تضمنه السؤال على جهة الإثبات والتوكيد أى إن في جهنم لمثوى للكافرين.

وأفاد التهديد والوعيد لمن يشرك بالله تعالى ولمن نكذب رسوله صلى الله عليه وسلم وبالقرآن المنزل عليه من ربه، تهديد ووعيد بأنهم سوف يكون لهم في نار جهنم مستقر دائم لايبرحونه خالدين فيه أبدا يوم يقوم الحساب.

الموضع الثامن

الموضع الثامن لاستفهام (أليس) ورد في قوله تعالى:

أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ
بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾

الآية (٨١) من سورة يس

تتضمن هذه الآية الكريمة الردّ على الكافرين الذين يستبعدون عودة الحياة الى الأموات بعد أن يصيروا في الأرض عظاما ورفاتا،ردّ جلّ جلاله عليهم بأن الله الذي خلق السموات والأرض ــ وخلْقها أعظم من خلْق الناس ــ قادر على أن يخلق مثلهم، فكيف يستبعدون مع هذا أن يبعثهم الله أحياء مرة ثانية وهو الخلاق الذي كثرت مخلوقاته العليم بكل ماخلق ويخلق لاتخفى عليه خافية من أحوال خلقه.

وقد أفاد استفهام هذه الآية الكريمة التقرير والتوبيخ:

أفاد التقرير على معنى الإخبار بما تضمنه السؤال على جهة الإثبات والتوكيد أى إن الله الذي خلق السموات والأرض لقادر على أن يخلق مثلهم، وقد أجاب الله سبحانه وتعالى ب (بلى) تأكيدا لما تضمنه السؤال وللدلالة على أن أي مخاطب لو سئل هذا السؤال لما استطاع الإنكار ولما وسعه إلا أن يجيب ب (بلى) أي إن الله قادر على أن يخلق مثلهم.

وأفاد هذا الاستفهام توبيخهم على استبعادهم إحياء الله الموتى بعد أن تصبح أجسامهم عظاما وترابا وقد قامت الحجج الظاهرة المحسوسة على قدرة الله عز وجل على ذلك، ودلت الآيات الكثيرة المختلفة على أن الله سبحانه وتعالى قد خلق ماهو أعظم.

الموضع التاسع

الموضع التاسع لاستفهام (أليس) ورد في قوله تعالى:

﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴾ ٣٢

الآية (٣٢) من سورة الزمر

تتضمن هذه الآية الكريمة أنه لا أحد في المكذبين أظلم ممن افترى على الله الكذب فنسب إليه الصاحبة والشريك وحرّم وحلّل مالم يأذن به الله، وكذّب بالقرآن الكريم حين سماعه دون أن يفكر فيه و يتأمل. وتتضمن أيضا الوعيد لهؤلاء المفترين على الله الكذب وللمكذبين بالقرآن بأن لهم نار جهنم مثوى لهم جزاء كفرهم الذي كانوا يكفرون.

وقد جاء استفهام هذه الآية الكريمة (**أليس في جهنم مثوى للكافرين**) جاء مفيدا التقرير والتهديد والوعيد، وقد سبق بيان هذا وإيضاحه في استفهام الموضع السابع.

الموضع العاشر والحادى عشر

الموضع العاشر والحادي عشر لاستفهام (أليس) وردا في قوله تعالى:

أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ
عَبْدَهُۥ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ وَمَن يُضْلِلِ
ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ ۗ
أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِى ٱنتِقَامٍ ﴿٣٧﴾

الآيتان: (٣٦ ــ ٣٧) من سورة الزمر

تتضمن هاتان الآيتان الكريمتان أن الله سبحانه وتعالى يكفى عبده محمدا شر أعدائه و ينصره عليهم.

كيف يخوفونك بأصنامهم التي يعبدونها من دون الله أن تصيبك بسوء من جراء براءتك منها وعيبك إياها، وهي لا تملك لنفسها ولا لغيرها ضرا ولا نفعا؟! هم قوم لايعقلون!!

ومن يضله الله عز وجل عن طريق الهدى والرشاد فليس له هاد يهديه إلى الحق والرشد، ومن يهده الله إلى الإيمان والعمل بكتابه فماله من مضل يزيغه عن الحق ويرده إلى الكفر. والله سبحانه وتعالى عزيز منيع غالب لايعجزه شيء، ذو انتقام من أعدائه المشركين به الكافرين بوحدانيته.

وقد جاء استفهام (**أليس الله بكاف عبده**) مفيدا التقرير والتوبيخ والتهكم.

أفاد التقرير على معنى الإخبار بما تضمنه السؤال على وجه الإثبات والتوكيد. أي إن الله لكاف عبده.

وأفاد التوبيخ والتهكم : توبيخ المشركين والتهكم بهم أن خوفوا رسول الله صلى الله عليه وسلم آلهتهم أن تخبله أو تصيبه بسوء.

ماهذه الأصنام التي تخوفون بها رسول الله الذي كفاه الله وعصمه من كل بلاء وسوء؟! إنكم لبله أغبياء لاتعقلون إذ تخوفونه بأصنام لاتملك لنفسها ولا لأنفسكم ضرا ولانفعا!!

وأفاد استفهام (**أليس الله بعزيز ذى انتقام**) التقرير والوعيد:

أفاد التقرير على معنى الإخبار بما تضمنه السؤال على وجه الإثبات والتأكيد أي إن الله لعزيز ذو انتقام.

وأفاد التهديد والوعيد للمشركين بأن الله عزيز منيع غالب لايعجزه شيء ولايغلبه أحد، ينتقم من أعدائه المشركين الكافرين دون أن يجدوا لهم من دون الله واقية.

هذا، وفي قوله تعالى (**بكاف عبده**) الباء حرف جر زائد للتوكيد، و(كاف) مجرور بالباء وعلامة جره كسرة مقدرة على آخره وهو الياء المحذوفة لالتقاء الساكنين: (الساكن الأول: الياء نفسها بعد حذف الكسرة عنها للثقل، والساكن الثاني: التنوين). و(كاف) المجرور بالباء منصوب لأنه خبر ليس وعلامة نصبه فتحة مقدرة على آخره وهو الياء المحذوفة لالتقاء الساكنين. (وعبده) مفعول به لاسم الفاعل (كاف) ومضاف إلى الضمير بعده.

الموضع الثاني عشر

الموضع الثانى عشر لاستفهام (أليس) ورد في قوله تعالى:

﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾﴾

الآية (٦٠) من سورة الزمر

تتضمن هذه الآية الكريمة أن الذين كذبوا على الله تعالى فزعموا أن له شريكا وأن له ولدا، وشرعوا لأنفسهم من الحلال والحرام مالم يأذن به الله، تراهم يوم القيامة قد اسودّت وجوههم بما نالهم من الشدة والخوف وما أحاط بهم من غضب الله ونقمته وعذابه.

وفي نار جهنم مستقر لهؤلاء ومقام، وإنها لمثوى لكل متكبر عن طاعة الله يمتنع عن توحيده ولاينتهي إلى طاعته فيما أمره به وفيما نهاه عنه.

وقد جاء هذا الاستفهام : **(أليس في جهنم مثوى للمتكبرين)** جاء مفيدا التقرير والتهديد والوعيد.

أفاد التقرير على معنى الإخبار بما تضمنه السؤال على وجه الإثبات والتوكيد، أي إن في جهنم لمثوى للمتكبرين.

وأفاد التهديد والوعيد لمن تكبروا عن طاعة الله تعالى والإيمان به وحده، والتزام شريعته، واتباع رسوله صلى الله عليه وسلم، فاتخذوا الأصنام آلهة عبدوها من دون الله، ولم يأتمروا بما أمر به الله، ولم ينتهوا عما نهى عنه، التهديد والوعيد لهؤلاء المتكبرين بأن لهم يوم القيامة في نار جهنم مثوى ومقاما جزاء تكبرهم هذا، وأنهم لن يجدوا عنها حولا.

الموضع الثالث عشر

الموضع الثالث عشر لاستفهام (أليس) ورد في قوله تعالى:

وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِى قَوْمِهِۦ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾

الآيتان: (٥١ ـ ٥٢) من سورة الزخرف

تتضمن هاتان الآيتان الكريمتان أن فرعون نادى في عظماء قومه القبط وهم مجتمعون عنده في قصره، قال مفتخرا أليس لى هذا الملك العظيم ملك مصر الواسعة الممتدة الأطراف، وهذه الأنهار تجرى من تحت قصرى وبين يديّ، فالأشجار مخضرة، والأزهار يانعة، والجنان تملأ العيون جمالا وروعة.

ثم إن لكم في هذه الأنهار لنعمة، فهي تسقى الزرع والضرع، وتنبت الخصب والخير، فالناس في سعة من الرزق ورفاه من العيش، أفلا ترون كل هذا وتبصرون؟!

أين موسى من هذا كله؟! إنه ذليل ضعيف الحال مهين، عيّ اللسان لايكاد يفصح ويبين.

وقد أفاد هذا الاستفهام: **(أليس لى ملك مصر وهذه الأنهار تجرى من تحتى)** أفاد التقرير والفخر:

أفاد التقرير على معنى الإخبار بما تضمنه السؤال على جهة الإثبات والتوكيد، أي إن لى ملك مصر الواسعة وهذه الأنهار تجرى من تحتى.

وأفاد الفخر: فقد فخر فرعون أمام عظماء قومه القبط على موسى عليه السلام بأنه ملك مصر الواسعة الممتدة الأطراف وأن له قصرا منيفا ضخما تجرى من تحته الأنهار.

والواو في (**وهذه الأنهار تجرى من تحتي**) واو الحال و(هذه) اسم إشارة في محل رفع مبتدأ، ،(الأنهار) نعت له أو عطف بيان، وجملة (**تجرى من تحتى**) في محل رفع خبر المبتدأ، والواو ومادخلت عليه في محل نصب حال من ياء المتكلم في (لي).

ويحتمل أن تكون الواو في (**وهذه الأنهار**) واو العطف، و يكون (هذه) في محل رفع معطوفا على اسم ليس وهو (**ملك مصر**) والأنهار نعت لاسم الإشارة أو عطف بيان، وجملة (**تجرى من تحتى**) في محل نصب حال من اسم الإشارة.

الموضع الرابع عشر

الموضع الرابع عشر لاستفهام (أليس) ورد في قوله تعالى:

وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ
أَلَيْسَ هَٰذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا
كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٤﴾

الآية (٣٤) من سورة الأحقاف

تتضمن هذه الآية الكريمة:

و يعرض الذين كفروا بالبعث والثواب والعقاب يوم القيامة على نار جهنم و يقال لهم: أليس هذا الذي تشاهدونه بالحق، فيجيب هؤلاء الكفرة،

بلى، والله ربنا إنه لحق، فيقال لهم توبيخا لهم وسخرية بهم: ذوقوا عذاب جهنم بما كنتم به تكذبون وتكفرون!!

وجاء هذا الاستفهام: **(أليس هذا بالحق)** مفيدا التهكم بالكافرين المكذبين بالبعث والمعاد، ومفيدا التوبيخ لهم على استهزائهم في حياتهم الدنيا بوعد الله ووعيده وقولهم منكرين: **(ومانحن بمعذبين)** وسؤالهم مستهزئين: **(متى هذا الوعد إن كنتم صادقين)**.

وجاء هذا الاستفهام مفيدا أيضا التقرير: بمعنى طلب الاعتراف بما تضمنه السؤال إما على سبيل الإثبات وإما على سبيل النفي، وقد أجابوا بالإثبات المؤكد فقالوا بلى والله ربنا إنه لحق.

الموضع الخامس عشر

الموضع الخامس عشر لاستفهام (أليس) ورد في قوله تعالى:

أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾
أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ
ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾

الآيات: (٣٦ ـــ ٤٠) من سورة القيامة

تتضمن هذه الآيات الكريمة:

أيحسب الإنسان أن يترك مهملا لايكلف شيئا ولايحاسب بشيء؟!

لاينبغي له أن يظن هذا الظن أو يدور بخلده هذا الحسبان.

والإنسان الذي ينكر الحياة الأخرى ويجحد قدرة الله عز وجل على بعثه بعد موته ينبغي له ـــ إذا أراد الحق والرشد ـــ أن ينظر مم خلق، لقد خلقه

الله تعالى من قطرة منيّ تمنى في الرحم، ثم جعله دما بعد النطفة، ثم خلقه خلقا كاملا فسوّاه بشرا سويّا، ثم جعل منه البنين والبنات، أفيكون من خلق هذا الخلق البديع أول مرة عاجزا عن أن يخلقه مرة أخرى؟! لايكون عاجزا إلا عند ذوى العقول السقيمة والأفهام العقيمة وأهل الشرك والشر والعناد. أما ذوو العقول السليمة والأفهام المستقيمة وأهل الفكر والنظر والتدبر فهم على يقين بأن الله عز وجل قادر على أن يحيى الموتى مرة أخرى كما بدأ خلقهم أول مرة.

وقد جاء هذا الاستفهام : **(أليس ذلك بقادر على أن يحيى الموتى)** جاء مفيدا التقرير والتوبيخ.

أفاد التقرير على معنى الإخبار بما تضمنه السؤال على وجه الإثبات والتوكيد، أي إن الله الذي خلق الإنسان من نطفة منى يمنى لقادر على أن يحيى الموتى.

وأفاد التوبيخ : توبيخ الكافرين على إنكارهم البعث والحياة الأخرى وجحدهم قدرة الله عز وجل على إعادة خلقهم خلقا جديدا بعد موتهم، مع قيام الدليل على قدرة الله سبحانه وتعالى على ذلك، فلقد خلقهم أول مرة والقادر على الخلق بدءا قادر على الإعادة.

الموضع السادس عشر

الموضع السادس عشر لاستفهام (أليس) ورد في قوله تعالى:

﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ۝٣
لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝٤ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ
۝٥ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۝٦
فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ ۝٧ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ ۝٨﴾

الآيات : (١ ـ ٨) من سورة التين

تتضمن هذه الآيات الكريمة :

يقسم الله عزّ وجل بالتين الذي يؤكل والزيتون الذي يعصر وبالجبل المسمى طور سنين وبمكة البلد الآمن الأمين، يقسم الله عز وجل بهذه الأشياء الأربعة على أنه خلق الإنسان في أحسن صورة وأجمل قوام، ثم ردّه من حال التقويم الأحسن والشباب الناضر والأيد الشديد والجلد الظافر إلى اسفل سافلين إلى حال الهرم والضعف والذلة وقلة الحيلة والخرف.

لكن الذين آمنوا وكانوا يعملون الصالحات لاينقطع أجرهم حين يصبحون عاجزين عن عمل الخير وصنع المعروف من شيخوخة تغشاهم وهرم يستبد بهم.

أما أنت أيها الإنسان الذي ترى قدرة الله عزّ وجلّ على تصريفه لأحوال الإنسان: جعل من قوته ضعفا، ومن شبابه هرما، ومن اعتدال القوام تقوس الظهر، ومن حسن الصورة أخاديد الشيخوخة وغبار السنين، أما أنت أيها

الإنسان الذي عاينت عيناك هذه القدرة الإلهية المبدعة فا الذي يدعوك بعد هذا إلى أن تكذب بالبعث والجزاء؟!!

إن الذي خلق الإنسان في أحسن تقويم ثم ردّه إلى أرذل العمر لأحكم الحاكمين صنعا وتدبيرا في كل ماخلق، وهو القادر على أن يبعثك بعد موتك خلقا جديدا ليحكم عليك بعذاب جهنم جزاء هذا الكفر الذي أنت فيه، فإنه أحكم الحاكمين.

وقد جاء هذا الاستفهام : **(أليس الله بأحكم الحاكمين)** جاء مفيدا التقرير والتهديد والوعيد.

أفاد التقرير بمعنى الإخبار بما تضمنه السؤال على وجه الإثبات والتأكيد، أي إنه عزّ وجلّ لأحكم الحاكمين.

وأفاد التهديد والوعيد للمكذبين بالبعث والجزاء بأنه جلّ وعلا سوف يذيقهم من عذاب غليظ في جهنم جزاء كفرهم هذا، إنه أحكم الحاكمين يقضي بين الناس يوم القيامة بما هو أهله وبما هم أهله، ولايظلم ربك أحدا.

بهذا ينتهي حديثي عن الآيات التي وردت فيها همزة الاستفهام الداخلة على (ليس) وعن معاني همزة استفهام (أليس) في تلك الآيات، ولكنني أود في ختام هذا الحديث أن أنبه على أشياء:

أحدها : أن أسلوب (أليس) في آياتها السابقة جاء على صورتين: جاء في الصورة الأولى وقد تقدم فيها اسمها على خبرها ــ وهذا هو الأصل ــ وقد التزم في الخبر جره بالباء الزائدة للتوكيد.

وجاء في الصورة الثانية وقد تقدم فيها الخبر على الاسم، وقد التزم في الخبر أن يكون جارا ومجرورا.

وتستطيع أن ترى الصورة الأولى في الآيات الكريمة التالية:

١ ــ **(أليس هذا بالحق)** (٣٠) من سورة الأنعام.

٢ ــ **(أليس الله بأعلم بالشاكرين)** الآية (٥٣) من سورة الأنعام.

٣ ــ **(ألست بربكم)** الآية (١٧٢) من سورة الأعراف.

٤ ــ **(أليس الصبح بقريب)** الآية (٨١) من سورة هود.

٥ ــ **(أوليس الله بأعلم بما في صدور العالمين)** الآية (١٠) من سورة العنكبوت.

٦ ـ (**أوليس الذي خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم**) الآية (٨) يس.

٧ ـ (**أليس الله بكاف عبده**) الآية (٣٦) من سورة الزمر.

٨ ـ (**أليس الله بعزيز ذى انتقام**) الآية (٣٧) من سورة الزمر.

٩ ـ (**أليس هذا بالحق**) الآية (٣٤) من سورة الأحقاف.

١٠ ـ (**أليس ذلك بقادر على أن يحيى الموتى**) الآية (٤٠) من سورة القيامة.

١١ ـ (**أليس الله بأحكم الحاكمين**) الآية (٨) من سورة التين.

وتستطيع أن ترى الصورة الثانية في الآيات الكريمة التالية:

١ ـ (**أليس منكم رجل رشيد**) الآية (٧٨) من سورة هود.

٢ ـ (**أليس في جهنم مثوى للكافرين**) الآية (٦٨) من سورة العنكبوت.

٣ ـ (**أليس في جهنم مثوى للكافرين**) الآية (٣٢) من سورة الزمر.

٤ ـ (**أليس في جهنم مثوى للمتكبرين**) الآية (٦٠) من سورة الزمر.

٥ ـ (**أليس لى ملك مصر وهذه الأنهار تجرى من تحتى**) الآية (٥١) من سورة الزخرف.

ثانيها : كانت زيادة الباء في خبر ليس في الصورة الأولى لغرض بلاغي هو تأكيد نسبة المسند (وهو خبر ليس) إلى المسند إليه (وهو اسمها) على وجه الإثبات وليس على وجه النفي، وكان هناك مايقتضى هذا التأكيد، فقد تضمنت معظم آيات هذه الصورة إثبات صفة من صفات الله تعالى له عزّ وجل كما في (**ألست بربكم**). (**أليس ذلك بقادر على أن يحيى الموتى**). (**أليس الله بكاف عبده**). (**أليس الله بأحكم الحاكمين**). فجاء تأكيد نسبة هذه الصفات لله سبحانه وتعالى اهتماما بشأنها، ولأن هناك من ينكرونها.

وفي (**أليس هذا بالحق**) جاء التأكيد بالباء لأن المخاطبين كانوا ينكرون مضمون هذا السؤال.

وفي (**أليس الصبح بقريب**) كان لوط عليه السلام حريصا على الإسراع في إنزال العذاب بقومه، وكأنه رأى بعد الموعد فأكد له قرب الصبح وأنه ليس ببعيد.

ثالثها : في الصورة الثانية كان تقديم المسند وهو خبر ليس على اسمها المسند إليه لغرض بلاغي أيضا، ففي (**أليس في جهنم مثوى للكافرين**). (**أليس في جهنم مثوى للمتكبرين**) كان تقديم ذكر جهنم لأن المقام مقام تهديد ووعيد فُعجِّل بما يروّع ويخيف، وفي (**أليس لى ملك مصر**) كان المقام مقام فخر وإظهار عظمة وتفوّق، وأن ملك مصر له وحده فاقتضى ذلك تقديم الخبر، وفي (**أليس منكم رجل رشيد**) كان قوم لوط المخاطبون هم منشأ المصيبة ومصدر البلاء والشغل الشاغل لعقله وقلبه، فلاعجب أن يكون ذكرهم أول مايجرى به اللسان وهو ينكر و يوبخ.

رابعها : أفادت همزة (أليس) التقرير في مواضعها كلها ماعدا (**أليس منكم رجل رشيد**). وأفادت التوبيخ في سبعة مواضع، والتهديد والوعيد في ثلاثة، وجاء كل من الفخر والإنكار والإلزام والتسجيل والطمأنة مرة واحدة.

خامسها : الاستفهام التقريري أبلغ وأقوى وآكد من الخبر المجرد من ذلك الاستفهام، فقوله تعالى: (**أليس الله بأحكم الحاكمين**) أبلغ وأقوى وآكد في إثبات المعنى الذي تضمنه هذا الاستفهام من قول قائل: الله أحكم الحاكمين، لأن الاستفهام التقريرى يقوم على اعتبار أن السامع أو المخاطب يقر و يعترف بما يتضمنه السؤال على وجه الإثبات، على حين أن الخبر المجرد من ذلك الاستفهام ليس فيه ذلك الاعتبار.

ولأن الاستفهام ينبه المخاطب و يستثيره لما يلقى عليه فكانه يقول له أتسمع، انتبه، فيستقر المعنى في ذهنه و يثبت، وليس الحال مع الخبر كذلك، فقد يتنبه المخاطب لما يلقى عليه وقد يغفل عنه.

ولأن الاستفهام يتطلب من المخاطب أن يتخذ موقفا ويحمله مسؤولية الجواب، على حين أن المخاطب مع الخبر ليس كذلك، فهو لايتحمل مسؤولية الجواب، وربما لايبالى بمضمون الخبر.

٣٥ ــ أنــزل

أمـا الـفعل الخامس والثلاثون من الأفعال الماضية التي دخلت عليها همزة الاستفهام فهو (أنزل) وقد ورد ذلك في موضع واحد في قوله تعالى:

صٓ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ ﴿١﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي عِزَّةٖ وَشِقَاقٖ ﴿٢﴾
كَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَبۡلِهِم مِّن قَرۡنٖ فَنَادَواْ وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٖ ﴿٣﴾ وَعَجِبُوٓاْ
أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡۖ وَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٞ كَذَّابٌ ﴿٤﴾
أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ ﴿٥﴾ وَٱنطَلَقَ ٱلۡمَلَأُ
مِنۡهُمۡ أَنِ ٱمۡشُواْ وَٱصۡبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمۡۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٞ يُرَادُ ﴿٦﴾
مَا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا فِي ٱلۡمِلَّةِ ٱلۡأٓخِرَةِ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا ٱخۡتِلَٰقٌ ﴿٧﴾ أَءُنزِلَ
عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ مِنۢ بَيۡنِنَاۚ بَلۡ هُمۡ فِي شَكّٖ مِّن ذِكۡرِيۚ بَل لَّمَّا يَذُوقُواْ عَذَابِ
﴿٨﴾ أَمۡ عِندَهُمۡ خَزَآئِنُ رَحۡمَةِ رَبِّكَ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡوَهَّابِ ﴿٩﴾ أَمۡ لَهُم
مُّلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَاۖ فَلۡيَرۡتَقُواْ فِي ٱلۡأَسۡبَٰبِ ﴿١٠﴾
جُندٞ مَّا هُنَالِكَ مَهۡزُومٞ مِّنَ ٱلۡأَحۡزَابِ ﴿١١﴾

الآيات: (١ ــ ١١) من سورة ص.

تـتضـمـن هـذه الآيـات الـكريمة قسما من الله تعالى بالقرآن ذى الذكر والـشهـرة والـشرف على أن محمدا من المرسلين، ولكن الذين كفروا أخذتهم عزة وتكبر وعناد وشقاق، فكذبوا محمدا وأنكروا أن يكون رسولا.

لقد أهلك الله أمما كثيرة من قبلهم كذبوا الرسل واستغاثوا الله حين رأوا الـعذاب نـازلا بهم، ولكن استغاثتهم ذهبت أدراج الرياح، فقد جاءت حين لاينفع النداء، وحين لامناص ولانجاء.

فليحذر الذين يشركون بالله تعالى، و يكذبون رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم فيلحذروا أن ينزل بهم من العذاب مانزل بالذين من قبلهم، إن في ذلك لذكرى لأولي الألباب.

هم يعجبون، وليس فيا يعجبون منه عجب، يعجبون و ينكرون أن جاءهم محمد رسولا منهم وأنزل عليه القرآن من بينهم، فإذا كان عجبهم أن محمدا لم يكن أعلاهم منزلة ولا أوسعهم شهرة ولا أكثرهم مالا فهذه المقاييس الدينوية لا تزن عند الله جناح بعوضة، والله تعالى أعلم حيث يجعل رسالته.

وإذا كان عجبهم وإنكارهم أن يكون بشرا مثلهم فهذه سنة الله تعالى في الذين خلوا من قبلهم، بعث إلى كل أمة رسولا منهم، **(قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم ملكا رسولا)** (٩٥ الإسراء). ولو كنتم أيها المشركون ملائكة لنزل الله عليكم من السماء ملكا رسولا، ولكنكم كنتم بشرا فأرسل الله إليكم بشرا مثلكم، لتفهموا عنه و يفهم عنكم، وليتأتى له خلاطكم واطلاعه على شؤون حياتكم، وليتسنّى لكم أن تتخذوا منه قدوة تقتدون بها في شؤون دنياكم وأخراكم.

تعجبون أيها المشركون من أن يدعوكم محمد إلى عبادة إله واحد قادر على كل شيء ولا تعجبون من عبادة آلهة متعددة لا تضر ولا تنفع ولا تحس ولا تعقل، إن هذا الذي أنتم عليه هو العجب العجاب.

لو كان في أشرافكم عقل يفكر وقلب يتدبر ماقالوا تضليلا وشقاقا: سيروا أيها القوم على طريقتكم، واستمروا على عبادة أصنامكم واصبروا على هذه العبادة، فما هذا التوحيد الذي يدعوكم إليه محمد إلا شيء يريد به إفساد دينكم والقضاء على أصنامكم، فما سمعنا بهذه الوحدانية في الملة الآخرة ملة النصارى، وماسمعنا بها في ملة آبائنا وآباء آبائنا من قبل، ماهذه الوحدانية التي جاءكم بها محمد إلا اختلاق، وماادعاؤه إنزال القرآن عليه من بيننا إلا افتراء، وما محمد إلا ساحر كذاب.

يقولون ساحر كذاب، وهم على يقين من أن محمدا لم يتعلم السحر، وما خالط الساحرين، ولايقول لهم سحرا.

يقولون محمد كذاب، وهم على علم لايشوبه شك بأن محمدا أبعد الناس عن الكذب، لقد عرفوه من قبل أن ينزل عليه القرآن الصادق الأمين، فكيف يصير كذابا بعد أن نزل عليه القرآن ذو الذكر.

ساحر كذاب!! يقولون هذا بألسنتهم وتكذبه قلوبهم، تقوله ألسنة الحسد الذي يأكل قلوبهم، وحب الرئاسة الذي ملك عليهم أقطار حياتهم، و يقوله التكبر والعناد والشقاق الذي كان يحيط بهم من كل جانب.

لقد أخذتهم الحيرة في هذا القرآن ماذا يقولون عنه: تارة يقولون افتراه، وتارة يقولون شعر شاعر، وتارة سحر ساحر، وتارة قول كاهن، وتارة هو أساطير الأولين.

إن هؤلاء المشركين لما يذوقوا عذاب الله بعد، و يوم يذوقونه سيذهب عنهم التكبر والعناد والشقاق، و يزول عنهم الشك في أن القرآن وحي أنزله الله من عنده على محمد، يومئذ يؤمنون بما كانوا يعجبون منه و ينكرون، و يومئذ يستغيثون و ينادون ولات حين استغاثة ونداء.

علام التكبر والعناد والشقاق يامشركى مكة؟! وفيم الإنكار والتعجب ياكفار قريش؟! أعندكم خزائن رحمة الله فأنتم لها مالكون وبها تتصرفون، تصيبون بها من تشاءون، وتصرفونها عمن تشاءون، وتصطفون للنبوة من تريدون؟! ما عندكم شيء من ذلكم، وإنما هي عند الله العزيز الغالب الذي لايغلب، الوهاب الذي يهب مايشاء لمن يشاء.

ألكم ياكفار قريش ملك السموات والأرض ومابينهما؟! إن زعمتم ذلكم فها هي ذي من فوقكم، فلتصعدوا في المعارج والمناهج ولتأتوا بالوحي فتختصوا به من تشاءون!! إنكم ياكفار مكة أعجز من ذلك وأحقر!!

لاتكترث يامحمد بهؤلاء المتكبرين المعاندين، فهم جند حقير من الأحزاب التي تكبرت على الرسل من قبلك، وقد قهر الله أولئك وأهلكهم، وعما قريب يكون هؤلاء من المهلكين.

وقد أفاد استفهام (**أأنزل عليه الذكر من بيننا**) أفاد الإنكار والتعجب: أفاد الإنكار بمعنى النفي أى لم ينزل عليه القرآن من بيننا، فادعاؤه هذا كذب وافتراء.

وأفاد التعجب بمعنى كيف ينزل عليه القرآن وهو بشر مثلنا وواحد منّا وفينا من هو أفضل منه وأحق؟!

٣٦ ـــ تواصى

أمـا الفعل السادس والثلاثون من الأفعال الماضية التي دخلت عليها همزة الاستـفـهـام فـي القرآن الكريم فهو (تواصى) وقد ورد ذلك في موضع واحد في قوله تعالى:

كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٌ ۝٥٢ أَتَوَاصَوۡاْ بِهِۦۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٞ طَاغُونَ ۝٥٣

الآيتان: (٥٢ ـــ ٥٣) من سورة الذاريات

تتضمن هاتان الآيتان الكريمتان:

لا تـأس يـامحمد على تكذيب قومك إياك وقولهم لك أنت ساحر أو قولهم مجنـون، فـا كـنـت فـي هذا بدعا من الرسل، فما من قوم قبل قومك جاءهم رسول إلا كذبوه وقالوا هو ساحر أو مجنون.

ومما يـثير الـعـجب أن تتوارد نفوس الكفار من أولئك الأقوام وتتفق على هـذا الـقـول كـأنمـاهم قد تواطئوا عليه وأوصى بعضهم بعضا بأن لايقول كل قوم لرسولهم إلا هذا القول.

إنهـم لم يـتـواصـوا بهذا القول، لأنهم لم يكونوا في زمان واحد، ولم يعيشوا في مكان واحد، فلم تتهيأ الفرصة لهذا التواصى.

وإنمـا الذي جمعهم على هذا القول كأنماهم قد تواصوا به هو اتفاقهم على العلة التي دفعتهم إليه، فقد كانوا جميعا طغاة مستعلين في الأرض متكبرين.

وقـد أفـاد هـذا الاسـتـفـهـام: **(أتواصوا بـه)** أفـاد الـتعجيب والإنكار والتوبيخ.

أفاد التعجيب على معنى كيف اتفقوا على قول واحد للرسل الذين أرسلوا إليهم كأنهم قد تواصوا به وقال بعضهم لبعض لا تقولوا للرسل إلا هذا، مع أنهم لم يكونوا في زمان واحد ولامكان واحد؟!

وأفاد الإنكار على معنى لم يكن اتفاقهم على ذلك القول عن تواص، وإنما كان لعلة جامعة بينهم هي الطغيان والتكبر والعناد والإفساد.

وأفاد توبيخ أولئك الأقوام على أن يكون موقفهم من رسلهم التكذيب ووصفهم إياهم بالسحر أو الجنون.

همزة التسوية والأفعال التي دخلت عليها

وقد بقي أفعال ماضية دخلت عليها همزة الاستفهام في القرآن الكريم غير التي تقدمت هي: أنذر، دعا، جزع، وعظ، استغفر.

وقد أفادت الهمزة الداخلة على هذه الأفعال معنى واحدا هو معنى التسوية، وجاءت فيها على أسلوب خاص التزم فيه أن يتقدم على الهمزة كلمة (سواء) وأن يتأخر عنها (أم) المعادلة لها، وأن يلي الهمزة أحد المعادلين، وأن يلي (أم) المعادل الآخر، كما في قوله تعالى: **(سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم)**.

وهأنذا مورد هذه الأفعال مرتبة بحسب ورودها في القرآن الكريم:

الفعل الأول وهو (أنذر) ورد في موضعين:

الموضع الأول في قوله تعالى: **(إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لايؤمنون(٦) ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم(٧).** الآيتان (٦ ـ ٧) من سورة البقرة.

تتضمن هاتان الآيتان الكريمتان تيئيس الرسول صلى الله عليه وسلم من إيمان جماعة معينة كفرت بالله وبالرسول وبما جاء به الرسول عن رب العالمين، فقد أخبره الله عزّ وجلّ أن لافائدة من إنذارهم وتخويفهم العذاب، فالإنذار وعدمه عندهم سواء.

لقد علم الله تعالى أنهم لن يؤمنوا فختم على قلوبهم فلاينفذ إليها نور الإيمان، وختم على آذانهم فلاتصغى إلى دعوة الحق ولا تسمع، وجعل على أعينهم غشاوة فلا تبصر سبيل الهدى.

لقد أعدّ الله لهؤلاء الذين كفروا عذابا عظيما.

وقد جاءت الهمزة الداخلة على (أنذرتهم) في قوله تعالى (**سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم**) جاءت على صورة الاستفهام ولكنها لاتدل على استفهام وإنما تدل على التسوية، والتسوية معنى من معانى همزة الاستفهام البلاغية، وممن نص على ذلك ابن هشام في كتابه مغنى اللبيب حيث قال في أثناء حديثه عن الهمزة: «قد تخرج الهمزة عن الاستفهام الحقيقى فترد لثمانية معان أحدها التسوية» اهـ.

ثم ذكر بقية المعانى الثمانية ومنها الإنكار والتقرير والتهكم.

و(سواء) اسم بمعنى الاستواء فهو اسم مصدر، ويوصف به ويخبر به على أنه بمعنى مستو، وقد وقع هنا خبرا لإن، و(عليهم) جار ومجرور يتعلقان بسواء، والهمزة الأولى في (أأنذرتهم) همزة استفهام تدل على التسوية ولا يراد بها الاستفهام، وكل من هذين الفعلين في (**أأنذرتهم أم لم تنذرهم**) مؤول بمصدر، وهذا المصدر في محل رفع فاعل لسواء، والتقدير: إن الذين كفروا سواء عليهم إنذارك وعدم إنذارك.

ويجوز في (سواء) أن تكون خبرا مقدما، والمصدران المؤولان من (**أأنذرتهم أم لم تنذرهم**) مبتدأ مؤخر، والجملة من الخبر المقدم والمبتدأ المؤخر في محل رفع خبر لإن، والتقدير: إن الذين كفروا إنذارك وعدم إنذارك سواء عليهم.

وجملة (لايؤمنون) يجوز أن تكون خبرا ثانيا لإن، ويجوز أن تكون مستأنفة مؤكدة لمضمون ماقبلها ومفسرة له.

و(أم) فى (أأنذرتهم أم لم تنذرهم) عاطفة، عطفت الجملة التي بعدها على الجملة التي قبلها، وتسمى متصلة، لأن ماقبلها ومابعدها متصلان، لايستغنى بأحدهما عن الآخر، وتسمى معادلة، لأنها عادلت همزة الاستفهام حين يستفهم بها عن تعيين أحد شيئين أو اكثر، وعادلت همزة التسوية حين تستعمل الهمزة للتسوية بين شيئين أو اكثر، فالهمزة وأم في هذين الاستعمالين لاتنفك إحداهما عن الأخرى.

الموضع الثانى

الموضع الثانى لهمزة الاستفهام الدالة على التسوية والداخلة على الفعل الماضى (أنذر) ورد في قوله تعالى:

يسٓ ﴿١﴾ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣﴾ عَلَىٰ
صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤﴾ تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٥﴾ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ
أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ ﴿٦﴾ لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ
فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٧﴾ إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا فَهِىَ إِلَى
ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا
وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٩﴾ وَسَوَآءٌ
عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ إِنَّمَا تُنذِرُ
مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ
وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴿١١﴾

الآيات: (١ ــ ١١) من سورة يسن

تتضمن هذه الآيات الكريمة :

أن الله سبحانه وتعالى يقسم بالقرآن المحكم الذي لايأتيه الباطل من بين يديه ولامن خلفه إن محمدا لمن المرسلين من رب العالمين، وإنه لرسول الله على رغم تكذيب المشركين، وإن الإسلام الذي يدعو إليه هو الدين الحق والصراط المستقيم الذي ينتهي بمتبعيه إلى الخير في الدنيا وإلى الخير في الآخرة، وإن هذا القرآن لمنزل على محمد من عند الله العزيز الغالب في انتقامه ممن أشرك به وكفر، الرحيم الرؤوف بمن تاب إليه واتبع هداه.

ولقد نزلنا عليك هذا القرآن يامحمد لتنذر في أول بعثتك قومك الذين لم ينذر آباؤهم من قبل فهم جميعا لأجل هذا سادرون في الغفلة غارقون في الضلال.

ولن ينتفع بهذا الإنذار إلا قليل من الناس، أما أكثر الناس فقد علم الله أنهم لايؤمنون، فكتب عليهم العذاب في نار جهنم.

إن الذين أعرضوا عن الإيمان ولم يتدبروا القرآن واستكبروا عما دعاهم إليه الرسول سيجعل الله يوم القيامة في أعناقهم أغلالا عريضة تبلغ الأذقان فهم مقمحون رافعون رؤوسهم غاضون من أبصارهم لايستطيعون أن يلتفتوا يمنة ويسرة ولا أن يروا الطريق من تحت الأقدام.

إن هؤلاء الذين أعرضوا عن الإيمان قد جعل الله بين أيديهم سدًا ومن خلفهم سدًّا فلا يستطيعون مضيا ولايرجعون، لقد أعمى الله أبصارهم عن الهدى وسد عليهم طريق الرشد فهم لايؤمنون.

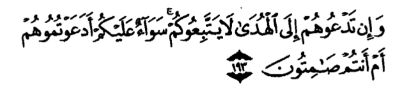
هؤلاء الذين قد علم الله أنهم لايؤمنون فكتب عليهم العذاب سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم، إنهم لن يجدى فيهم إنذار ولن تفلح فيهم دعوة، فأعرض عنهم، وأنذر أولئك الذين يتبعون القرآن ويتدبرون آياته ويعملون بما جاء فيه، ويخشون الله سرا وعلانية، فبشر أولئك بمغفرة عظيمة وأجر كريم.

هذا، وهمزة الاستفهام و(أم) في قوله تعالى (**سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم**) قد جردتا من معنى الاستفهام واستعملتا للدلالة على التسوية من باب المجاز المرسل (١) كبقية المعاني البلاغية التي تخرج إليها همزة الاستفهام.

و(سواء) خبر مقدم و(عليهم) جار ومجرور يتعلقان ب (سواء) والمصدران المؤولان من الفعل الواقع بعد همزة الاستفهام والفعل الواقع بعد (أم) في محل رفع مبتدأ مؤخر، والتقدير: إنذارك وعدم إنذارك سواء عليهم.

(١) واجع حاشية الدسوقي على مغني اللبيب لابن هشام جـ١، ص ١٤.

أما الفعل الثاني من الأفعال الماضية التي دخلت عليها همزة الاستفهام الدالة على التسوية فقد ورد في قوله تعالى:



الآية (١٩٣) من سورة الأعراف.

تتضمن هذه الآية الكريمة:

وإن تدعوا أيها المشركون أصنامكم التي تعبدونها من دون الله، إن تدعوهم إلى أن يهدوكم سبيل الهدى والرشاد لايتبعوكم على ماتريدون، ولايستجيبوا إلى ماتدعون، فهم جمادات لا تسمع ولا تعقل، فدعاؤكم إياهم وصمتكم عن هذا الدعاء سواء. ومن جهالتكم وسفاهتكم وسقم تفكيركم أنكم تعبدونها وحالها هذه الحال!!

والهمزة في (أدعوتموهم أم أنتم صامتون) تدل على معنى التسوية من باب المجاز المرسل، ولا تدل على استفهام حقيقي.

و(سواء) اسم مصدر بمعنى الاستواء، و يعامل معاملة المصادر فلايثنى ولايجمع ولايؤنث، وقد جاء خبرا عن الجمع في قوله تعالى: (فهم فيه سواء).

وجاء وصفا للمؤنث في قوله تعالى: **(قل ياأهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم).**

وسواء في **(سواء عليهم أدعوتموهم أم أنتم صامتون)** خبر مقدم، و(عليهم) جار ومجرور يتعلقان بسواء، والمصدر المؤول من الجملة الفعلية الواقعة بعد همزة التسوية، والمصدر المؤول من الجملة الاسمية الواقعة بعد (أم) في محل رفع مبتدأ مؤخر، والتقدير: دعاؤكم إياهم وصمتكم عن هذا الدعاء سواء.

وقد جاء المعطوف ب (أم) في **(سواء عليهم أدعوتموهم أم أنتم صامتون)**، جاء جملة اسمية ولم يجيء جملة فعلية كما جاء في الموضعين السابقين.

و يقول المفسرون جاء جملة اسمية تفننا في التعبير، ورعاية للمجانسة بين أواخر الآيات، وأواخر الآيات التي قبلها: يشركون، يخلقون ينصرون، وجاء هنا صامتون.

وهذه المجانسة منزهة عن التكلف، أكسبت الأسلوب عذوبة في اللسان، ووقعا جميلا في الآذان.

وزيادة على ماتقدم فجملة (أدعوتموهم) الواقعة بعد همزة التسوية جملة فعلية تفيد الحدوث والتجدد، والمقام يقتضى أن يكون المعادل بعد أم مفيدا الثبوت واللزوم، فجاءت الجملة الاسمية التي تفي بهذا الغرض، وعلى هذا يكون المعنى: سواء عليهم أدعوتموهم دعوة متجددة أم لازمتم الصمت.

أما الفعل الثالث من الأفعال الماضية التي دخلت عليها همزة الاستفهام الدالة على معنى التسوية فقد ورد في قوله تعالى: **(وبرزوا لله جميعا فقال الضعفاء للذين استكبروا إنا كنا لكم تبعا فهل أنتم مغنون عنا من عذاب الله من شيء قالوا لوهدانا الله لهديناكم سواء علينا أجزعنا أم صبرنا مالنا من محيص)** الآية (٢١) من سورة إبراهيم.

تتضمن هذه الآية الكريمة أن الذين يحاسبون يوم القيامة يعرضون جميعا أمام الله عزّ وجلّ، وفي أثناء هذا العرض يقول الأتباع الضعفاء لرؤسائهم وأشرافهم، يقولون لهم متهكمين مقرعين: أنتم يامن كنتم فينا في الدنيا أشرافا ولنا رؤساء، هل أنتم مغنون عنا شيئا من عذاب الله الذي ترونه ونراه؟!!

فيعتذر الرؤساء والأشراف في حسرة وندم ويقولون: لو وفقنا الله إلى الإيمان به في الدنيا واتباع الرسل لاهتدينا وهديناكم، ولكننا ضللنا طريق الهدى وأضللناكم، فليس لنا ولكم اليوم من عذاب الله نجاة ولامحيص، سواء أجزعنا من هذا العذاب أم صبرنا عليه.

وهمزة (أجزعنا) في (سواء علينا أجزعنا أم صبرنا) تفيد معنى التسوية، ولا تفيد معنى الاستفهام وإن جاءت على صورة الاستفهام، وهكذا هي في مثل هذا الأسلوب، وقد مضى الحديث في الفعل الأول عن المسوغ لاستعمال همزة الاستفهام في معنى التسوية.

و(سواء) خبر مقدم، و(علينا) جار ومجرور يتعلقان بسواء، والمصدر المؤول من (جزعنا) والمصدر المؤول من (صبرنا) في محل رفع مبتدأ، والتقدير: جزعنا وصبرنا سواء علينا.

الفعل الرابع

أما الفعل الرابع من الأفعال الماضية التي دخلت عليها همزة الاستفهام الدالة على معنى التسوية فقد ورد في قوله تعالى:

كَذَّبَتْ
عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ إِنِّي لَكُمْ
رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٢٦﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ
مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢٧﴾ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ
ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾
وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٣١﴾
وَٱتَّقُوا۟ ٱلَّذِيٓ أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُم بِأَنْعَٰمٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾
وَجَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٣٤﴾ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ
﴿١٣٥﴾ قَالُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ ٱلْوَٰعِظِينَ ﴿١٣٦﴾
إِنْ هَٰذَآ إِلَّا خُلُقُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣٧﴾ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿١٣٨﴾ فَكَذَّبُوهُ
فَأَهْلَكْنَٰهُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ وَإِنَّ
رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٤٠﴾

الآيات : (١٢٣ ـ ١٤٠) من سورة الشعراء

تتضمن هذه الآيات الكريمة :

أن قبيلة عاد كذبت رسولها هودا حين قال لهم إنى رسول الله إليكم، وإنى لصادق أمين في دعوى هذه الرسالة، وإن عقاب الله سيحل بكم إن استمررتم على هذا الشرك وعبادة الأصنام.

وقد قال لهم هود : إني لا أبغي أجرا على هذه الرسالة، ولا أريد مالا، ولا أن تجعلوني عليكم أميرا، أو أن تعطوني عرضا من أعراض هذه الدنيا الفانية، فأجري عند الله يوم يبعث الناس من قبورهم ويحاسبون على أعمالهم، وقد أنكر هود على قومه ثلاثة أشياء كانت فيهم ووبخهم عليها: أنكر على قومه أن يقيموا على مرتفعات الأرض أبنية عالية يباهون بها ويفخرون، ويعبثون فيها ويلعبون.

وأنكر عليهم أن يشيدوا القصور الضخمة المحكمة التي تعمر طويلا، فعل من هو خالد وماهم بخالدين.

وأنكر عليهم أن يبطشوا بمن يبطشون به قساة ظالمين.

ثم نصح لهم أن يتقوا الله وعذابه من جراء عبادتهم الأصنام وإنكارهم اليوم الآخر، وتكذيبهم الرسل، وإعراضهم عن أن يشكروا الله على ما أنعم عليهم من أنعام وبنين وجنات وعيون.

ضاق قوم هود بهود، ضاقوا بدعوته إياهم إلى الإيمان بالله واليوم الآخر ونبذ عبادة الأصنام، ضاقوا بما كان يأمرهم به وينهاهم عنه، وبما كان يذكرهم به من نعم الله، وبما كان يخوفهم به من عذاب الله.

قالوا في عناد وتكبر واستخفاف وعدم مبالاة: لن نرعوى عما نحن فيه وسواء علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين، فلن نتبع إلا ماكان عليه آباؤنا الأولون، ولابعث ولاحساب ولاعقاب.

فأهلكهم الله جزاء كفرهم بريح صرصر عاتيه لم تبق منهم باقية، إن في ذلك لعبرة لأولى الأبصار.

ونجّى الله هودا ومن كان معه من المؤمنين، وماكان أكثر قومه مؤمنين، وإن ربك لهو العزيز الغالب في انتقامه من الكافرين، الرحيم لمن تاب وآمن وعمل صالحا وقال إنني من المسلمين.

وتفيد همزة (**أوعظت**) في (**سواء علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين**) تفيد معنى التسوية على معنى: وعظك إيانا ياهود وعدم وعظك يستويان عندنا، فلا جدوى من هذا الوعظ.

وتفيد هذه التسوية تقنيط هود مما يطلبه من قومه وهو أن يعبدوا الله وحده و ينبذوا عبادة الأصنام.

وتفيد أيضا الاستخفاف وعدم المبالاة بما خوفهم به من العذاب.

الفعل الخامس

أما الفعل الخامس من الأفعال التي دخلت عليها همزة الاستفهام الدالة على معنى التسوية فقد ورد في قوله تعالى:

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٥﴾ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٦﴾

الآيتان: (٥ — ٦) من سورة المنافقون

تتضمن الآية الأولى من هاتين الآيتين الكريمتين حالا من أحوال جماعة من المنافقين زمن الرسول صلى الله عليه وسلم، ذلك أنهم كانوا إذا قيل لهم توبوا من هذا النفاق الذي أنتم فيه وأخلصوا الإيمان، واسألوا الرسول أن يستغفر لكم الله مافرط منكم — أبوا أن يتوبوا وأن يستغفر لهم الرسول، ولوّوا رؤوسهم مستهزئين وأعرضوا مستكبرين.

وتتضمن الآية الثانية تقنيط الرسول صلى الله عليه وسلم من جدوى الاستغفار لأولئك المنافقين، لأن الله قد غضب عليهم لإصرارهم على النفاق واستخفافهم باستغفار الرسول، فلن يغفر الله لهم، إن الله لايوفق للإيمان الكاذبين عليه الخارجين عن طاعته.

هذا، وهمزة (أستغفرت) في (سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم) تدل على معنى التسوية وإن جاءت على صورة الاستفهام، والمعنى: استغفارك لهم وعدم استغفارك يستويان عندهم.

وهذه التسوية تفيد تقنيط الرسول صلى الله عليه وسلم من جدوى هذا الاستغفار لأن الله قد غضب عليهم ولن يغفر لهم لإصرارهم على النفاق وإعراضهم عن التوبة. وتدل هذه التسوية أيضا على استخفافهم باستغفار الرسول صلى الله عليه وسلم لهم وعدم مبالاتهم بهذا الاستغفار.

تنبيــه

ومما ينبغي التنبيه عليه هنا مايلي :

١ ـ أن كلمة (سواء) إذا جاء بعدها همزة التسوية فلابد أن يصاحبها «أم» العاطفة المتصلة المعادلة كما مرّ في الآيات الست السابقة التي وردت فيها همزة التسوية، ولايجوز أن تحل «أو» أو الواو محل «أم».

٢ ـ أن كلمة (سواء) إذا لم تذكر بعدها همزة التسوية وجاء بعدها فعلان متعاطفان كقول الصحاح: «سواء عليّ قمت أو قعدت» جاز استعمال «أو» العاطفة كقول الصحاح السابق، وجاز استعمال «أم» العاطفة فتقول: سواء عليّ قمت أم قعدت.

ولكن ابن هشام في كتابه المغنى خطّأ استعمال «أو» في قول الصحاح السابق، وأوجب استعمال «أم» على تقدير همزة التسوية، وقال إن ماجاء في الصحاح سهو. والعلماء الذين يجوزون استعمال «أو» في مثل قول الصحاح السابق يجعلون الكلام على تقدير الشرط وأن (سواء) خبر لمبتدأ محذوف، والتقدير عندهم: إن قمت أو قعدت فالأمران عليّ سواء.

وهذا تقدير متكلف لايخلو من تعسف.

٣ ـ وإن جاء بعد كلمة (سواء) اسمان متعاطفان ليسا مسبوقين بهمزة التسوية لزم العطف بالواو كما في:

سواء علينا ياجميل بن معمر، ـــ إذا متّ ـــ بأساء الحياة ولينها.

٤ ـــ هذا الذي ذكرته في هذا التنبيه أخذته من حاشية الدسوقى على المغنى لابن هشام جـ١ ص١٤ وص٤٤، ومن حاشية الصبان على الأشمونى جـ٣ ص٩٩، ومن شرح الرضى على الكافية جـ٢ ص٣٧٥ ومن تفسير الألوسى جـ١ ص١٢٩.

الفصل الثانى

الهمزة الداخلة على أدوات الشرط في القرآن الكريم

١ ـــ الهمزة الداخلة على «إنْ» الشرطية :

أما همزة الاستفهام الداخلة على «إن» الشرطية في القرآن الكريم فقد وردت في ثلاثة مواضع :

الموضع الأول في قوله تعالى:

وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾

الآية (١٤٤) من سوة آل عمران.

تتضمن هذه الآية الكريمة أن محمدا صلى الله عليه وسلم ماهو إلا رسول كغيره من الرسل الذين أرسلهم الله عز وجل إلى خلقه دعاة إليه وإلى طاعته ثم ماتوا وقبضهم الله إليه حين أنقضت آجالهم، وبقي أتباعهم من

بعدهم يلتزمون مادعوا إليه، ومحمد مثله مثل أولئك الرسل جاء مبلغا عن الله تعالى داعيا إليه وإلى طاعته، وسوف يموت ويقبضه الله إليه حين ينتهي أجله، وعلى أتباعه أن يلتزموا مادعا إليه، ومما دعا إليه الجهاد في سبيل الله تعالى، والصبر على طاعته، فلاينبغي لأولئك الذين آمنوا به وبصدق مادعاهم إليه، لاينبغي لهم أن يصيبهم الفزع والهلع فينكصوا على أعقابهم فرارا من المعركة حين قيل في معركة أحد إن محمدا قتل.

والله سبحانه وتعالى لاتنفعه طاعة من أطاع، ولاتضره معصية من عصى، فالله جلّ وعلا غني عن العالمين، فمن عمل صالحا فلنفسه، ومن أساء فعليها، وسيجزى الله الشاكرين الذين شكروا الله على أن أنعم عليهم بالإسلام، فجاهدوا في سبيله، وصبروا على طاعته، وصدقوا في الدفاع عن دينه، فثبتوا حتى انتهت المعركة أو استشهدوا فيها.

والشاكرون لفظ عام يندرج فيه كل شاكر فعلا وقولا وإن فسر هنا بالمجاهدين الثابتين في معركة أحد.

وقد أفاد هذا الاستفهام : **(أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم)** أفاد العتب والإنكار: فقد عتب الله سبحانه وتعالى على نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يصيبهم الفزع والهلع وأن يفروا من المعركة حين قيل لهم في معركة أحد إن محمدا قتل، عتب الله عليهم ذلك وأنكره على معنى ماكان ينبغي لهم أن يفعلوا مافعلوا، كان يجب عليهم أن يثبتوا في المعركة وأن يدافعوا عن هذا الدين الذي آمنوا به وبرسوله، سواء أكان الرسول حيا أم ميتا، فشريعة الله لاتموت بموت الرسول الذي بلغها عن ربه ودعا الناس إليها، فهي باقية إلى يوم القيامة يدافع عنها أتباعها الذين يؤمنون بها صادقين، ويجاهدون في سبيلها حتى النصر أو الشهادة.

وإعراب هذا الاستفهام : **(أفان مات أو قتل انقلبتم على اعقابكم)** : الفاء عاطفة، عطفت الجملة الشرطية التي بعدها على الجملة الخبرية التي قبل الهمزة، و(مات) فعل الشرط فهو محل جزم، و(انقلب) جواب الشرط فهو في محل جزم أيضا، والجار والمجرور **(على أعقابكم)** في محل نصب حال من فاعل (انقلبتم)، والتقدير: انقلبتم راجعين.

وهذا الذي تقدم من أن همزة الاستفهام قد دخلت على «إن» الشرطية وقد استوفت شرطها وجزاءها هو مذهب سيبويه.

وذهب يونس إلى أن فعل (أنقلبتم) ليس جواب الشرط، وإنما هو الفعل المستفهم عنه، فهو مدخول الهمزة فينوى به التقديم، وتقدير الكلام عند يونس: أتنقلبون إن مات أو قتل، وجواب الشرط عنده محذوف دل عليه مدخول الهمزة المتأخر لفظا المتقدم تقديرا، وعلى مذهبه تكون «إنْ» مع شرطها معترضة بين الهمزة ومدخولها، وبرأي يونس أخذ كثير من المفسرين في هذه الآية.

ولكن أبا البقاء العكبري ذكر في كتابه «إملاء ما منّ به الرحمن» عند إعرابه هذه الآية أن مذهب سيبويه هو الحق لوجهين:

«أحدهما: أنك لو قدمت الجواب لم يكن للفاء وجه، إذ لايصح أن تقول أتزورني فإن زرتك، ومنه قوله تعالى: **(أفإن مت فهم الخالدون)**.

الثاني: أن الهمزة لها صدر الكلام، و«إنْ» لها صدر الكلام، وقد وقعا في موضعها، والمعنى يتم بدخول الهمزة على جملة الشرط والجواب لأنها كالشيء الواحد» اهـ.

وبناء على رأي سيبويه ومن ذهب مذهبه يكون مصب الاستفهام ومورده هو جملة الشرط والجواب معا، وعلى رأي يونس يكون مصب الاستفهام ومورده هو جواب الشرط وإن لم يسمه يونس جوابا.

هذا، وسوف يكون بيان معنى الهمزة الداخلة على «إنْ» الشرطية فيا يأتي مبنيا على أن مصب الاستفهام ومورده هو جواب الشرط مقيدا بفعل الشرط كما فعلت في هذا الموضع، وأن جواب الشرط هو أيضا موضع ماأفاده الاستفهام من معان.

الموضع الثاني لهمزة الاستفهام الداخلة على «إنْ» الشرطية ورد في قوله تعالى:

﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ۝٣٤﴾

الآية (٣٤) من سورة الأنبياء.

تتضمن هذه الآية الكريمة أن الله سبحانه وتعالى قال لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: لم نخلد أحدا من بني آدم قبلك يامحمد فنخلدك أنت، فلابدّ من أن تموت كما مات من كان قبلك، ولن يخلّد الله أحدا في هذه الدنيا، فكل نفس ذائقة الموت، وهؤلاء المشركون الذين يتمنون موتك ليشمتوا به هم ميتون على كل حال، فلا شماتة في الإماتة.

وهذا الاستفهام: (**أفإن مت فهم الخالدون**) يفيد الإنكار والاحتقار:

يفيد الإنكار بمعنى النفي وعلى معنى لن يخلد الله تعالى هؤلاء المشركين في الحياة الدنيا، فكل نفس ذائقة الموت.

ويفيد الاحتقار على معنى إذا كنت أنت يامحمد على علوّ منزلتك وعظيم قدرك عند الله تعالى سوف تموت، أفيخلد الله تعالى هؤلاء المشركين وليس لهم من الفضل مايزن مثقال ذرة!!

وإعراب هذا الاستفهام: (**أفإن متّ فهم الخالدون**): الفاء عاطفة، عطفت الجملة الشرطية التي بعدها على الجملة الخبرية التي قبلها، و(متّ) مؤلفة من مات وهو فعل الشرط في محل جزم ب «إنْ» ومن التاء ضمير المخاطب المبني على الفتح في محل رفع على الفاعلية، وجملة (فهم الخالدون) في محل جزم جواب الشرط. وجواب الشرط هذا (فهم الخالدون) هو مورد الاستفهام ومصبه ومتعلقه، وهو أيضا موضع مأأفاده هذا الاستفهام من معان.

وقد قرىء فعل الشرط السابق (مُتّ) بضم الميم وكسرها: فعلى قراءة الضم يكون الفعل على لغة مات يموت مثل صام يصوم وقام يقوم، وأصله: موت يموت (بفتح الواو في الماضي وضمها في المضارع) من باب نصَر ينصُر، وحين أسند الفعل الماضي (مات) على هذه اللغة إلى ضمير الرفع المتحرك سكن آخره وحذفت الألف لالتقاء الساكنين، وضمت الميم للدلالة على أن الألف المحذوفة من هذا الفعل الماضي منقلبة عن واو.

وعلى قراءة كسر الميم (مِتّ) يكون الفعل على لغة مات يمات مثل خاف يخاف ونام ينام، والأصل: موت يموت (بكسر الواو في الماضي وفتحها في المضارع) من باب علم يعلم، وحين أسند هذا الفعل الماضي على هذه اللغة إلى ضمير الرفع المتحرك سكن آخره وحذفت الألف لالتقاء الساكنين وكسرت الميم للدلالة على أن حركة الحرف الأصلي الذي انقلبت عنه الألف في الماضي كانت كسرة.

الموضع الثالث لهمزة الاستفهام الداخلة على «إنْ» الشرطية في القرآن الكريم ورد في قوله تعالى:

وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَٰبَ ٱلْقَرْيَةِ إِذْ جَآءَهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾
إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوٓا۟ إِنَّآ
إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُوا۟ مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَآ أَنزَلَ
ٱلرَّحْمَٰنُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُوا۟ رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّآ
إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَيْنَآ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٧﴾
قَالُوٓا۟ إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا۟ لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم
مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨﴾ قَالُوا۟ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ أَئِن ذُكِّرْتُم
بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿١٩﴾

الآيات : (١٣ ـــ ١٩) من سورة يسن

تتضمن هذه الآيات الكريمة حوارا بين رسل أرسلهم الله تبارك وتعالى إلى أهل قرية لم يسمّها كانوا يعبدون غيره وبين أهل تلك القرية، وفي آخر هذا الحوار قال أهلها لأولئك الرسل: لقد كنتم شؤما علينا، ولئن لم تنتهوا عما تدعوننا إليه لنرجمنّكم بالحجارة وليصيبنّكم منا عذاب أليم، فقال لهم الرسل شؤمكم معكم وفيكم، فهذا الضلال الذي أنتم فيه هو شؤمكم، أإن دعوناكم إلى الهدى ونهيناكم عن الضلال وبيّنّا لكم فساد ماأنتم عليه، تشاءمتم بنا وتوعدتم وتهددتم؟! بل أنتم قوم مسرفون في الضلالة ممعنون في الغي.

و(ذكّر) في (أإن ذكرتم) هو شرط (إنْ) أما جواب (إنْ) فمحذوف دل عليه الكلام السابق، والتقدير: أإن ذكرتم تطيرتم وتوعدتم بالرجم والتعذيب.

وهذا الجواب المقدر المحذوف هو مصب الاستفهام ومورده ومناطه. وهو أيضا موضع ماأفاده هذا الاستفهام من معان:

وقد أفاد استفهام: (أإن ذكرتم) أفاد الإنكار والتعجب والتوبيخ: أفاد الإنكار بمعنى ماكان ينبغى لكم أيها المشركون أن تتشاءموا بنا وأن تطيروا وأن تجعلوا من دعوتنا إياكم إلى عبادة الله وحده، ونهينا إياكم عن عبادة الأصنام التي لا تضر ولا تنفع، لاينبغى أن تجعلوا من ذلكم طيرة وشؤما وتهديدا برجمنا بالحجارة ووعيدا بتعذيبا العذاب الأليم، كان ينبغى بدلا من ذلكم أن تفرحوا بقدومنا، وأن تستجيبوا إلى مادعوناكم إليه، وأن تشكروا الله تعالى أن هداكم للإيمان.

وأفاد هذا الاستفهام أيضا التعجب من أن يتشاءم هؤلاء المشركون وأن يطّيّروا برسل الهدى والدعوة إلى الإيمان بالله، وإلى نبذ الشرك والشر والفساد، التعجب من تهديدهم رسل الله برجمهم بالحجارة، ووعيدهم إياهم بالعذاب الأليم إن لم يكفوا عن تبليغهم رسالة الهدى والخير والإصلاح.

وأفاد هذا الاستفهام أيضا توبيخ هؤلاء المشركين على مقابلتهم الخير بالشر، ومحاربتهم الإيمان بالفسوق والعصيان، وتشاؤمهم بالرسل وتطيرهم بما هو يمن وخير وإحسان.

٢ ـ همزة الاستفهام الداخلة على (إذا) الشرطية :

أما همزة الاستفهام الداخلة على (إذا) الشرطية في القرآن الكريم فقد وردت في ثلاثة عشر موضعا :

الموضع الأول

في قوله تعالى :

وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ
﴿٤٨﴾ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ لِكُلِّ أُمَّةٍ
أَجَلٌ ۚ إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٤٩﴾
قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُهُۥ بَيَٰتًا أَوْ نَهَارًا مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ
ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٥٠﴾ أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنتُم بِهِۦٓ ۚ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ كُنتُم بِهِۦ
تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ
هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٥٢﴾

الآيات : (٤٨ ـ ٥٢) من سورة يونس

تتضمن هذه الآيات الكريمة أن المشركين من قريش كانوا يقولون للرسول صلى الله عليه وسلم متى هذا الوعد وعد العذاب التي تعدنا به؟! إن كنت صادقا أنت وأتباعك فيما تعدوننا به من العذاب فليأت على عجل.

كانوا يقولون ذلك انكارا واستخفافا وسخرية.

وتتضمن هذه الآيات أيضا أن الله سبحانه وتعالى قد أمر رسوله صلى الله عليه وسلم أن يقول لهم: أنا لا أملك لنفسي ضرا ولانفعا إلا ماشاء الله، والأمر كله بيد الله، وقد جعل الله جلّ وعلا لكل أمة موعدا لايعلمه إلا هو، فإذا حان حينه جاء في وقته المحدّد له دون أن يتأخر أو يتقدم.

أي شيء تستعجلون من عذاب الله إن أتاكم في ليل أو نهار؟! ليس شيء من العذاب يستعجل، فالعذاب كله على اختلاف ألوانه وتعدد ضروبه مرّ المذاق.

ثم أنتم قوم مجرمون فينبغي لكم أن تنفروا من العذاب وأن تفرقوا لمجيئه، فكيف تطلبونه على عجل؟! ياالهول ماتطلبونه!! وياالشقائكم بما تستعجلون!!

وتتضمن أيضا: سوف يقال لهم إذا وقع عذاب الله بهم فآمنوا به على حين لاينفعهم إيمان، سوف يقال لهم توبيخا وتقريعا: آلآن تؤمنون بالعذاب وقد كنتم من قبل هذا تستعجلونه مكذبين مستهزئين؟! فذوقوا ماكنتم به تكذبون.

وإعراب هذا الاستفهام: (أثم إذا ماوقع آمنتم به):

(ثم) حرف عطف كالفاء والواو العاطفتين اللتين تقعان بعد همزة الاستفهام، وقد عطفت «إذا» مع شرطها وجوابها على ماقبل الهمزة.

و(إذا) شرطية غير جازمة في محل نصب على الظرفية، والعامل فيها فعل الشرط بعدها وهو (وقع) وجملة الشرط من وقع وفاعله الضمير المستتر فيه لامحل لها من الإعراب. و(ما) الواقعة بعد إذا زائدة للتوكيد، و(آمن) هو جواب إذا وجملة الجواب (آمنتم به) لا محل لها من الإعراب.

وهذا الذي تقدم من أن العامل في إذا الشرطية هو شرطها لاجوابها هو مذهب المحققين من النحاة على ماذكره ابن هشام في كتابه مغني اللبيب، وقال الرضي في شرح الكافية: «وبه قال الأكثرون».

ولايعترض عليهم بأن (إذا) مضافة إلى شرطها والمضاف إليه لايعمل في المضاف، لأن «إذا» عند هؤلاء غير مضافة.

وهناك رأي لبعض النحاة يقول إن (إذا) مضافة إلى جملة الشرط بعدها، وإن العامل فيها هو جوابها.

هذا، وقد أفاد استفهام (أثم إذا ماوقع آمنتم به) الإنكار والتوبيخ: أفاد الإنكار بمعنى لاينبغى ولايصح ولايليق أن تؤمنوا بالعذاب حين وقوعه بكم، لأن الإيمان في هذه الحالة غير مجد ولا مقبول.

وأفاد توبيخهم على تأخير الإيمان إلى زمن رؤية العذاب واقعا بهم حين لايقبل إيمان.

ومورد الاستفهام ومصبه ومتعلقه هو جواب «إذا» وهو (آمنتم به) مقيدا بشرطها، وهذا الجواب أيضا موضع مادل عليه الاستفهام من إنكار وتوبيخ.

الموضع الثانى

لهمزة الاستفهام الداخلة على (إذا) الشرطية ورد في قوله تعالى:

ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ
عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ
يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ
رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ
وَأَنْهَٰرًا ۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ
ٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾ وَفِى ٱلْأَرْضِ
قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ
وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ
فِى ٱلْأُكُلِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾

﴿ وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَاقِهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٥﴾

الآيات : (٢ ــ ٥) من سورة الرعد

تتضمن هذه الآيات الكريمة أن الله عزّ وجلّ قد أبدع خلائق عظيمة: فسموات مرفوعة بغير عمد، وشمس وقمر مسخران بأمره، وأرض مدها وجعل فيها رواسي وأنهارا وزوجين اثنين من كل ثمر، ونهار يغشاه ليل، وليل يعقبه نهار، وقطع من الأرض متجاورات فيها جنات من أعناب وزرع ونخيل تسقى بماء واحد، ولكن قدرة الله عزّ وجلّ جعلت بعضها أفضل من بعض مذاقا ومطعما.

لقد كان في هذه الخلائق العظيمة التي أبدعها الله عز وجلّ آيات لمن كان له قلب يفقه ويتدبر، وعقل يذّكر ويفكر، وحسّ سليم يرى ويتذوق ويعتبر.

لقد كان في هذه الخلائق العظيمة دلالات واضحة جلية على أن الذي اخترعها وأبدعها من العدم المحض قادر على أن يعيد الحياة إلى الناس جميعا بعد الممات.

فكان عجيبا كل العجب إنكار أناس أن يكون هناك حياة أخرى، وتكذيبهم بأن يبعثوا بعد موتهم خلقا جديدا، مع أنهم يرون ويحسون هذه الخلائق العظيمة الدالة على أن الله الذي خلقها قادر على كل شيء.

ولكن من يكون أولئك الذين ينكرون البعث بعد موت؟! وماذا كان جزاؤهم عند الله جلّ جلاله؟!

أولئك الذين كفروا بربهم، وأي كفر أشنع من أن يكفر الإنسان بربه الذي هو خالقه ومولاه؟!

أولئك الذين أذلّهم الله فجعل في أعناقهم الأغلال أغلال الهوان والصغار والاحتقار، أولئك أصحاب النار ليس لهم منها مفرّ، هم فيها خالدون لايموتون ولا يخرجون.

وقد جاء هذا الاستفهام : **(أإذا كنا ترابا أأننا لفى خلق جديد)** جاء مفيدا الإنكار (بمعنى النفي) ومفيدا التكذيب والاستبعاد والاستهزاء والتعجب.

لقد أنكر المشركون أن يخلقوا خلقا جديدا بعد الموت، وكذبوا بأن يبعثوا من قبورهم بعد أن يصيروا ترابا في جوف الأرض، لقد استبعدوا ذلك، وسخروا منه، وعجبوا أن يكون.

و(إذا) في استفهام هذا الموضع شرطية غير جازمة، وهي في محل نصب على الظرفية، والعامل فيها شرطها وهو (كان)، وجوابها محذوف دل عليه **(أإنا لفى خلق جديد)** تقديره: أنخلق خلقا جديدا، والهمزة الثانية مؤكدة للهمزة الأولى.

وجواب (إذا) المقدر المحذوف هو مورد الاستفهام ومصبه ومتعلقه مقيدا بشرطها، وهذا الجواب هو أيضا موضع مادل عليه الاستفهام من إنكار وتكذيب واستبعاد وسخرية وتعجب.

الموضع الثالث

لهمزة الاستفهام الداخلة على (إذا) الشرطية ورد في قوله تعالى:

ٱنظُرْ
كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٤٨﴾
وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾

۞ قُلْ كُونُوا۟ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِى
صُدُورِكُمْ ۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا ۖ قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ
فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ ۖ قُلْ عَسَىٰٓ أَن
يَكُونَ قَرِيبًا ﴿٥١﴾

الآيات : (٤٨ ــ ٥١) من سورة الإسراء

تتضمن هذه الآيات الكريمة أن مشركي قريش كانوا يشبهون الرسول صلى الله عليه وسلم تشبيهات كثيرة، و يضربون له الأمثال المختلفة، فتارة يقولون هو شاعر، وتارة يقولون هو مجنون، وتارة يقولون هو مسحور. ولكنهم جميعا بهذه الأمثال التي ضربوها قد جاروا عن قصد السبيل ولم يسلكوا سبيل الهدى والإيمان.

كانوا يقولوا منكرين مستهزئين : أإذا كنا عظاما وترابا أإنا لمبعوثون خلقا جديدا؟! إن هذا لن يكون، ولكن محمدا يدّعيه و يقوله!!

قل لهم يامحمد : لو صارت عظامكم ورفاتكم شيئا آخر أبعد عن الحياة من العظام والتراب، لو صارت حجارة أو حديدا، لو صارت خلقا آخر غيرهما مما يكبر و يعظم في صدوركم وتظنون أنه أبعد عن قبول الحياة، فلابد لكم من البعث مهما صرتم.

سيقول لك هؤلاء المنكرون : من ذا الذي يقدر على إعادة الحياة إلينا؟! قل لهم الذي فطركم وأنشأكم من العدم الصرف هو الذي يعيدها إليكم، فالقادر على الابتداء قادر على الإعادة.

وحين يسمع المشركون قولك هذا سيحركون رءوسهم حركة من يسمع الشيء فينكره و يستبعده و يكذب به و يعجب منه، وسيقولون مستهزئين متى هذا العود والإحياء؟! قل لهم عسى أن يكون قريبا.

وقد أفاد هذا الاستفهام : (**أإذا كنا عظاما ورفاتا أإنا لمبعوثون خلقا جديدا**) أفاد الإنكار (بمعنى النفي) وأفاد التكذيب والاستبعاد والاستهزاء والتعجب :

ينكر هؤلاء المشركون و يكذبون و يستبعدون أن يبعثوا من قبورهم خلقا جديدا إذا ماتوا وصاروا عظاما ورفاتا، ويهزءون بهذا البعث و يعجبون أن يكون.

وكلمة (خلقا) الواردة في هذا الاستفهام يجوز أن تكون مصدرا منصوبا على المفعولية المطلقة والعامل فيه مبعوثون لأنه يلاقيه في المعنى وإن اختلف عنه في اللفظ، ويجوز أن يكون (خلقا) بمعنى مخلوقين فهو منصوب على الحالية.

وجواب (إذا) محذوف دلّ عليه (**أإنا لمبعوثون خلقا جديدا**) وتقديره : أنبعث خلقا جديدا، وهو مورد الاستفهام ومصبه ومتعلقه مقيدا بالشرط، وهو أيضا موضع ماأفاده الاستفهام من معان.

الموضع الرابع

لهمزة الاستفهام الداخلة على (إذا) الشرطية ورد في قوله تعالى:

وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ
مِن دُونِهِۦ ۖ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا
وَصُمًّا ۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾
ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا
وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٩٨﴾ ۞ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ
ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ
وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى ٱلظَّٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴿٩٩﴾

الآيات: (٩٧ ـــ ٩٩) من سورة الإسراء

تتضمن هذه الآيات الكريمة:

من يهده الله تعالى فهو المهتدى، ومن يضلهم الله تعالى فهم الضالون الذين لايجدون من دونه أنصارا يحمونهم من عقابه وعذابه.

وسوف يحشر الله تعالى هؤلاء الضالين على وجوههم إذلالا وهوانا، عُمياً يسيرون على غير هدى ولايرون طريقا ولا غير طريق مما قد يسرّى و يسّر، بُكماً لاينطقون بما ينفعهم أو يكون لهم حجة، صُماً لايسمعون شيئا يخفف عنهم ماهم فيه من خوف وقلق وذهول ورعب وفزع.

ولكن إلى أين يحشرون؟! يحشرون إلى جهنم، فهي مأواهم وهم وقودها، كلما أحرقتهم بدّلوا خلقا جديدا، فازدادت لهيبا وسعيرا، ليذوقوا عذابا أشدّ وحسرة أوجع.

تلك الحال المهينة المشينة التي حشرهم الله عليها، وجهنم هذه التي كانت هي المأوى، وهذا العذاب الدائم الذي يعذبون، ذلك كله كان جزاء كفرهم بآيات الله، وجزاء كفرهم بقدرته عزّ وجل على إحيائهم مرة ثانية بعد أن يصيروا في قبورهم عظاما وترابا، فقد أنكروا قدرة الله تعالى على بعثهم، وعميت قلوبهم فلم تدرك أن الله الذي خلق السموات ومافيها والأرض ومن عليها قادر على أن يعيدهم كما خلقهم أول مرة.

لقد جعل الله تعالى لبعث هؤلاء المنكرين المكذبين أجلا مقدّرا وموعدا محدّدا لاريب فيه ولايعلمه إلا الله، ولكن هؤلاء الظالمين الذين حادوا عن طريق الحق والإيمان أبوا مع ظهور الأدلة وقيام الحجج إلا جحودا لهذا البعث وكفرا بآيات الله.

ولقد أفاد هذا الاستفهام **(أإذا كنا عظاما ورفاتا أإنا لفى خلق جديد)** أفاد الإنكار (بمعنى النفى) وأفاد التكذيب والاستبعاد والسخرية والتعجب:

لقد أنكروا أن يبعثوا بعد موت وكذّبوا به تكذيبا، ولقد استبعدوه ساخرين متعجبين من أن يكون.

وجواب (إذا) محذوف دلّ عليه **(أإنا لفى خلق جديد)**، والتقدير: نخلق خلقا جديدا، وجواب إذا المحذوف المقدر هو مورد الاستفهام ومصبه ومتعلقه مقيدا بشرطها، وهو أيضا موضع ماأفاده الاستفهام من معان.

الموضع الخامس

لهمزة الاستفهام الداخلة على «إذا» الشرطية ورد في قوله تعالى:

وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ
أُخْرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾ أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ
وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا ﴿٦٧﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَٱلشَّيَٰطِينَ ثُمَّ
لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ
شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا ﴿٦٩﴾ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِٱلَّذِينَ
هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ﴿٧٠﴾

الآيات: (٦٦ — ٧٠) من سورة مريم

تتضمن هذه الآيات الكريمة أن المشركين كانوا ينكرون أن يخرجوا من قبورهم أحياء بعد أن يكون عظاما ورفاتا، كانوا يكذبون بهذا و يستبعدونه و يسخرون منه و يعجبون.

ولو كان لدى هؤلاء المنكرين عقل يذّكر وقلب يتدبر لأدركوا أن الله الذي أنشأهم من العدم المحض قادر على أن يعيد خلقهم بعد أن يصيروا في الأرض ترابا.

هؤلاء المنكرون المكذبون قد أقسم الله تعالى ليحشرنهم يوم القيامة مع الشياطين الذين أضلوهم، ثم ليحضرنهم حول جهنم أذلة صاغرين جثيا، ثم لينزعن من كل أمة أيهم كان أشد على الرحمن عصيانا وعتيّا، ثم يدُعُّنَّهم قبل غيرهم في نار جهنم دعًا.

والله سبحانه وتعالى أعلم بالذين هم أولى بنار جهنم قبل غيرهم دخولا وصليّا.

وقد جاء هذا الاستفهام : **(ويقول الإنسان أإذا مامت لسوف أخرج حيا)** جاء مفيدا الإنكار (بمعنى النفي) ومفيدا التكذيب والاستبعاد والسخرية والتعجب، فقد أنكر المشركون أن يخرجوا من قبورهم أحياء بعد أن يموتوا في هذه الدنيا، وكذبوا بهذا الإخراج وسخروا به، ورأوه بعيدا لايمكن وعجيبا أن يكون.

وقد كان إنكارهم بعيدا عن التعقل والتبصر، فالذى خلقهم أول مرة ولم يكونوا شيئا هيّن عليه أن يعيد خلقهم بعد أن يصيروا في الأرض عظاما ورفاتا، فليس في هذه الإعادة مايدعو إلى استبعاد أو يثير شيئا من التعجب لو كانوا يعقلون.

و(إذا) في هذا الاستفهام شرطية، ،(ما) زائدة لتأكيد مضمون الجملة التي بعدها، وجواب (إذا) محذوف تقديره أخرج، وقد دلّ عليه **(لسوف أخرج حيّا)** وهذا الجواب المحذوف المقدر هو مورد الاستفهام ومصبه ومتعلقه مقيدا بالشرط، وهو أيضا موضع ماأفاده الاستفهام من معان.

الموضع السادس

لهمزة الاستفهام الداخلة على «إذا» الشرطية ورد في قوله تعالى:

وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ
وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ
وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٩﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخْتِلَـٰفُ
ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٨٠﴾ بَلْ قَالُوا۟ مِثْلَ مَا قَالَ
ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٨١﴾ قَالُوٓا۟ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَـٰمًا أَءِنَّا
لَمَبْعُوثُونَ ﴿٨٢﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا هَـٰذَا مِن قَبْلُ إِنْ هَـٰذَآ
إِلَّآ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨٣﴾ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن
كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ

﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ
﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ
مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن
كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾

الآيات : (٧٨ ــ ٨٩) من سورة المؤمنون

تتضمن هذه الآيات الكريمة أن الله سبحانه وتعالى قد خلق لكم أيها الناس السمع الذي به تسمعون، والأبصار التي بها تبصرون، والأفئدة التي بها تفقهون، وهذه من أعظم النعم التي أنعم الله بها عليكم، فكان ينبغي لكم أن تشكروا الله على هذه النعم العظيمة، ومن الشكر أن تنتفعوا بها فيما خلقت له، ومما خلقت له أن تسمعوا بها آيات الله التي تسمع، وأن تبصروا بها آيات الله التي تبصر، وأن تتدبروا هذه الآيات جميعا فتدركوا أن الذي أنشأها من العدم قادر على أن يخلقها مرة أخرى بعد الموت، ولكنكم أيها الناس قليلا ماتشكرون الله الذي خلقها لكم، وأنعم بها عليكم، قليلا ماتشكرونه شكرا يرضى عنه في هذه الدنيا، وينفعكم عنده يوم يقوم الحساب.

إن الله قد أنعم عليكم بنعمة الحياة في هذه الدنيا فخلقكم فيها وبثكم من فوق الأرض، ولكنها نعمة لاتدوم، فسوف يميتكم بعد هذا ثم يحييكم ثم إليه وحده تحشرون فيجازيكم بما كنتم تعملون.

كان ينبغي لكم أيها الكافرون أن تتفكروا وتتدبروا أن الذي يحيي ويميت ويخلق الليل والنهار خلفة قادر على أن يخلقكم مرة ثانية، ولكنكم أناس لا تعقلون ولا تبصرون، فقلتم مثل ماقال أسلافكم الأولون الذين كذبوا الرسل، أنكرتم البعث مثل ماأنكروا، وقلتم هيهات هيهات أن نبعث من قبورنا وقد صرنا ترابا وعظاما، ثم قلتم إن هذا الوعد الذي تعدنا به يامحمد قد وعده أباءنا أناس من قبلك ذكروا أنهم رسل الله كما تذكر أنت أنك رسول، ولكن آباءنا ظلوا في قبورهم لم يبعثوا منها، فكيف نصدق ماتقول.

ماتقوله لنا يامحمد وماقيل لآبائنا من قبلك ماهو إلا أكاذيب سطرها الأولون.

وتتضمن هذه الآيات أيضا اعتراف هؤلاء المنكرين للبعث من قريش بأن الأرض ومن فيها ملك لله، وأن الله هو رب السموات السبع ورب العرش العظيم، وأن الله هو الذي يملك كل شيء، ينجى من يشاء و يعذب من يشاء

كان إقرارهم هذا بعظيم سلطانه تعالى وقدرته يقتضى ــ لو كان عندهم مُسكة من عقل ولمحة من تدبر ــ أن يؤمنوا بأن الله قادر على إحيائهم بعد الممات، ولكنهم قوم قد عزب عنهم التذكر والتدبر، وغاب عنهم التفكير السليم والإدراك المستقيم، كانوا قوما كأنما أصابهم سحر وغشيهم خبال.

وقد جاء هذا الاستفهام: **(أإذا متنا وكنا ترابا وعظاما أإنا لمبعوثون)** جاء مفيدا الإنكار (بمعنى النفي) ومفيدا التكذيب والاستبعاد والسخرية والتعجب: فقد أنكر المشركون من قريش أن يبعثوا من قبورهم أحياء بعد أن يصيروا ترابا وعظاما، وكذبوا بهذا البعث وسخروا منه، ورأوا ذلك بعيدا عن الإمكان عجيبا أن يكون.

و(إذا) شرطية في محل نصب على الظرفية، والعامل فيها شرطها، وجوابها محذوف دل عليه (أإنا لمبعوثون) وتقديره نبعث.

وهذا الجواب المحذوف المقدر (نبعث) هو مورد الاستفهام ومصبه ومتعلقه مقيدا بالشرط، وهو أيضا موضع ماأفاده الاستفهام من معان.

الموضع السابع

لهمزة الاستفهام الداخلة على «إذا» الشرطية ورد في قوله تعالى:

وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ
أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ ﴿٦٧﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا
هَٰذَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾

قُلْ سِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ



الآيات : (٦٧ ــ ٦٩) من سورة النمل

تتضمن هذه الآيات الكريمة أن الذين كفروا بربهم أنكروا أن يخرجوا هم وآباؤهم من قبورهم أحياء بعد أن يموتوا و يصبحوا ترابا، وقالوا لقد وعدنا هذا، ومن قبل محمد وعد آباءنا ذلك واعدون، فلم نر لذلك حقيقة ولم نتبيّن له صحة، فما هذا الوعد إلا أكاذيب سطرها الأولون في الكتب، وتحدثوا بها جيلا بعد جيل.

فردَّ الله سبحانه وتعالى عليهم فقال لنبيه صلى الله عليه وسلم: قل لهؤلاء المكذبين سيروا في الأرض فانظروا إلى ديار من كذبوا رسل الله قبلكم كيف صاروا وكيف صارت مساكنهم، لقد دمّرهم الله تعالى ودمّر ديارهم، فإن لم تنيبوا إلى الله وتؤمنوا بما جئتكم به كانت عاقبة أمركم خسرا.

وقد أفاد هذا الاستفهام : (**أإذا كنا ترابا وآباؤنا أإنا لمخرجون**) أفاد الإنكار (بمعنى النفى) وأفاد التكذيب والاستبعاد والاستهزاء والتعجب:

فقد أنكر الكافرون أن يخرجوا هم وآباؤهم من قبورهم أحياء بعد أن يموتوا وتصير أجسامهم ترابا، لقد كذبوا بهذا الإخراج واستبعدوه ساخرين منه متعجبين أن يكون.

و(إذا) في هذا الاستفهام شرطية في محل نصب على الظرفية، والعامل فيها شرطها وهو (كان)، وجملة الشرط (كنا ترابا) لامحل لها من الإعراب، و(آباؤنا) عطف على اسم (كان) وهو الضمير المتصل البارز (نا)، وهمزة الاستفهام الثانية تأكيد للهمزة الأولى، وجملة (أإنا لمخرجون) لامحل لها من الإعراب قائمة مقام جواب (إذا) ودالة عليه، وتقديره: نخرج، وجملة (**أإذا كنا ترابا وآباؤنا أإنا لمخرجون**) في محل نصب مفعول به ل (قال).

وجواب (إذا) المحذوف المقدر (نخرج) هو مورد الاستفهام ومصبه ومتعلقه مقيدا بالشرط، وهو أيضا موضع ماأفاده الاستفهام من معان.

الموضع الثامن

لهمزة الاستفهام الداخلة على «إذا» الشرطية ورد في قوله تعالى:

وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ أَءِنَّا لَفِى
خَلْقٍ جَدِيدٍۭ ۚ بَلْ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٠﴾ ۞ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم
مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾
وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ
رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ
﴿١٢﴾

الآيات: (١٠ ـ ١٢) من سورة السجدة

تتضمن هذه الآيات الكريمة أن المكذبين بالبعث كانوا يقولون أإذا متنا وصرنا ترابا من تراب الأرض أفنعود خلقا جديدا كما كنا من قبل في حياتنا الدنيا؟! إن هذا لن يكون.

بل كانوا يذهبون إلى أبعد من هذا وأشنع، كانوا يكذبون بلقاء ربهم من بعد الممات ليجازيهم بما كانوا يعملون.

وقد أمر الله سبحانه وتعالى رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم أن يقول لهؤلاء المكذبين إن الله هو الذي خلق الموت والحياة، وإنه هو الذي يحيى ويميت، وقد وكل أمر موتكم إلى ملك من ملائكته هو ملك الموت، فهو الذي يتوفاكم بأمره تعالى، ثم يبعثكم الله جل وعلا أحياء يوم القيامة فترجعون إليه ليجازى المحسن على إحسانه والمسيء على إساءته.

ولو ترى يامحمد أولئك الذين أجرموا وأنكروا البعث وقالوا أإذا ضللنا في الأرض أإنا لفي خلق جديد، لو تراهم يامحمد يوم القيامة لرأيت أمرا عجبا، كانوا على أسوأ حال، قد طأطئوا رءوسهم عند ربهم من الخزي والذل والغم

والندم والحسرة، يقولون: أبصرنا اليوم ماكنا نكذب به في الدنيا، وسمعنا الآيات التي كنا ننكرها ونعرض عنها في حياتنا الأولى، إننا اليوم موقنون أن ماجاء به محمد كان حقا وصدقا، ربنا أرجعنا إلى الدنيا لنعمل صالحا غير الذي كنا نعمل.

ولكن هيهات هيهات لما يطلبون!! لقد أبصروا حين لاينفعهم إبصار، وسمعوا حين لاينفعهم سمع.

وقد أفاد هذا الاستفهام : (**أإذا ضللنا في الأرض إإنا لفى خلق جديد**) أفاد الإنكار (بمعنى النفى) وأفاد التكذيب والاستبعاد والاستهزاء والتعجب:

فقد أنكر المجرمون أن يبعثوا خلقا جديدا من بعد موتهم في الحياة الدنيا، وضياع أجسامهم في تراب الأرض، وكذبوا بهذا البعث واستبعدوه، وسخروا منه، وعجبوا من أن يكون.

و(إذا) شرطية في محل نصب على الظرفية، والعامل فيها شرطها (ضل)، وجملة الشرط (**ضللنا في الأرض**) لامحل لها من الإعراب على الرأي الأرجح والأقوى، وجواب (إذا) محذوف قام مقامه ودل عليه (**أإنا لفى خلق جديد**).

وتقديره : نخلق خلقا جديدا.

وهذا الجواب المحذوف المقدر (**نخلق خلقا جديدا**) هو مورد الاستفهام ومصبه ومتعلقه مقيدا بالشرط، وهو أيضا موضع ماأفاده الاستفهام من معان.

الموضع التاسع

لهمزة الاستفهام الداخلة على (إذا) الشرطية ورد في قوله تعالى:

فَٱسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا
أَم مَّنْ خَلَقْنَآ ۚ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍۭ ﴿١١﴾ بَلْ عَجِبْتَ
وَيَسْخَرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا ذُكِّرُوا۟ لَا يَذْكُرُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا رَأَوْا۟ ءَايَةً يَسْتَسْخِرُونَ
﴿١٤﴾ وَقَالُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا
أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿١٦﴾ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴿١٧﴾ قُلْ نَعَمْ وَأَنتُمْ دَٰخِرُونَ
﴿١٨﴾

الآيات: (١١ ـــ ١٨) من سورة الصافات

تتضمن هذه الآيات الكريمة أن الله سبحانه وتعالى قال لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: سل يامحمد هؤلاء المشركين الذين ينكرون البعث من بعد الممات: أخلقنا إياهم أشد وأشق أم خلق من قد خلقنا من الملائكة والشياطين والسموات والأرض ومابينهما؟!

إنا خلقناهم من طين ملتزق بعضه ببضع فكيف يستنكرون أن يخلقوا من طين مثله؟!

ولقد قدرنا على خلقهم بدءاً فمن السهل الهيّن أن نخلقهم مرة أخرى.

لقد عجبت يامحمد من أن ينكروا البعث ممن هذه أفعاله، وهم يسخرون ممن يصف الله بالقدرة على البعث.

وإذا ذكّر هؤلاء المشركون حجج الله على صحة البعث لايتعظون بتلك الحجج ولاينتفعون، وإذا رأوا آية باهرة معجزة دالة على البعث قالوا هازئين

ساخرين ماهذا إلا سحر مبين، أنبعث إذا صرنا في تراب الأرض عظاما وترابا؟! أو يبعث أيضا آباؤنا الأولون وقد مضى عليهم في باطن الأرض قرون؟! إن هذا لشيء عجاب هيهات هيهات أن يكون!!

قل لهم يامحمد في حزم وحسم وتقريع ودون جدل: نعم سوف تبعثون على رغم أنوفكم وأنوف آبائكم الأولين، سوف تبعثون جميعا وأنتم أذلة صاغرون!!

هذا، وقد قرأ حمزة والكسائي من القراء السبعة (**بل عجبت ويسخرون**) بضم تاء عجبت، وقرأ باقي السبعة بفتح التاء. وقال الطبرى في تفسيره لهذه الآية: «إنهما قراءتان مشهورتان في قراء الأمصار فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب».

وعلى قراءة حمزة والكسائي يكون التعجب مسندا إلى الله عزّ وجلّ، ولكنه تعجب يليق بكماله وجلاله وليس كتعجب الآدميين، اذ (**ليس كمثله شيء**)، والمعنى على قراءة ضم التاء ـ والله أعلم ـ بل عجبت من أن ينكر المشركون قدرتى على البعث وهم يعلمون أننى قد خلقت ماهو أعظم وأشد من خلقهم.

وقد جاء هذا الاستفهام: (**أإذا متنا وكنا ترابا وعظاما أإنا لمبعوثون أو آباؤنا الأولون**) جاء مفيدا الإنكار (بمعنى النفى) ومفيدا التكذيب والاستبعاد والاستهزاء والتعجب، فقد أنكر أولئك المشركون بعثهم بعد موت، وكذبوا به، واستبعدوه كل الاستبعاد، وسخروا منه، وعجبوا أن يكون.

وقد سبق أن أعرب مثل هذا الاستفهام أكثر من مرة ولكن (آباؤنا) الواردة في هذا الاستفهام قد اختلف الرأى في إعرابها: فقال الزمخشري عند تفسيره لهذه الآية: «وآباؤنا معطوف على محل إنّ مع اسمها أو على الضمير المستتر في مبعوثون والذي جوز العطف عليه الفصل بهمزة الاستفهام» اهـ.

غير أن الشيخ أبا حيان في تفسيره البحر المحيط ردّ هذين الوجهين من الإعراب: فقد ردّ الوجه الأول وهو العطف على محل إن مع اسمها بأنه على خلاف مذهب سيبويه، وردّ الوجه الثانى وهو العطف على الضمير المستتر في مبعوثون بأن همزة الاستفهام لاتدخل الا على الجمل، وهذا العطف يجعلها داخلة على مفرد، ووجه الإعراب عنده أن (آباؤنا) مبتدأ

خبره محذوف تقديره: مبعوثون، ويدل عليه ماقبله، ويكون تقدير الكلام: أإنا لمبعوثون أو آباؤنا الأولون لمبعوثون.

وجواب (إذا) محذوف دل عليه (أإنا لمبعوثون) وتقديره (نبعث) وهذا الجواب هو مورد الاستفهام ومصبه ومتعلقه، وهو أيضا موضع ماأفاده الاستفهام من معان.

الموضع العاشر

لهمزة الاستفهام الداخلة على إذا الشرطية ورد في قوله تعالى:

فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ
بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٥٠﴾ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥١﴾
يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَءِنَّا
لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَاطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِي سَوَاءِ
الْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَاللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي
لَكُنتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾

الآيات: (٥٠ ــ ٥٧) من سورة الصافات

تتضمن هذه الآيات الكريمة أن مما يتمتع به أصحاب الجنة في الجنة أن يقبل بعضهم على بعض فيأخذوا بأطراف الأحاديث فيما بينهم، يتذكرون أحوال الدار الدنيا وماكان قد حدث لهم فيها، وكان من ذلك أن قال قائل

منهم: إنى كان لى مصاحب في الدنيا يقول لى منكرا هازئا بى وبإيمانى بالبعث والحساب: أإذا متنا وكنا ترابا وعظاما أإنا لمبعوثون أحياء فمحاسبون على أعمالنا فمجزيّون بها إن خيرا فخير وإن شرا فشر.

ثم قال لأصحابه وجلسائه الذين كانوا يتساءلون في الجنة: ألا تطلعون لنرى ماذا كان مصير ذلك القرين؟! فاطلعوا واطلع فرآه في وسط الجحيم يقاسى العذاب الأليم، فقال له شامتا: تالله إن كدت لتهلكنى بإغوائك، ولولا نعمة ربى عليّ بالهداية والإيمان لكنت مثلك من المحضرين هذا العذاب الأليم.

وقد جاء هذا الاستفهام: **(أإذا متنا وكنا ترابا وعظاماً أإنا لمدينون)** جاء مفيدا الإنكار (بمعنى النفى) ومفيدا التكذيب والاستبعاد والسخرية والتعجب:

فقد أنكر قرين السوء البعث والحساب والجزاء يوم القيامة وكذب بذلك كله واستبعده كل البعد وهزىء به وتعجب أن يكون.

و(إذا) في هذا الاستفهام شرطية، وجوابها محذوف، دلّ عليه وأغنى عنه (أإنا لمدينون)، والتقدير: أإذا متنا وكنا ترابا وعظاما نحاسب ونجازى.

وهذا الجواب المحذوف المقدر هو مورد الاستفهام ومصبه ومتعلقه مقيدا بالشرط، وهو أيضا موضع ماأفاده الاستفهام من معان.

الموضع الحادي عشر

لهمزة الاستفهام الداخلة على (إذا) الشرطية ورد في قوله تعالى:

بَلْ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ
فَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٢﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَٰلِكَ
رَجْعٌۢ بَعِيدٌ ﴿٣﴾ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ
حَفِيظٌۢ ﴿٤﴾

الآيات: (٢ ـ ٤) من سورة ق

تتضمن هذه الآيات الكريمة عجب كفار قريش أن جاءهم محمد صلى الله عليه وسلم يخوفهم بالبعث ومايعقب البعث من حساب وعقاب، وهو رجل منهم قد عرفوا صدقه وأمانته وإخلاصه في النصح وحرصه على ماينفع الناس، هذا مع اعترافهم بقدرة الله تعالى على خلق السموات والأرض ومابينهما وإقرارهم بخلقه تعالى إياهم أول مرة.

فكان عجب كفار قريش ــ وهذه حالهم وحال الرسول بينهم ــ بعيدا عن مواطن العجب وماكان ينبغي أن يكون.

لقد كفروا حين أنكروا ماجاء به محمد صلى الله عليه وسلم من بعث وحساب وعقاب، وكذبوا به واستبعدوه وقالوا هذا شيء عجيب، أإذا متنا وكنا ترابا أنرجع أحياء مرة أخرى، هذا رجع لايمكن وهيهات هيهات أن يكون.

وقد ردّ الله سبحانه وتعالى على استبعادهم هذا الرجع بأنه عالم بما تنقصه الأرض من أجسامهم وتأكله من لحومهم وتبليه من عظامهم، وعنده تعالى كتاب حافظ كل شيء لايضل ولاينسى، **ومن كان عالما بذلك كان قادرا على رجعهم أحياء كما كانوا.**

وهذا الاستفهام : **(أإذا متنا وكنا ترابا ذلك رجع بعيد)** أفاد الإنكار (بمعنى النفي) وأفاد التكذيب والاستبعاد والسخرية والتعجب، فقد أنكر كفار قريش رجعهم أحياء من بعد أن يصيروا ترابا، وكذبوا به، واستبعدوا وقوعه، وسخروا منه، وعجبوا أن يكون.

وجواب (إذا) الشرطية محذوف دلّ عليه وأغنى عنه **(ذلك رجع بعيد)** وتقدير الكلام: أإذا متنا وكنا ترابا نرجع أحياء كما كنا قبل الموت.

وهذا الجواب المحذوف المقدر (نرجع) هو مورد الاستفهام ومصبه ومتعلقه مقيداً بالشرط، وهو أيضا موضع ماأفاده الاستفهام من معان.

الموضع الثاني عشر

همزة الاستفهام الداخلة على (إذا) الشرطية ورد في قوله تعالى:

وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ
ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَّا بَارِدٍ
وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾ وَكَانُوا۟ يُصِرُّونَ
عَلَى ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾ وَكَانُوا۟ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا
وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ إِنَّ
ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْءَاخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾
ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَءَاكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾
فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَٰرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَٰرِبُونَ
شُرْبَ ٱلْهِيمِ ﴿٥٥﴾ هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٥٦﴾

الآيات: (٤١ ــ ٥٦) من سورة الواقعة

تضمنت الآيات القرآنية الواردة قبل هذه الآيات المذكورة هنا أن الناس يوم القيامة ثلاثة أصناف:

الصنف الأول: وقد وصفهم القرآن الكريم مرة بأنهم أصحاب الميمنة، ومرة أخرى بأنهم أصحاب اليمين.

والصنف الثاني: وقد وصفهم القرآن الكريم مرة بأنهم أصحاب المشأمة، ومرة أخرى بأنهم أصحاب الشمال.

والصنف الثالث: وهم أفضل الأصناف الثلاثة ــ وقد وصفهم القرآن الكريم بأنهم السابقون السابقون.

وقد تضمنت تلك الآيات القرآنية الكريمة بعض مايتمتع به الصنف الثالث والصنف الأول من نعيم الجنة في الجنة.

أما هذه الآيات المذكورة هنا فقد تضمنت شيئا من عذاب جهنم سوف يلاقيه يوم القيامة الصنف الثانى وهم أصحاب الشمال.

ومما تضمنته هذه الآيات أن ريحا هى ريح السموم سوف تهب على أصحاب الشمال من نار الجحيم فتشوى الوجوه وتحرق الأجسام.

سوف تظمئون ياأصحاب الشمال في نار الجحيم التي كنتم بها تكذبون، ولكنكم لن تجدوا فيها ماء باردا فراتا ينقع الغلة و يطفىء الظمأ كما كنتم في دنياكم تشربون، لن تجدوا اليوم هاهنا إلا ماء حميا يقطع الأمعاء و يغلى في البطون.

كنتم أيام حرّكم في دنياكم تأوون إلى الظلال الوارفة المخضلة تبتردون فيها وتقيلون، أما اليوم فظلكم الظليل من يحموم، من هذا الدخان الكثيف الأسود المتصاعد من وقود نار جهنم هيهات هيهات أن يكون باردا يخفف عنكم وقدة الحّر، أو أن تجدوا في ظله مجلسا أنيقا كريما تنعمون فيه وتستروحون.

لقد كنتم ياأصحاب الشمال في حياتكم الدنيا مترفين فاكهين، فأعماكم الترف عن اتباع الرسل، وأصررتم على الإشراك بالله وهو الحنث العظيم. أنكرتم البعث والحساب و يوم القيامة، وقلتم ساخرين مكذبين: أإذا متنا وكنا ترابا وعظاما أإنا لمبعوثون؟! أو يبعث آباؤنا الأولون وقد ضيعتْهم في الأرض القرون؟! إن هذا لن يكون!

قل يامحمد لأصحاب الشمال المكذبين: إن الناس كلهم أجمعين لمجموعون إلى ميقات يوم معلوم ومحاسبون، وسوف تكونون أنتم وآباؤكم الأولون ممن يبعثون ويحشرون و يذوقون العذاب الأليم.

ثم إنكم أيها الضالون طريق الهدى المكذبون بالبعث والحساب، إنكم وآباءكم ومن كان من أمثالكم سوف تحلون بنار الجحيم ضيوفا خالدين لا تموتون فيها ولاتحيون ولاتخرجون.

وسوف يكون قراكم فيها طعاما لم تذوقوه من قبل وشراباً لن تسيغوه أبدا، أما الطعام فمرّ المذاق كريه الرائحة من شجر من زقّوم، هو أمراض

وأو بشة وسموم، تملئون منه البطون من شدة الجوع، ولكنه لايسمن ولايغني من جوع.

أما الشراب الذي تشربون على الزقوم فحميم يقطع الأمعاء ويغلي في البطون، تظلون تشربون منه وتشربون ولكنكم لا ترتوون ولا تنتهون.

وقد أفاد هذا الاستفهام : **(أإذا متنا وكنا ترابا وعظاما أإنا لمبعوثون أو آباؤنا الأولون)** أفاد الإنكار (بمعنى النفي) وأفاد التكذيب والاستبعاد والسخرية والتعجب :

فقد أنكر أصحاب الشمال أن يبعثوا هم وآباؤهم الأولون من بعد أن يموتوا ويصيروا ترابا وعظاما، ،كذبوا بهذا البعث وسخروا منه، واستبعدوا أن يقع وعجبوا أن يكون.

وجواب «إذا» في هذا الموضع ومورد الاستفهام ومصبه وموضع ماأفاده الاستفهام من معان قد مر مثله في الموضع السادس والموضع التاسع.

الموضع الثالث عشر

لهمزة الاستفهام الداخلة على إذا الشرطية ورد في قوله تعالى:

وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرۡقٗا ١ وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشۡطٗا ٢ وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبۡحٗا
٣ فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبۡقٗا ٤ فَٱلۡمُدَبِّرَٰتِ أَمۡرٗا ٥ يَوۡمَ تَرۡجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ
٦ تَتۡبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ٧ قُلُوبٞ يَوۡمَئِذٖ وَاجِفَةٌ ٨ أَبۡصَٰرُهَا
خَٰشِعَةٞ ٩ يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرۡدُودُونَ فِي ٱلۡحَافِرَةِ ١٠ أَءِذَا كُنَّا
عِظَٰمٗا نَّخِرَةٗ ١١ قَالُواْ تِلۡكَ إِذٗا كَرَّةٞ خَاسِرَةٞ ١٢ فَإِنَّمَا هِيَ زَجۡرَةٞ
وَٰحِدَةٞ ١٣ فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ ١٤

الآيات : (١ ــ ١٤) من سورة النازعات

يقسم الله سبحانه وتعالى في الآيات الخمس الأولى بطوائف مختلفة من الملائكة ذوات صفات مختلفة، وجواب هذا القسم قد اختلف فيه العلماء، والرأي ـ فيا يبدو لي ـ ماذهب إليه الفراء من أنه محذوف، تقديره لتبعثنّ، وهذا الجواب المحذوف هو العامل في ظرف الزمان في (يوم ترجف الراجفة).

وتتضمن الآيات التي وردت بعد هذا القسم أن البعث سوف يكون في يوم تقع فيه نفختان: النفخة الأولى (الراجفة التي تميت كل شيء بإذن الله تعالى، ثم تتبعها النفخة الثانية (الرادفة) التي تحيى كل شيء بإذنه تعالى، وفي هذا اليوم تضطرب قلوب الكافرين أشد الاضطراب، ويصيبها من الخوف والهلع أشد مايكون عليه الخوف والهلع، وفي هذا اليوم تخشع أبصار الكافرين وتذل، وتغشاها الكآبة ويملأها الغم والهم والحزن والحسرة، وتنظر نظرات من يترقب نزول البلاء العظيم.

هؤلاء الكافرون الذين تجف قلوبهم في هذا اليوم وتخشع أبصارهم هم الذين كانوا يقولون في الدنيا منكرين هذا اليوم مكذبين به، مستبعدين وقوعه ساخرين منه متعجبين من أن يكون، كانوا يقولون: أإنا لمردودون الى الحياة ونحن في القبور المحفورة في الأرض، أنرد ونحن عظام نخرة بالية أشد ماتكون بعدا عن الحياة؟! إن هذا لشيء عجاب!!

وكانوا يقولون أيضا ساخرين: إن صحّت تلك الرجعة إلى الحياة بعد الموت فنحن الخاسرون حقا لأنا كنا بها مكذبين.

وقد ردّ الله سبحانه وتعالى عليهم بعد أن أقسم في أول السورة أنهم سيبعثون أحياء يوم القيامة، ردّ سبحانه وتعالى عليهم بما يتضمن:

لاتحسبوا هذه الكرة صعبة تحتاج إلى معاناة وطول زمن، إنها سهلة هينة في قدرة الله تعالى، فما هي إلا صيحة واحدة لاثانية لها ولاثالثة، ولاتحتاج إلى شيء يصاحبها ويشد أزرها، صيحة واحدة فقط، ثم في أقل من لمح البصر يخرج هؤلاء المنكرون للبعث أحياء من فوق الأرض، تجف منهم القلوب وترتعد الفرائص وتغشى أبصارهم الذلة.

وقد أفاد استفهام (**أإذا كنا عظاما نخرة**) أفاد الإنكار (**بمعنى النفي**) والتكذيب والاستبعاد والاستهزاء والتعجب.

فقد أنكروا أن يردوا إلى الحياة بعد أن يصيروا في قبورهم ترابا وعظاما نخرة، أنكروا ذلك الردّ وكذبوا به واستبعدوه وسخروا منه وتعجبوا أن يكون و(إذا) في هذا الاستفهام شرطية، وجوابها محذوف دل عليه (لمردودون)، والتقدير: أإذا كنا عظاما نخرة نردّ ونبعث.

وهذا الجواب المحذوف هو مورد الاستفهام ومناطه ومتعلقة مقيدا بالشرط وهو أيضا موضع الإنكار والتكذيب والاستبعاد والاستهزاء والتعجب.

تنبيهات

وفي ختام هذه الحديث عن همزة الاستفهام الداخلة على (إذا) الشرطية أحب أن أنبهك لأشياء:

١ ــ أن هذه الاستفهامات الثلاثة عشر التي دخلت فيها همزة الاستفهام على (إذا) الشرطية كانت ــ ماعدا الأول منها ــ محكية عن المشركين، وأنها أفادت إنكار هؤلاء المشركين للبعث والتكذيب به واستبعاده والسخرية منه والتعجب من أن يكون.

٢ ــ أن صيغ هذه الاستفهامات كانت متقاربة جدا في الألفاظ والتراكيب والأسلوب والمعنى، ولكنك إذا نظرت إلى السياق الذي سيقت فيه، وإلى المورد الذي أوردته وجدت أن كل استفهام كان جديدا بما يصحبه من آيات تختلف من موضع إلى موضع.

٣ ــ لما كان إثبات البعث من المقاصد الأولى للقرآن الكريم، وكان منكروه كثيرين على تعاقب الأجيال والقرون، لما كان ذلك كذلك جاء ذكره في القرآن الكريم كثيرا ليقرر صحته ويقيم الدليل عليه، وليكفّر من لم يؤمن به، ولينذرهم عذابا أليما.

٤ ــ أن مورد الاستفهام بالهمزة الداخلة على (إذا) الشرطية هو جوابها المقيد بشرطها ففي استفهام (**أثم إذا ماوقع آمنتم به**) كان مورد الاستفهام هو جوابها وهو (آمنتم به) فالإيمان بعذاب الله هو مورد الاستفهام وهو موضع

الإنكار والتوبيخ، ولكن انكار هذا الإيمان والتوبيخ عليه كان بقيد أن يكون هذا الإيمان حاصلا حين وقوع العذاب بهم، لأن الإيمان حنيئذ لايجدى ولاينفع، فالإيمان الذي أنكر عليهم ووبخوا عليه هو الإيمان الحاصل حين وقوع العذاب وليس الإيمان مطلقا وعلى هذا النحو جاء استفهام الهمزة الداخلة على إذا الشرطية في مواضعها الثلاثة عشر السابقة، فقد كان مورد الاستفهام وموضع المعانى التي يدل عليها الاستفهام هو جواب إذا المقيد بشرطها.

٣ ـ همزة الاستفهام الداخلة على (لو) الشرطية :

أما همزة الاستفهام الداخلة على «لو» الشرطية في القرآن الكريم فقد وردت في سبعة مواضع :

الموضع الأول

الموضع الأول لهمزة الاستفهام الداخلة على «لو» الشرطية ورد في قوله تعالى :

وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ
ءَابَآءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا
يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾

الآية : (١٧٠) من سورة البقرة

تتضمن هذه الآية الكريمة أنه إذا قيل لهؤلاء الكفار من المشركين اتبعوا ماأنزل الله واتركوا ماأنتم عليه من الضلال قالوا لانتبع ما أنزل الله، بل نتبع ماوجدنا عليه آباءنا، فرد الله سبحانه وتعالى عليهم منكرا موبخا : أتتبعون ماوجدتم عليه آباءكم ولو كان أولئك الآباء لايعقلون شيئا ولايهتدون؟!

وقد جاء هذا الاستفهام : **(أو لو كان آباؤهم لايعقلون شيئا ولايهتدون)** جاء مفيدا الإنكار (بمعنى لاينبغى) ومفيدا التوبيخ والتعجيب :

فقد أنكر الله سبحانه وتعالى على أولئك الكفرة المشركين ووبخهم أن يتبعوا آباءهم وقد كانوا ضالين جاهلين، ليس لديهم مُسكة من عقل ولا أثارة من هداية، وأنى لهم العقل والهداية وهم يعبدون أصناما لاتملك نفعا ولاضرا، ويحرّمون على أنفسهم ماأحله الله، ويحلّون لها ماحرّم الله؟!

لقد كان ذلك الاتباع مثيرا للتعجب باعثا على الاستغراب، فقد كان اتباعا أعمى لآباء ضالين جاهلين، اتباعا ليس فيه تبصّر ولا تعقل، ولايقوم على حجة ولابرهان.

أما إعراب هذا الاستفهام : **(أو لو كان آباؤهم لايعقلون شيئا ولايهتدون)** فأكتفي منه بما يلي :

الواو الواقعة بعد همزة الاستفهام واو الحال، و(لو) حرف شرط لايجزم، وليست (لو) هنا وصلية زائدة للربط والتوكيد، و(كان) ماض ناقص هو فعل الشرط لامحل له من الإعراب، و(شيئا) يجوز أن يكون مفعولا به على معنى لايعقلون شيئا من الأشياء، فهو نكرة وقعت في سياق النفي فتعم، ويجوز أن يكون (شيئا) منصوبا على المصدرية بمعنى لايعقلون شيئا من العقل، وجملة **(ولو كان آباؤهم لايعقلون شيئا ولايهتدون)** في محل نصب على الحالية.

وهناك جملة مقدرة بعد همزة الاستفهام مباشرة دلّ عليها الكلام السابق، والتقدير: أيتبعونهم ولو كان آباؤهم لايعقلون شيئا ولايهتدون.

وقد اشتملت هذه الجملة المقدرة على صاحب الحال وهو الضمير المفعول به (هم) وعلى العامل في الحال وصاحبها وهو مضارع (يتبعون).

وهذه الجملة المقدرة دلت على جواب (لو) الشرطية وأغنت عنه، وهي مع متعلقها مورد الاستفهام ومناطه ومتعلقه، وموضع ماأفاده هذا الاستفهام من معان.

وقد أعرب العكبرى في كتابه (إملاء مامنّ به الرحمن) وابن عطية في تفسيره، ومكي بن أبي طالب في كتابه (مشكل إعراب القرآن) أعربوا الواو الواقعة بعد همزة الاستفهام والداخلة على (لو) في قوله تعالى **(أو لو كان آباؤهم)** أعربوها عاطفة، ولم يذكروا المعطوف عليه ولم يقدروه، وذهب الزمخشري في تفسيره الكشاف إلى أنها واو الحال، وحاول أبو حيان في تفسيره البحر المحيط أن يجمع بين الرأيين، فقال إنها حالية لأنها داخلة على جملة حالية، وهي في الوقت نفسه عاطفة لأنها عطفت الجملة الحالية بعدها على جملة حالية مقدرة، ولكنه لم يذكر تلك الجملة الحالية المقدرة.

والذي يبدو لي أن الرأي مع الزمخشري، وهو أن الواو الداخلة على (لو) الشرطية واو الحال وليست واو العطف، لأنه ليس هناك مايصلح أو يحسن أن يكون معطوفا عليه.

فلايصلح أن يكون المعطوف عليه هو جملة (**بل نتبع ماألفينا عليه آباءنا**) لأنها محكية عن المشركين، والعطف عليها يجعل المعطوف وهو جملة الاستفهام محكيا عنهم، مع أن جملة الاستفهام ليست من كلامهم، وانما هي كلام مستأنف.

ولايحسن أن يكون المعطوف عليه جملة شرطية أخرى مقدرة مخالفة لجملة الشرط المذكورة، فيكون تقدير الكلام معها: أيتبعون آباءهم لو كانوا يعقلون شيئا ويهتدون ولو كانوا لايعقلون شيئا ولايهتدون.

لايحسن ذلك لأنه تقدير متكلف لايستدعيه المعنى ولايتطلبه.

هذا، وقبل أن أنتقل إلى الموضع الثاني أحب أن أنقل إليك ملاحظات لأبي حيان في تفسيره البحر المحيط تدل على دقة فهم وحسن تذوق لما جاء في قوله تعالى: (**وإذا قيل لهم اتبعوا ماأنزل الله قالوا بل نتبع ماألفينا عليه آباءنا أو لو كان آباؤهم لايعقلون شيئا ولايهتدون**) وهذه هي الملاحظات:

١ ــ و(إذا) الواردة في قوله تعالى المتقدم تدل على التكرار، تكرار القول لهم أن يتبعوا ماأنزل الله وتكرار جوابهم برفض هذا الاتباع والإصرار على اتباع آبائهم، وفي هذا دلالة على أن الدعوة إلى الله يجب أن لاتيأس وأن لاتتراجع وأن لاتقف أمام إعراض المدعوين عن الحق وشدة تماديهم في الباطل.

٢ ــ وبنى (قيل) لما لم يسمّ فاعله لأنه أخصر، فلو ذكر الفاعل وهو الرسول صلى الله عليه وسلم ومن يتبعه من المؤمنين لطال الكلام طولاً لا يستدعيه غرض بلاغي.

٣ ــ وقد ذكر لفظ الجلالة (الله) في (ماأنزل الله) للإعلام بعظم ما أمروا باتباعه، فقد نسب إنزاله إلى الله تعالى، فكان ينبغي أن يتلقى بالقبول وأن لايعارض باتباع آبائهم رؤوس الضلالة.

٤ ـــ وقد قدم العقل في قوله تعالى (لايعقلون) لأن العقل هو الذي تصدر عنه جميع التصرفات، وأخر نفي الهداية في قوله تعالى (ولايهتدون) لأن ذلك مترتب على نفي العقل، فالهداية ناشئة عن العقل، وعدم العقل عدم لها. ا.هـ مع تصرف بالزيادة والحذف.

الموضع الثاني

الموضع الثاني لهمزة الاستفهام الداخلة على (لو) الشرطية ورد في قوله تعالى:

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُوا۟ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٠٤﴾

الآية : (١٠٤) من سورة المائدة

تتضمن هذه الآية الكريمة أن هؤلاء الكفرة المشركين كانوا إذا دعوا إلى دين الله وشرعه واتباع ماأنزل الله في كتابه ومايحكم به رسوله قالوا يكفينا ما وجدنا عليه آباءنا وماكانوا يعملون به من تحليل وتحريم.

فرد الله سبحانه وتعالى عليهم : أيكفيهم ماوجدوا عليه آباءهم وقد كان أولئك الآباء جاهلين لايعلمون شيئا من الحق، ضالين لايهتدون إلى صواب، هل يكتفى بما كان عليه أولئك الآباء الضالون الجاهلون إلا من هو أجهل منهم وأضل سبيلا؟!

وقد أفاد هذا الاستفهام : **(أو لو كان آباؤهم لايعلمون شيئًا ولايهتدون)** أفاد الإنكار (بمعنى لاينبغى) وأفاد التوبيخ والتعجيب:

فقد أنكر الله سبحانه وتعالى عليهم أن يكتفوا بما وجدوا عليه آباءهم من شرك وضلال وجهالة، وأن يجدوا في أعمال آبائهم وسلوكهم وطرائقهم غنى عما أنزله الله في كتابه من بيان للحق وهدى للناس.

لقد أنكر الله تعالى عليهم ذلك ووبخهم عليه، وقد كان ذلك مثيرا للتعجب باعثا على الاستغراب.

ومورد الاستفهام في **(أو لو كان آباؤهم لايعلمون شيئًا ولايهتدون)** هو الفعل المقدر بعد الهمزة مع متعلقه، والتقدير: أيكفيهم ماوجدوا عليه آباءهم ولو كان آباؤهم لايعلمون شيئًا ولايهتدون، وهذا الفعل المقدر مع متعلقه هو أيضا موضع ماأفاده هذا الاستفهام من معان.

وقد دلّ على هذا الفعل المقدر بعد الهمزة الكلام المتقدم عليها.

الموضع الثالث

الموضع الثالث لهمزة الاستفهام الداخلة على «لو» الشرطية ورد في قوله تعالى:

وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ
مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن
رَّبِّكُمْ ۖ فَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا۟
ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ
إِصْلَٰحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ
﴿٨٥﴾ وَلَا تَقْعُدُوا۟ بِكُلِّ صِرَٰطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ
عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ
وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ ۖ وَٱنظُرُوا۟
كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨٦﴾ وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ
مِّنكُمْ ءَامَنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا۟
فَٱصْبِرُوا۟ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ بَيْنَنَا ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨٧﴾
۞ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ
وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۚ قَالَ أَوَلَوْ
كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴿٨٨﴾ قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم
بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا ۚ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ
ٱللَّهُ رَبُّنَا ۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۚ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا ۚ رَبَّنَا ٱفْتَحْ

بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ ﴿٨٩﴾ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ
ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَئِنِ ٱتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ
﴿٩٠﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩١﴾
ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَا ۚ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا
كَانُوا۟ هُمُ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٩٢﴾ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ
أَبْلَغْتُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ ۖ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ
عَلَىٰ قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴿٩٣﴾

الآيات : (٨٥ ـــ ٩٣) من سورة الأعراف

تتضمن هذه الآيات الكريمة أن الله سبحانه وتعالى قد أرسل إلى أهل مدين رسولا منهم هو شعيب عليه السلام، قال لهم: اعبدوا الله لا تشركوا به شيئا، وانبذوا عبادة ماعداه، إن ماتعبدونهم من دون الله لايدفعون عنكم ضرا ولايجلبون لكم نفعا ولايعقلون.

وقد جاءتكم بينة من ربكم تثبت لكم أني رسول الله إليكم حقا وصدقا، فأوفوا الكيل حقه إذا بعتم للناس مايكال، وأوفوا الوزن حقه إذا بعتم للناس ما يوزن، وإذا مااشتريتم من الناس أشياءهم فأعطوهم أثمانها كاملة، ولا تعيبوها طمعا أن تنقصوا الأثمان.

ولا تفسدوا في الأرض بعد أن خلقها الله على الوجه الملائم لمنافع الخلق فيها ومصالح المكلفين، وبعد أن أرسل الرسل فيها بالأحكام التي شرعها الله هدى ورحمة للعالمين.

وهذا الذي أقوله خير لكم في الدنيا وخير لكم في الآخرة إن كنتم مؤمنين تبتغون في أعمالكم وجه الله ورضاه.

وإياكم والجلوس في الطرقات تهددون وتتوعدون من آمن بالله ومن اعتزم الإيمان بالله، وتصدون عن سبيل الله السائرين على الطرق يسألون أين رسول الله ليهتدوا بهداه وليؤمنوا بالله.

وإياكم أن تفتروا على دين الله الأكاذيب والأباطيل تريدون أن تظهروه للناس دينا عوجا.

وتذكروا نعمة الله عليكم إذ كثّركم بعد قلة، فبارك لكم في النسل، وقلل فيكم الوفيات، ووهب لأطفالكم الصحة والعافية، فصرتم أمة ذات عدد.

ولكن هذه الكثرة لن تمنعكم من عذاب الله إن أشركتم به وتكبرتم عن اتباع دينه.

ولتكن لكم عبرة وعظة في أمم قد خلت من قبلكم كانت أكثر منكم عددا وأشد قوة، أشركوا بالله وكذبوا الرسل وأفسدوا في الأرض، فدمّرهم الله تدميرا، وسوف يصلون في الآخرة سعيرا.

ولقد آمنت طائفة منكم بالذي أرسلت به وكفرت طائفة، فاصبروا حتى يحكم الله بيننا وبينكم، ويظهر لنا ولكم أى الطائفتين كانت على الحق، وأي الطائفتين كانت على الباطل، والله أحكم الحاكمين ولايظلم في حكمه أحدا.

قال أشراف قوم شعيب الذين استكبروا عن الإيمان بالله وعن الإيمان بأن شعيبا رسول الله، قالوا في عتو وغرور: لنخرجنّك ياشعيب من قريتنا هذه التي هي موطنك الذي نشأت فيه وترعرعت، لنخرجنّك عقابا لك على هذه التفرقة التي أحدثتها في صفوفنا، ولنخرجنك خشية أن يزداد افتتان الناس بهذا الدين الذي تدعونا إليه، ولست بمخرج وحدك، لنخرجن معك هؤلاء الذين آمنوا بالله وصدقوك واتبعوك، أو لتعودن أنت ومن اتبعك في ملتنا التي نحن عليها.

فأجابهم شعيب في إنكار وتعجب ونفور:

أنعود في ملتكم ولو كنا كارهين لتلك العودة، إن هذا لن يكون وماينبغى أن يكون.

إننا إن عدنا في ملتكم أكن قد كذبت على الله أنى رسول من عنده، وكذبت على الناس أنى رسول الله إليهم.

كيف نعود في ملة الجهل والضلال وعبادة مالا يحس ولايعقل ولايضر ولاينفع بعد أن نجانا الله منها؟! إننا لن نعود وماينبغى لنا أن نعود، وهيهات

هيهات أن نعود إلا أن يشاء الله ربنا، وسع ربنا كل شيء علما، عليه توكلنا وإليه المصير.

ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا، ربنا احكم بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الحاكمين.

وقال الذين استكبروا وكفروا من قوم شعيب لمن لم يؤمنوا: لئن اتبعتم شعيبا فيما يدعوكم إليه من عبادة إله واحد لاشريك له ونبذ عبادة ماكان يعبد آباؤكم، لئن اتبعتموه لتكونن من الخاسرين، ولتذوقن منا العذاب الأليم.

وينصر الله رسوله شعيبا والذين آمنوا معه، وتأخذ الرجفة قوم شعيب الكافرين، وتزلزل الأرض من تحتهم، وتنزل عليهم صواعق السماء، فيصبحون في دارهم هلكى على أبشع صورة يموت عليها الميتون، ويصبح الذين كذبوا شعيبا هم الخاسرين، كأن لم يقيموا في دارهم فاكهين مترفين، يتهددونه ويوعدونه بإخراجه وإخراج من آمن معه من قريتهم، أو أن يعود هو ومن اتبعه في ملتهم كافرين.

ويتلفت شعيب نحو تلك الديار التي أضحت بلاقع، ويرسل النظرات تلو النظرات إلى تلك القرية التي صارت إلى أطلال، وتعود به الذكريات إلى ملاعب طفولته ومراتع صباه، وتوشك عيناه أن تدمعا، ولكنه يتذكر قومه الذين كذبوه وهموا أن يخرجوه، فيقول للنفس تأساء وتعزية: كيف آسى على قوم كافرين، أبلغتهم رسالات ربي فكفروا بربي وعبدوا الأصنام، ونصحت لهم أن يوفوا الكيل والميزان وأن لايفسدوا في الأرض، فأبوا إلا أن يكونوا مفسدين مطففين، إذا اكتالوا على الناس يستوفون وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون.

ويتولى شعيب عن قومه الهالكين وعن قريته التي أضحت يبابا، يتولى فرحا بنصر الله إلى حيث يشاء الله.

وقد أفاد هذا الاستفهام : **(أو لو كنا كارهين)** أفاد الإنكار والاستبعاد والتعجب:

أفاد الإنكار بمعنى النفي أي لن نعود في ملة الكفر بعد أن نجانا الله منها، ونحن نكره تلك العودة ونأباها.

وأفاد الاستبعاد بمعنى هيهات هيهات لتلك العودة التي نحن لها كارهون.

وأفاد التعجب من أن يعودوا إلى الكفر بعد الهدى، وأن يرجعوا ضالين يعبدون الأصنام بعد أن هداهم الله إلى الصراط المستقيم إلى عبادته وحده لاشريك له.

والواو الواقعة بعد همزة الاستفهام واو الحال، و(لو) شرطية غير جازمة، وجواب الشرط محذوف دلّ عليه وأغنى عنه الفعل المقدر بعد الهمزة، والتقدير: أنعود في ملتكم ولو كنا كارهين، وقد دلّ على هذا الفعل المقدر بعد الهمزة الكلام المتقدم عليها. وجملة (أو لو كنا كارهين) في محل نصب على الحالية، وصاحب الحال الضمير المستتر في الفعل المقدر بعد الهمزة وهو (نعود) وهذا الفعل (نعود) هو العامل في الحال وصاحبها.

ومورد الاستفهام ومتعلقه ومصبه هو الفعل المقدر بعد الهمزة مع متعلقه، وهو أيضا موضع مايدل عليه الاستفهام ومايفيده من معان.

الموضع الرابع

الموضع الرابع لهمزة الاستفهام الداخلة على (لو) الشرطية ورد في قوله تعالى:

قَالَ
لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ
أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ قَالَ فَأْتِ بِهِ إِن كُنتَ مِنَ
الصَّادِقِينَ ﴿٣١﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾ وَنَزَعَ يَدَهُ
فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَٰذَا لَسَاحِرٌ
عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِ فَمَاذَا
تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾

الآيات: (٢٩ ــ ٣٥) من سورة الشعراء

تتضمن هذه الآيات الكريمة جانبا من المحاجّة التي دارت بين فرعون وموسى عليه السلام حين أتى هو وأخوه هارون فرعون فقالا له إنا رسول رب العالمين.

وفي هذه الآيات يقول فرعون بعد أن هزم في هذه المحاجة، يقول استكبارا عن الحق وتمادياً في الغي، مهددا موعدا: لئن اتخذت ياموسى إلها غيري لأجعلنك من المسجونين الذين لم تنس بعد كيف يسجنون، وفي أي مكان يحشرون، وأي موت يلاقون!!

قال موسى معرضا عن تهديده ووعيده: أتجعلني يافرعون من المسجونين ولو جئتك بشيء يبين صدق ماأقول لك ويشهد أني رسول رب العالمين؟

قال فرعون فأت بذلك الشيء إن كنت صادقا في أن لك بينة تشهد و برهانا يؤيد.

أذن له فرعون أن يأتي بالشيء المبين ظانًّا أنه يستطيع أن يبطل مايجيء به موسى، ولكن موسى فاجأه بما لم يكن يخطر له على بال:

ألقى موسى عصاه فإذا هي ثعبان مبين ليس فيه خيال ولاخداع، ونزع يده السمراء من جيبه فإذا هي بيضاء ذات نور وشعاع.

لم يستطع فرعون أمام هاتين المعجزتين اللتين أذهلتاه إلا أن يلتفت إلى أشراف قومه و يقول لهم كذبا وافتراء: ماهذا إلا سحر مبين، وإن موسى لساحر عليم، وخوّف قومه بأن موسى يريد بسحره هذا أن يخرجهم من أرضهم وأن يجعلهم غرباء أذلاء.

ثم قال فرعون لقومه وقد أذهلته أدلة موسى الباهرة وأنسته ربوبيته الكاذبة، قال يتودد إليهم و يشعرهم أن لهم عنده مقاما عظيما ومنزلة عالية، ماذا تأمرون في موسى، وبماذا تشيرون؟

وفي الآيات الواردة بعد هذه الآيات المذكورة هنا من سورة الشعراء بقية ماحدث بين فرعون وموسى عليه السلام.

وهذا الاستفهام: (أو لوجئتك بشيء مبين) استفهام حقيقي ساقه موسى إلى فرعون بعد ماتميّز فرعون من غيظ وامتلأ من غضب، واستطاع موسى بهذا الاستفهام أن يخفف من تهديد فرعون ووعيده، وأن يستدرجه إلى

الاستماع إليه، وأن يستجيب إلى ماكان موسى يبتغي منه و يريد، فقال فرعون: فأت به إن كنت من الصادقين.

والواو الواقعة بعد همزة الاستفهام واو الحال، و(لو) شرطية غير جازمة، وجوابها محذوف دلّ عليه وأغنى عنه الجملة المقدرة بعد الهمزة، والتقدير: أتجعلني من المسجونين ولو جئتك بشيء مبين، وقد دل على هذا المحذوف المقدر بعد الهمزة الكلام المتقدم عليها.

وجملة **(ولو جئتك بشيء مبين)** في محل نصب على الحال، وصاحب الحال ياء المتكلم في **(أتجعلني من المسجونين)** والعامل في الحال وصاحبها الفعل المضارع: (تجعل) وهذا الفعل المضارع المقدر بعد الهمزة مع متعلقه هو مورد الاستفهام ومناطه ومصبه، وهو أيضا موضع ماأفاده الاستفهام من معنى.

الموضع الخامس

الموضع الخامس لهمزة الاستفهام الداخلة على (لو) الشرطية ورد في قوله تعالى:

أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ
عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ
بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟
مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ
ٱلشَّيْطَٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٢١﴾

الآيتان: (٢٠ ــ ٢١) من سورة لقمان

تتضمن هاتان الآيتان الكريمتان أن مشركى مكة كانوا يرون أن الله سبحانه وتعالى قد خلق السموات والأرض ومافيهن من نجوم وشمس وقمر ومياه وأنهار وبحار وحيوان وجماد ومعادن وأشجار وثمار وزروع وغير ذلك مما لايعد ولايحصى، كانوا يرون أنه تعالى قد خلق ذلك كله وسخره لمنافع الناس ومصالحهم ومتعهم، وكانوا يرون كذلك أن الله سبحانه وتعالى قد أنعم على بنى آدم أجمعين نعما كثيرة ظاهرة محسوسه تراها العيون ونعما كثيرة أخرى غير ظاهرة ولا محسوسه، منها ماتدركه الأفهام والعقول ومنها مالا تدركه العقول والأفهام.

كان مشركو مكة يرون هذا كله ولكنهم يتعامون عن دلالته على وحدانية الله الذي لاشريك له، وعلى قدرة الله التي ليس لها مماثل، كانوا يتعامون عن تلك الدلالات والآيات ويجادلون الرسول صلى الله عليه وسلم في هذه الوحدانية وفي قدرة الله تعالى على بعث من في القبور، وماكان جدالهم يقوم على علم يستند إلى عقل سليم، ولا على هدي مأخوذ من رسول كريم، ولا على كتاب أنزله الله تعالى من عنده، وإنما كان يقوم على الجهل والعناد والتقليد الأعمى للآباء والأجداد. وإذا ماقيل لهم اتبعوا ماأنزل الله على رسوله وصدقوا به فهو الذي يهدى إلى الحق و يبعد عن الباطل، أبوا هذا الاتباع وقالوا بل نتبع ماوجدنا عليه آباءنا من عبادة أصنام وحلال وحرام.

فرد الله تعالى عليهم : أيتبعون ماوجدوا عليه آباءهم ولو كان الشيطان يدعو أولئك الآباء إلى مايكون عقباه عذاب الجحيم؟!

هذا، وقد أفاد استفهام : **(أو لو كان الشيطان يدعوهم إلى عذاب السعير)** أفاد الإنكار بمعنى لاينبغى، وأفاد التوبيخ والتعجيب:

فقد أنكر الله سبحانه وتعالى على أولئك المشركين من كفار مكة وأمثالهم ممن يجادلون في وحدانية الله تعالى وفي قدرته على البعث، أنكر عليهم ووبخهم أن يتبعوا آباءهم اتباعا أعمى في عبادة الأصنام وفي أضاليل وأباطيل ما أنزل الله بها من سلطان، اتباعا أعمى لايقوم على علم

صحيح، ولاعلى هدى من رسول ولا على كتاب منزّل، وإنما هو اتباع يعتمد على الجهل والعناد وعلى وساوس الشيطان التي يدعو إلى عذاب جهنم يوم القيامة.

لقد كان اتباعا يثير التعجب و يبعث على الاستغراب، فقد كان بعيدا عن التفكر والتعقل والتدبر، متعامياً عن دلالات مايرونه في خلق السموات والأرض وتسخير مافيهن لهم وللناس، متعاميا عما أسبغه الله عليهم من نعم ظاهرة و باطنة لا تعدّ ولاتحصى.

وهمزة الاستفهام في (**أولو كان الشيطان يدعوهم إلى عذاب السعير**) داخلة على فعل محذوف دل عليه الكلام السابق، والتقدير: أيتبعون آباءهم ولو كان الشيطان يدعوهم إلى عذاب السعير، وهذا الفعل المحذوف مع مايتعلق به هو مورد الاستفهام ومناطه ومصبه وموضع ماأفاده الاستفهام من معان.

والواو الداخلة على (لو) في هذا الاستفهام واو الحال، و(لو) شرطية جوابها محذوف دلّ عليه وأغنى عنه الجملة المقدرة بعد الهمزة، والواو ومادخلت عليه في محل نصب على الحال، وصاحب الحال المفعول به المحذوف (آباءهم) والتقدير: أيتبعون آباءهم ولو كان الشيطان يدعوهم إلى عذاب السعير.

الموضع السادس

الموضع السادس لهمزة الاستفهام الداخلة على «لو» الشرطية ورد في قوله تعالى:

أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَۚ
قُلْ أَوَلَوْ كَانُواْ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾
قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًاۖ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ ثُمَّ
إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٤٤﴾

الآيتان: (٤٣ ــ ٤٤) من سورة الزمر

تتضمن هاتان الآيتان الكريمتان أن الله سبحانه وتعالى قد أنكر على المشركين ووبخهم أن يتخذوا أصنامهم آلهة وأن يقولوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله، والله سبحانه وتعالى لم يأذن لهم بهذه الشفاعة، وإذا كان الله سبحانه وتعالى لم يأذن لهم بها فكيف يكونون شفعاء؟! فالشفاعة كلها ملك لله تعالى والله تعالى له ملك السموات والأرض يتصرف فيها وبمن فيها كيف يشاء، ثم إليه يرجع الناس جميعا يوم القيامة ولله الأمر كله يومئذ ولايشفع أحد عنده إلا بأذنه.

وماكان ينبغي لهؤلاء المشركين أن يتخذوا أصنامهم من دون الله شفعاء وهي لا تملك شيئا ولاتحس ولا تعقل، ولكن هؤلاء المشركين قوم لايعقلون.

وقد أفاد هذا الاستفهام : (**أو لو كان آباؤهم لايملكون شيئًا ولا لايعقلون**) أفاد الإنكار (بمعنى لاينبغي) وأفاد التوبيخ والسخرية والتعجب:

فقد أنكر الله سبحانه وتعالى على المشركين أن يتخذوا من أصنامهم التي لا تملك شيئا ولا تعقل، أن يتخذوها من دون الله شفعاء تشفع لهم عند الله تعالى والشفاعة كلها لله تعالى ولايشفع أحد عنده إلا بإذنه، أنكر عليهم ووبخهم على ذلك الاتخاذ الذي يثير التعجب ويبعث على الاستغراب والسخرية.

وموضع الاستفهام ومناطه ومصبه الذي أفاد الإنكار والتوبيخ والتعجب والسخرية هو الفعل المقدر بعد الهمزة مع متعلقه والتقدير: أتتخذونهم شفعاء ولو كانوا لايملكون شيئا ولايعقلون، وقد دل على هذا المحذوف المقدر قوله (**أم اتخذوا من دون الله شفعاء**) المذكور قبل الهمزة.

والواو الواقعة بعد همزة الاستفهام واو الحال وصاحب الحال المفعول به المحذوف مع عامله والتقدير أتتخذونهم شفعاء ولو كانوا لايملكون شيئا ولايعقلون.

و(لو) شرطية غير جازمة وجوابها محذوف دل عليه وأغنى عنه الكلام السابق المتقدم على الهمزة.

الموضع السابع

الموضع السابع لهمزة الاستفهام الداخلة على (لو) الشرطية ورد في قوله تعالى:

وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقۡتَدُونَ ﴿٢٣﴾ ۞ قَٰلَ أَوَلَوۡ جِئۡتُكُم بِأَهۡدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمۡ عَلَيۡهِ ءَابَآءَكُمۡۖ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٢٤﴾ فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ﴿٢٥﴾

الآيات: (٢٣ ــ ٢٥) من سورة الزخرف

تتضمن هذه الآيات الكريمة: لم نرسل يامحمد من قبلك إلى قرية رسولا يدعو أهلها إلى عبادة الله ويحذرهم من عبادة الأصنام ويخوفهم من سخط الله وعقابه إلا قال رؤساؤها المترفون الذين أبطرتهم النعمة وآثروا الشهوات معرضين عما جاءهم به ذلك الرسول: إنا وجدنا آباءنا على ملة وإنا على آثارهم مقتدون، نفعل كالذي يفعلون، ونقول كالذي يقولون، ونعبد ماكانوا يعبدون.

فلم يكن بدعا يامحمد أن يسلك مشركو قومك طريق من قبلهم من أهل الشرك بالله في إجابتهم إياك بما أجابوك به، وفي احتجاجهم بما احتجوا به للإقامة على دينهم الباطل والاستمرار على عبادة الأصنام.

كان كل رسول يقول لأهل القرية التي أرسل إليها بعد أن يجيبوه بأنهم سوف يظلون على دين آبائهم، كان يقول لهم: أتقتدون بآبائكم ولو جئتكم من عند ربكم بدين أهدى إلى طريق الحق وأدل على سبيل الرشاد من دين آبائكم وملتهم.

كان أهل تلك القرى يقولون لأولئك الرسل الذين أرسلوا إليهم:

إنا بما أرسلتم به جاحدون كافرون ولو كان أهدى مما وجدنا عليه آباءنا.

لقد انتقمنا من أولئك الذين كذبوا الرسل من قبلك فلم نبق منهم باقية، انظر كيف كانت عاقبة أولئك المكذبين، ولا تكترث بما يفعل أولئك المشركون، وسوف يرون أي منقلب ينقلبون.

والهمزة في هذا الاستفهام: **(أو لو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم)** داخلة على فعل محذوف مقدر يدل عليه الكلام السابق للهمزة، والتقدير: أتقتدون بآبائكم ولو جئتكم بأهدى مما وجدتموهم عليه.

وهذا الفعل المحذوف المقدر بعد الهمزة مع متعلقه هو مورد الاستفهام ومناطه ومصبه، وهذا الفعل أيضا موضع ماأفاده الاستفهام من معان.

والمعاني التي أفادها هذا الاستفهام: **(أو لوجئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم)** هي التقرير والإنكار والتعجب:

أفاد التقرير بمعنى طلب الاعتراف بما تضمنه السؤال على سبيل الإيجاب أو على سبيل النفي، وقد أجاب المشركون بالإيجاب، أجابوا بأنهم كافرون مكذبون بما أرسل به الرسل، وهذا يعنى بطريق غير مباشر أنهم يقتدون بآبائهم ولو جاءهم الرسول بأهدى مما وجدوا عليه أولئك الآباء.

وأفاد هذا الاستفهام الإنكار بمعنى لاينبغى لهؤلاء المشركين أن يقتدوا بآبائهم اقتداء أعمى يقوم على محض التقليد دون تفكر وتدبر، ولاينبغى لهم أن يعرضوا عما جاءهم به الرسول وليس لهم من ذريعة سوى أن ماجاءهم به المرسلون مخالف لما كان عليه آباؤهم الأولون.

وأفاد هذا الاستفهام التعجب من أن يقتدى هؤلاء المشركون بآبائهم وآباؤهم على باطل وضلال، وأن يكفروا بما جاءهم به الرسول وفيه الخير والهدى والرشاد.

والواو الداخلة على (لو) في هذا الاستفهام : **(أولو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم)** واو الحال، و(لو) شرطية غير جازمة، وجوابها محذوف دل عليه وأغنى عن ذكره الجملة الفعلية المقدرة بعد الهمزة **(أتقتدون بآبائكم)**، وواو الحال ومادخلت عليه في محل نصب على الحال، وصاحب الحال واو الجماعة في (أتقتدون)، والتقدير: أتقتدون بآبائكم ولوجئتكم بأهدى مما وجدتموهم عليه.

٤ ــ همزة الاستفهام الداخلة على (كلما) الشرطيه

أما همزة الاستفهام الداخلة على (كلما) الشرطية فقد وردت في موضعين: الموضع الأول ورد في قوله تعالى:

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ ۖ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾

الآية : (٨٧) من سورة البقرة

تتضمن هذه الآية الكريمة : يابنى إسرائيل قد نزلنا التوارة على موسى رسولا إليكم، وأرسلنا إليكم من بعده الرسل تترى رسولا بعد رسول يسيرون على شريعته ومنهاجه، ويعملون بما كان يعمل، ثم بعثنا إليكم من بعدهم عيسى بن مريم يأمركم بإقامة التوراة والعمل بما جاء فيها، وآتيناه الآيات التي تدل على أنه رسول من عند الله إليكم كإحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص، وأعطيناه الإنجيل ونصرناه بجبريل، فكنتم كلما جاءكم رسول بما لاتهواه أنفسكم استكبرتم عن الإيمان به واتباعه احتقارا له وإعجابا بأنفسكم، ففريقا من هؤلاء الرسل كنتم تكذبون، وفريقا كنتم تقتلون.

وقد أفاد هذا الاستفهام : (**أفكلما جاءكم رسول بما لاتهوى أنفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون**)، أفاد الإنكار (بمعنى لاينبغى) وأفاد التوبيخ والتعجب :

فقد أنكر الله سبحانه وتعالى على بنى إسرائيل ووبخهم على تكبرهم على الرسل واحتقارهم إياهم، وعلى قتل من يستطيعون قتله، وعلى تكذيب من لايستطيعون إلى قتله سبيلا.

ولقد كانت حالهم هذه التي استحقوا التوبيخ عليها والإنكار من الله عزّ وجلّ، كانت مدعاة أيضا إلى التعجب: فقد كانوا معاندين مستكبرين في استقبالهم دعوة الحق والصدق، سفهاء مكذبين سفّاكين للدماء في معاملتهم رسل الله الداعين الى الخير والهدى.

والفاء الواقعة بعد همزة الاستفهام عاطفة، عطفت الجملة التي بعدها على الجملة التي قبلها (**ولقد آتينا موسى الكتاب**)..

و(كلما) أداة شرط لاتجزم، وهي ظرف زمان مبنى على السكون في محل نصب على الظرفية، والعامل فيها جوابها وهو (استكبرتم).

ولايكون كل من جوابها وشرطها إلا فعلا ماضيا.

و(كلما) تفيد التكرار نصا، تكرار الشرط وتكرار الجواب، وملازمة مضمون الجواب لمضمون الشرط، أما استفادة التكرار من إذا وغيرها من أدوات الشرط فمن القرائن الخارجية.

أما مورد الاستفهام ومناطه ومصبه هنا فهو جواب كلما مع متعلقاته، وهذا الجواب هو أيضا موضع ماأفاده هذا الاستفهام من معان.

الموضع الثانى

الموضع الثانى لهمزة الاستفهام الداخلة على (كلما) الشرطية ورد في قوله تعالى:

وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۖ وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٩٩﴾ أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُوا۟ عَهْدًا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُم ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٠﴾ وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾

الآيات: (٩٩ ـ ١٠١) من سورة البقرة

تتضمن هذه الآيات الكريمة: لقد أنزلنا إليك يامحمد هذا القرآن مشتملا على آيات واضحات تبين لعلماء بنى إسرائيل وأحبارهم الجاحدين بنبوتك المكذبين برسالتك، تبين لهم أنك رسول الله حقا وصدقا، ومايجحد بتلك الآيات الدالة على صدق نبوتك وصدق رسالتك إلا الخارجون منهم من دينهم الكافرون بما اشتملت عليه توراتهم.

ومن قبائح يهود بني إسرائيل أنهم كانوا كلما عاهدوا ربهم عهدا نقض فريق منهم ذلك العهد، ولقد كانت تلك المعاهدات التي يعاهدون عليها الله ثم ينقضونها كثيرة جدا، حتى لكأنما أصبح إعطاء العهود ثم نقضها سجية فيهم وخليقة، وماكان أولئك اليهود الذين يعاهدون فينقضون قلة في العدد، بل كان أكثرهم يعاهد فينقض ويكفر بالله ورسوله.

ولما جاء اليهود رسول الله صلى الله عليه وسلم من عند الله بتصديق ما اشتملت عليه التوراة التي معهم من أن محمدا نبّي الله — نبذ علماؤهم الذين أعطاهم الله العلم بالتوراة، نبذوا هذه التوراة ورفضوا العمل بما جاء فيها وهو التصديق بمحمد صلى الله عليه وسلم.

لقد رفض علماء بني إسرائيل الذين يعلمون مافي التوراة من الأمر باتباع محمد صلى الله عليه وسلم وتصديقه، رفضوا التصديق به واتباعه، ورفضوا الوفاء بما عاهدوا الله عليه، كأنهم لايعلمون التوراة ولايعلمون ماجاء فيها، وكأنما التوراة لم تخطر لهم على بال.

وقد أفاد استفهام **(أو كلما عاهدوا عهدا نبذه فريق منهم)** أفاد الإنكار بمعنى لاينبغي، وأفاد التوبيخ:

فقد أنكر الله عزّ وجلّ على اليهود ووبخهم أن ينقض أكثرهم ما عاهدوا الله عليه مرة بعد مرة وكرة بعد أخرى، حتى أصبح نقض العهود خلقا لازما فيهم لايبرح، وسجية أصيلة فيهم لاتنفك.

ومورد الاستفهام ومناطه ومصبه في استفهام (أو كلما) هو جوابها (**نبذه فريق منهم**) وهو موضع الإنكار والتوبيخ.

وقد سبق القول إن (كلما) تفيد التكرار دائما، تكرار الشرط وتكرار الجواب وملازمة مضمون الجواب لمضمون الشرط، وإن شرطها وجوابها لايكونان إلا ماضيين.

والواو الواقعة بعد همزة الاستفهام هنا في **(أو كلما عاهدوا عهدا نبذه فريق منهم)** هذه الواو عاطفة على محذوف مقدر بعد الهمزة عند الزمخشري، وقد قدّره «أكفروا بالآيات البينات وكلما عاهدوا عهدا» أما على رأي سيبويه والجمهور فحروف العطف التي تقع بعد الهمزة إنما تعطف على ماقبل همزة الاستفهام، وهو هنا **(ولقد أنزلنا إليك آيات بينات)** .. الآية

وأما (عهدا) في قوله تعالى **(عاهدوا عهدا)** فمفعول ثان لعاهد، لأن عاهد هنا تضمنت معنى أعطى فتأخذ مفعولين، والمفعول الأول محذوف لدلالة السياق عليه، والتقدير: أو كلما عاهدوا الله عهدا.

٥ ــ همزة الاستفهام الداخلة على (لمّا) الشرطية

أما همزة الاستفهام الداخلة على (لمّا) الشرطية فقد وردت في موضع واحد في قوله تعالى:

﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٦٥﴾

الآية (١٦٥) من سورة آل عمران

تتضمن هذه الآية الكريمة أن المؤمنين في معركة أحد قد أصيبوا بأن قتل المشركون منهم سبعين نفرا، وكان المؤمنون من قبل قد أصابوا من المشركين في معركة بدر ضعفي ماأصابه المشركون منهم، ومع ذلك عظم على المؤمنين ماأصابهم في معركة أحد، فقد هزموا فيها وكثر فيهم القتلى، فأخذوا يعجبون ويقولون: كيف حدث هذا ونحن مسلمون وهم مشركون، وفينا نبيّ الله وعدوّنا أهل كفر وشرك؟!!

فأمر الله جلّ وعلا رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم أن يجيبهم: هذا الذي أصابكم كان من سند أنفسكم، كان بمخالفة أمرى، وبترككم طاعتى، ولم يكن بسبب أحد سواكم، والله سبحانه وتعالى ذو قدرة على أن يفعل بخلقه مايريد، فينصر من يشاء، ويمنع النصر عمن يشاء.

وقد أفاد هذا الاستفهام: **(أولمّا أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا)** أفاد الإنكار والتقريع:

أفاد الإنكار بمعنى ماكان ينبغى لكم أن تقولوا متعجبين: كيف وقعت هذه المصيبة، ومن أين جاءت، وقد كنتم السبب فيها، فقد تركتم موضع الرماة مخالفين أمر الرسول طامعين في الغنائم.

وأفاد تقريعهم على تعجبهم من لحاق الهزيمة بهم وكثرة القتلى منهم، مع أنه لاعجب فيما وقع لهم بعد أن عصوا أمر الرسول صلى الله عليه وسلم وخالفوا عن أمره.

ومورد الاستفهام ومناطه ومصبه في استفهام (أولما) هو جوابها: **(قلتم أنى هذا)** وهو موضع الإنكار والتقريع.

وإعراب هذا الاستفهام : **(أولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا)** : الواو الواقعة بعد همزة الاستفهام عاطفة، عطفت مابعدها على الكلام الواقع قبل الهمزة، وهذا هو رأي سيبويه والجمهور في حروف العطف الواقعة بعد همزة الاستفهام.

وقد ذهب الزمخشري في تفسيره الكشاف إلى أن هذه الواو عطفت مابعدها على قوله تعالى: **(ولقد صدقكم الله وعده)** الآية (١٥٢) من سورة آل عمران، وهذا بعيد جدا لأن بين المعطوف والمعطوف عليه ثلاث عشرة آية. وجوز الزمخشري أيضا أن تكون هذه الواو عاطفة على محذوف مقدر بعد همزة الاستفهام وقد قدّر هذا المحذوف «أفعلتم كذا»، وهو متكلف.

و(لمّا) في هذا الاستفهام أداة شرط لاتجزم مبنية على السكون في محل نصب على الظرفية الزمانية، وهي منصوبة بجوابها (قلتم).. وجملة الشرط (أصابتكم....) في محل جر بإضافة (لمّا) إليها.

و(أنى هذا) : (أنى) اسم استفهام في محل رفع خبر مقدم، و(هذا) في محل رفع مبتدأ مؤخر، وجملة (أنى هذا) في محل نصب مفعول به لقلتم، وجملة (قد أصبتم مثليها) في محل رفع صفة لمصيبة.

والقول بظرفية (لمّا) الشرطية رأي ابن السراج والفارسي وابن جنى وجماعة من النحاة منهم ابن مالك.

وقد ذهب سيبويه إلى أن (لمّا) الشرطية حرف وليست ظرفا، وقد نقل الصبان عن الدماميني بعض الأدلة التي تؤيد مذهب سيبويه (انظر جـ ٤ ص٧ حاشية الصبان على الأشمونى)

و(لما) على كل حال تقتضى جملتين يوجد مضمون ثانيتها حين وجود مضمون أولاهما. وهي مختصة بالدخول على الفعل الماضى.

قارئي الكريم :

أود في ختام هذا البحث أن أضع بين يديك جدولين يوجزان لك ماسبق تفصيله، وأن أرسم أمام عينيك صورة تبصر فيها جماع ماقدمته تفاريق، فالإجمال بعد التفصيل آكد للمعلومات في الذهن، والجمع بعد التفريق أوضح صورة وأحد رؤية، ثم إني لأرجو أن ترى في هذا الإيجاز وهذه الصورة مالم تكن قد رأيته من قبل:

الجدول الأول :

الأفعال الماضية التي دخلت عليها همزة الاستفهام في القرآن الكريم	المعنى البلاغي لهمزة الاستفهام
الفعل الأول : (اتخذ) وقد ورد في ثلاثة مواضع :	
١ ــ **(قل أتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده أم تقولون على الله مالا تعلمون).** الآية (٨٠) من سورة الأعراف وهي مكية.	التقرير (بمعنى طلب الاعتراف) والتوبيخ.
٢ ــ **(قل أفاتخذتم من دونه أولياء لايملكون لأنفسهم نفعا ولاضرا)** الآية (١٦) من سورة الرعد، وهي مدنية	الإنكار (بمعنى لاينبغى) والتوبيخ والتهكم.
٣ ــ **(أتخذناهم سخريا أم زاغت عنهم الأبصار)** الآية (٦٣) من سورة الرعد، والآية مكية.	الإنكار (بمعنى لاينبغى) والتوبيخ، والتحسر
الفعل الثانى : (أمن) وقد ورد في سبعة مواضع :	
١ ــ **(أفأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتا وهم نائمون).**	الإنكار (بمعنى لاينبغى) والتوبيخ والتعجيب والتهديد والوعيد.

٢ ـ (أو أمن أهل القرى أن يأتيهم بأسناضحى وهم يلعبون).	الإنكار (بمعنى لاينبغى) والتوبيخ والتعجيب والتهديد والوعيد
٣ ـ (أفأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون). الآيات : (٩٧، ٩٨، ٩٩) من سورة الأعراف والآيات مكية.	الإنكار (بمعنى لاينبغى) والتوبيخ والتعجيب والتهديد والوعيد.
٤ ـ (أفأمنوا أن تأتيهم غاشية من عذاب الله أو تأتيهم الساعة بغتة وهم لايشعرون) الآية (١٠٧) من سورة يوسف والآية مكية.	الإنكار (بمعنى لاينبغى) والتوبيخ والتعجيب والتهديد والوعيد
٥ ـ (أفأمن الذين مكروا السيئات أن يخسف الله بهم الأرض أو يأتيهم العذاب من حيث لايشعرون) الآية (٤٥) من سورة النحل، والآية مكية.	الإنكار (بمعنى لاينبغى) والتوبيخ والتعجيب والتهديد والوعيد.
٦ ـ (أفأمنتم أن يخسف بكم جانب البر أو يرسل عليكم حاصبا ثم لاتجدوا لكم وكيلا) الآية (٦٨) من سورة الإسراء والآية مكية.	الإنكار (بمعنى لاينبغى) والتوبيخ والتعجيب والتهديد والوعيد.
٧ ـ (أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هى تمور) الآية (١٦) من سورة الملك، والآية مكية.	الإنكار (بمعنى لاينبغى) والتوبيخ والتعجيب والتهديد والوعيد.
الفعل الثالث : (آمن) وقد ورد في ثلاثة مواضع :	
١ ـ (قال فرعون ءآمنتم به قبل أن آذن لكم) الآية (١٢٣) من سورة الأعراف، والآية مكية.	الإنكار (بمعنى لاينبغى) والتوبيخ والتعجيب والتهديد والوعيد.
٢ ـ (قال ءآمنتم به قبل أن آذن لكم) الآية (٧١) من سورة طه، والآية مكية.	الإنكار (بمعنى لاينبغى) والتوبيخ والتهديد والوعيد.
٣ ـ (قال ءآمنتم له قبل أن آذن لكم) الآية (٤٩) من سورة الشعراء، والآية مكية.	الإنكار (بمعنى لاينبغى) والتوبيخ والتهديد والوعيد.

الفعل الرابع : (بشّر)، وقد ورد في موضع واحد :	
١ ـ **(قال أبشرتموني على أن مسّني الكبر)** الآية (٥٤) من سورة الحجر، والآية مكية.	الإنكار (بمعنى لاينبغى) والاستبعاد والتعجب.
الفعل الخامس : (بعث) وقد ورد في موضع واحد :	
١ ـ **(ومامنع الناس أن يؤمنوا إلا أن قالوا أبعث الله بشرا رسولا)** الآية (٩٤) من سورة الإسراء، والآية مكية.	الإنكار (بمعنى لاينبغى) والتعجب.
الفعل السادس : (جاء) وقد ورد في خمسة مواضع :	
١ ـ **(قالوا أجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ماكان يعبد آباؤنا)** الآية (٧٠) من سورة الأعراف، والآية مكية.	الإنكار (بمعنى لاينبغى) والتوبيخ والتعجب.
٢ ـ **(قالوا أجئتنا لتلفتنا عما وجدنا عليه آباءنا وتكون لكما الكبرياء في الأرض).** الآية (٧٨) من سورة يونس، والآية مكية.	الإنكار (بمعنى لاينبغى) والتوبيخ والتعجب.
٣ ـ **(قال أجئتنا لتخرجنا من أرضنا بسحرك ياموسى)** الآية (٥٧) من سورة طه، والآية مكية.	الإنكار (بمعنى لاينبغى) والتوبيخ والتعجب.
٤ ـ **(قالوا أجئتنا بالحق أم أنت من اللاعبين).** الآية (٥٥) من سورة الأنبياء، والآية مكية.	استفهام حقيقى يشوبه التعجب والتردد.
٥ ـ **(قالوا أجئتنا لتأفكنا عما وجدنا عليه آباءنا)** الآية (٢٢) من سورة الأحقاف، والآية مكية.	الإنكار (بمعنى لاينبغى) والتوبيخ والتعجب.

الفعل السابع : (جعل)، وقد ورد في ثلاثة مواضع :	
١ ـ **(أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله)** الآية (١٩) من سورة التوبة، والآية مدنية.	الإنكار (بمعنى لاينبغى) والتوبيخ.
٢ ـ **(أجعل الآلهة إلها واحدا)**. الآية (٥) من سورة ص، والآية مكية.	الإنكار (بمعنى لاينبغى) والتعجب.
٣ ـ **(أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون)**. الآية (٤٥) من سورة الزخرف، والآية مكية.	الإنكار (بمعنى النفي).
الفعل الثامن : (حسب) وقد ورد في ثلاثة مواضع :	
١ ـ **(أفحسب الذين كفروا أن يتخذوا عبادى من دونى أولياء)**. الآية (١٠٢) من سورة الكهف، والآية مكية.	الإنكار (بمعنى لاينبغى) والتوبيخ.
٢ ـ **(أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لاترجعون)**. الآية (١١٥) من سورة المؤمنون، والآية مكية.	الإنكار (بمعنى لاينبغى) والتوبيخ.
٣ ـ **(أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمناوهم لايفتنون)**. الآية (٢) من سورة العنكبوت، والآية مدنية.	الإنكار (بمعنى لاينبغى) والتوبيخ.
الفعل التاسع : (خرق) وقد ورد في موضع واحد :	
١ ـ **(قال أخرقتها لتغرق أهلها)**. الآية (٧١) من سورة الكهف، والآية مكية.	الإنكار (بمعنى لاينبغى) والتعجب.

الفعل العاشر : (أذهب) وقد ورد في موضع واحد :	
١ ـــ **(أأذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا)**. الآية (٢٠) من سورة الأحقاف، والآية مكية.	التقرير (بمعنى الإخبار) والتوبيخ
الفعل الحادي عشر : (رأى) وقد ورد في أربعة وثلاثين موضعا :	
١ ـــ **(قال أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت)** الآية (٦٣) من سورة الكهف، والآية مكية.	التنبيه والتعجب.
٢ ـــ **(أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولدا (٧٧)، أطلع الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهدا) (٧٨)** الآيتان (٧٧ ـــ ٧٨) من سورة مريم، والآيتان مكيتان.	التعجب والتعجيب والتنبيه.
٣ ـــ **(أرأيت من اتخذ إلهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلا)** الآية (٤٣) من سورة الفرقان، والآية مكية.	التعجب والتعجيب والتنبيه.
٤ ـــ **(أفرأيت إن متعناهم سنين (٢٠٥) ثم جاءهم ماكانوا يوعدون (٢٠٦) ماأغنى عنهم ماكانوا يمتعون) (٢٠٧)** الآيات (٢٠٥ ـــ ٢٠٧) من سورة الشعراء، والآيات مكية.	التعجب والتعجيب والتنبيه.
٥ ـــ **(أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله)** الآية (٢٣) من سورة الغاشية، والآية مكية.	التعجب والتعجيب والتنبيه.

٦ ــ (**أفرأيت الذي تولى (٣٣) وأعطى قليلا وأكدى (٣٤) أعنده علم الغيب فهو يرى**) (٣٥) الآيات (٣٣ ــ ٣٥) من سورة النجم، والآيات مكية.	التعجب والتعجيب والتنبيه.
٧، ٨، ٩ ــ (**أرأيت الذي ينهى (٩) عبدا إذا صلى (١٠) أرأيت إن كان على الهدى (١١) أو امر بالتقوى (١٢) أرأيت إن كذّب وتولى (١٣) ألم يعلم بأن الله يرى**) (١٤) الآيات (٩ ــ ١٤) من سورة العلق، والآيات مكية.	التعجب والتعجيب والتنبيه والتهديد والوعيد.
١٠ ــ (**أرأيت الذي يكذب بالدين**). الآية (١) من سورة الماعون، والآية مكية.	التشويق والتعجب والتعجيب والتنبيه
١١ ــ (**قل أرأيتم إن أخذ الله سمعكم وأبصاركم وختم على قلوبكم من إله غير الله يأتيكم به**). الآية (٤٦) من سورة الأنعام، والآية مكية.	التوبيخ والتهديد والتنبيه
١٢ ــ (**قل أرأيتم إن أتاكم عذابه بياتا أو نهارا ماذا يستعجل منه المجرمون**). الآية (٥٠) من سورة يونس، والآية مكية.	التوبيخ والتهديد
١٣ ــ (**قل أرأيتم ماأنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا قل آلله أذن لكم أم على الله تفترون**) الآية (٥٩) من سورة يونس، والآية مكية.	التوبيخ
١٤ ــ (**قال ياقوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربي وآتاني رحمة من عنده فعميت عليكم أنلزمكموها وأنتم لها كارهون**). الآية (٢٨) من سورة هود، والآية مكية.	الإنكار (بمعنى النفي) والتودد والاستدراج

١٥ ــ (قال ياقوم أرأيتم إن كنت على بينةمن ربى وآتانى منه رحمة فمن ينصرنى من الله إن عصيته) الآية (٦٣) من سورة هود، والآية مكية.	التنبيه والتودد والاستدراج
١٦ ــ (قال ياقوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربى ورزقنى منه رزقا حسنا). الآية (٨٨) من سورة هود، والآية مكية.	التنبيه والتودد والاستدراج
١٧ ــ (قال أفرأيتم ماكنتم تعبدون (٧٥) أنتم وآباؤكم الأولون) (٧٦). الآيتان (٧٥ ــ ٧٦) من سورة الشعراء، والآيتان مكيتان.	التنبيه والتودد والاستدراج
١٨ ــ (قل أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل سرمدا إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بضياء) الآية (٧١) من سورة القصص، والآية مكية.	التوبيخ والتنبيه
١٩ ــ (قل أرأيتم إن جعل الله عليكم النهار سرمدا إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه) الآية (٧٢) من سورة القصص، والآية مكية.	التوبيخ والتنبيه
٢٠ ــ (قل أرأيتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله أرونى ماذا خلقوا من الأرض أم لهم شرك في السموات أم آتيناهم كتابا فهم على بينة منه) الآية (٤٠) من سورة فاطر، والآية مكية.	التنبيه والتوبيخ

٢١ ــ (قل أفرأيتم ماتدعون من دون الله إن أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره أو أرادني برحمة هل هن ممسكات رحمته). الآية (٣٨) من سورة الزمر، والآية مكية.	التنبيه والتوبيخ
٢٢ ــ (قل أرأيتم إن كان من عند الله ثم كفرتم به من أضل ممن هو في شقاق بعيد). الآية (٥٢) من سورة فصلت، والآية مكية.	التوبيخ والتنبيه
٢٣ ــ (قل أرأيتم ماتدعون من دون الله أروني ماذا خلقوا من الأرض أم لهم شرك في السموات). الآية (٤) من سورة الأحقاف، والآية مكية.	التوبيخ والتنبيه
٢٤ ــ (قل أرأيتم إن كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بنى إسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم). الآية (١٠) من سورة الأحقاف، والآية مدنية.	التوبيخ والتنبيه
٢٥ ــ (أفرأيتم اللات والعزى (١٩) ومناة الثالثة الأخرى (٢٠) ألكم الذكر وله الأنثى) (٢١). الآيتات (١٩ ــ ٢١) من سورة النجم، والآيات مكية.	الإنكار (بمعنى لاينبغى) والتوبيخ
٢٦ ــ (أفرأيتم ماتمنون (٥٨) أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون) (٥٩). الآيتان (٥٨ ــ ٥٩) من سورة الواقعة، والآيتان مكيتان.	التقرير (بمعنى طلب الاعتراف) والتوبيخ

٢٧ ــ (أفرأيتم ماتحرثون (٦٣) أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون) (٦٤). الآيتان (٦٣ ــ ٦٤) من سورة الواقعة، والآيتان مكيتان.	التقرير (بمعنى طلب الاعتراف) والتوبيخ
٢٨ ــ (أفرأيتم الماء الذي تشربون (٦٨) أأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون) (٦٩). الآيتان (٦٨ ــ ٦٩) من سورة الواقعة، والآيتان مكيتان.	التقرير (بمعنى طلب الاعتراف) والتوبيخ
٢٩ ــ (أفرأيتم النار التي تورون (٧١) أأنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون) (٧٢). الآيتان (٧١ ــ ٧٢) من سورة الواقعة، والآيتان مكيتان.	التقرير (بمعنى طلب الاعتراف) والتوبيخ
٣٠ ــ (قل أرأيتم إن أهلكنى الله ومن معي أو رحمنا فمن يجير الكافرين من عذاب أليم). الآية (٢٨) من سورة الملك، والآية مكية.	التنبيه، والإنكار (بمعنى لاينبغى) والتوبيخ
٣١ ــ (قل أرأيتم إن أصبح ماؤكم غورا فمن يأتيكم بماء معين). الآية (٣٠) من سورة الملك، والآية مكية.	التنبيه والتوبيخ
٣٢ ــ (أرأيتك هذا الذي كرّمت عليّ). الآية (٦٢) من سورة الإسراء والآية مكية.	التعجب والإنكار (بمعنى لاينبغى)
٣٣ ــ (قل أرأيتكم إن أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة أغير الله تدعون). الآية (٤٠) من سورة الأنعام، والآية مكية.	التوبيخ والتنبيه والتعجب

٣٤ ــ (قل أرأيتكم إن أتاكم عذاب الله بغتة أو جهرة هل يهلك إلا القوم الظالمون). الآية (٤٧) من سورة الأنعام، والآية مكية.	التهديد، والتوبيخ، والتنبيه
الفعل الثاني عشر : (رضى) وقد ورد في موضع واحد	
١ ــ (يأأيها الذين آمنوا مالكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم الى الأرض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل). الآية (٣٨) من سورة التوبة، والآية مدنية.	الإنكار (بمعنى لاينبغى) والتوبيخ والتعجب والتعجيب
الفعل الثالث عشر : (أسلم) وقد ورد في موضع واحد:	التقرير (بمعنى طلب الاعتراف) والتحضيض
١ ــ (وقل للذين أوتوا الكتاب والأمين أأسلمتم). الآية (٢٠) من سورة آل عمران، والآية مدنية.	
الفعل الرابع عشر : (أشفق) وقد ورد في موضع واحد:	
١ ــ (أأشفقتم أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات). الآية (١٣) من سورة المجادلة، والآية مدنية.	الإنكار (بمعنى لاينبغى) والعتاب
الفعل الخامس عشر : (شهد) وقد ورد في موضع واحد:	
١ ــ (وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا أشهدوا خلقهم). الآية (١٩) من سورة الزخرف، والآية مكية.	الإنكار (بمعنى النفي) والتوبيخ والسخرية والتعجيب

الفعل السادس عشر : (صدق) وقد ورد في موضع واحد :	الشك والتردد
١ ــ **(قال سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين).** الآية (٢٧) من سورة النمل والآية مكية.	الإنكار (بمعنى النفي) والتوبيخ والتعجيب والسخرية
الفعل السابع عشر : (أصفى) وقد ورد في موضع واحد :	
١ ــ **(أفأصفاكم ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة إناثا).** الآية (٤٠) من سورة الإسراء، والآية مكية.	الإنكار (بمعنى النفي) والتوبيخ والسخرية والتعجيب
الفعل الثامن عشر : (اصطفى) وقد ورد في موضع واحد :	
١ ــ **(أصطفى البنات على البنين).** الآية (١٥٣) من سورة الصافات، والآية مكية.	الإنكار (بمعنى النفي) والتوبيخ والسخرية والتعجيب
الفعل التاسع عشر : (أطلع) وقد ورد في موضع واحد :	
١ ــ **(أطلع الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهدا).** الآية (٧٨) من سورة مريم، والآية مكية.	الإنكار (بمعنى النفي) والتوبيخ
الفعل العشرون : (طال) وقد ورد في موضع واحد :	
١ ــ **(قال ياقوم ألم يعدكم ربكم وعدا حسنا أفطال عليكم العهد أم أردتم أن يحل عليكم غضب من ربكم فأخلفتم موعدى).** الآية (٨٦) من سورة طه، والآية مكية.	الإنكار (بمعنى النفي) والتوبيخ

الفعل الحادى والعشرون : (عجب) وقد ورد في موضعين:	
١ ــ (أوعجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم ولتتقوا ولعلكم ترحمون). الآية (٦٣) من سورة الأعراف، والآية مكية.	الإنكار (بمعنى لاينبغي) والتوبيخ والتعجب
٢ ــ **(أوعجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم)**. الآية (٦٩) من سورة الأعراف، والآية مكية.	الإنكار (بمعنى لاينبغي) والتوبيخ والتعجب
الفعل الثانى والعشرون : (عجز) وقد ورد في موضع واحد:	
١ ــ **(قال ياويلتا أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأوارى سوءة أخى)**. الآية (٣١).من سورة المائدة، والآية مدينة.	الإنكار (بمعنى لاينبغي) والتوبيخ والتعجب والتحسر
الفعل الثالث والعشرون : (عجل) وقد ورد في موضع واحد:	
١ ــ **(قال بئسما خلفتمونى من بعدى أعجلتم أمر ربكم وألقى الألواح وأخذ برأس أخيه يجره إليه)**. الآية (١٥٠) من سورة الأعراف، والآية مكية.	الإنكار (بمعنى لاينبغي) والتوبيخ
الفعل الرابع والعشرون : (عصى)، وقد ورد في موضع واحد:	
١ ــ **(قال ياهارون مامنعك إذ رأيتهم ضلوا (٩٢) ألا تتبعن أفعصيت أمرى) (٩٣)**. الآيتان (٩٢ ــ ٩٣) من سورة طه، والآيتان مكيتان.	الإنكار (بمعنى لاينبغي) والعتاب

الفعل الخامس والعشرون : (عيّ) وقد ورد في موضع واحد:	
١ ــ **(أفعيينا بالخلق الأول بل هم في لبس من خلق جديد).** الآية (١٥) من سورة ق، والآية مكية.	الإنكار (بمعنى النفي) والتوبيخ والسخرية والتعجيب
الفعل السادس والعشرون : (افترى) وقد ورد في موضع واحد:	
١ ــ **(وقال الذين كفروا هل ندلكم على رجل ينبئكم إذا مزقتم كل ممزق إنكم لفى خلق جديد، أفترى على الله كذبا أم به جنة).** الآيتان (٧ ــ ٨) من سورة سبأ، والآيتان مكيتان.	التردد والتشكك (على سبيل السخرية والاستهزاء)
الفعل السابع والعشرون : (قتل) وقد ورد في موضع واحد:	
١ ــ **(فانطلقا حتى إذا لقيا غلاما فقتله قال أقتلت نفسا زكية بغير نفس).** الآية (٧٤) من سورة الكهف، والآية مكية.	الإنكار (بمعنى لاينبغي) والتقبيح والتعجب
الفعل الثامن والعشرون : (أقر)، وقد ورد في موضع واحد:	
١ ــ **(وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمننّ به ولتنصرنّه قال أأقررتم وأخذتم على ذلك إصرى قالوا أقررنا).** الآية (٨١) من سورة آل عمران، والآية مدنية.	التقرير (بمعنى طلب الاعتراف) والتسجيل عليهم والتحذير

الفعل التاسع والعشرون : (استكبر) وقد ورد في موضع واحد :	
١ ــ **(قال يا إبليس مامنعك أن تسجد لما خلقت بيديّ أستكبرت أم كنت من العالين)**. الآية (٧٥) من سورة ص، والآية مكية.	التقرير (بمعنى طلب الاعتراف) والتوبيخ والسخرية
الفعل الثلاثون : (كذّب)، وقد ورد في موضع واحد :	
١ ــ **(ويوم نحشر من كل أمة فوجا ممن يكذب بآياتنا فهم يوزعون (٨٣) حتى إذا جاءوا وقال أكذبتم بآياتى ولم تحيطوا بها علما أمّاذا كنتم تعملون) (٨٤)**. الآيتان (٨٣ ــ ٨٤) من سورة النمل، والآيتان مكيتان.	الإنكار (بمعنى لاينبغي) والتوبيخ والتعجيب
الفعل الحادى والثلاثون : (كفر) وقد ورد في موضعين :	
١ ــ **(قال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سوّاك رجلا)**. الآية (٣٧) من سورة الكهف، والآية مكية.	الإنكار (بمعنى لاينبغي) والتوبيخ والتعجب
٢ ــ **(يوم تبيض وجوه وتسودّ وجوه فأما الذين اسودّت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون)**. الآية (١٠٦) من سورة آل عمران، والآية مدنية.	الإنكار (بمعنى لاينبغي) والتوبيخ والتعجب

الفعل الثاني والثلاثون : (كان) وقد ورد في موضع واحد:	
١ ـ (أكان للناس عجبا أن أوحينا إلى رجل منهم أن أنذر الناس وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم). الآية (٢) من سورة يونس، والآية مكية.	الإنكار (بمعنى لاينبغي) والتوبيخ والتعجيب
الفعل الثالث والثلاثون : (ألقى) وقد ورد في موضع واحد:	
١ ـ (كذّبت ثمود بالنذر(٢٣) فقالوا أبشرا منا واحدا نتبعه إنا إذا لفي ضلال وسعر(٢٤) أألقي الذكر عليه من بيننا بل هو كذاب أشر) (٣٥). الآيات (٢٣ ـ ٢٥) من سورة القمر، والآيات مكية.	الإنكار (بمعنى النفي) والتعجب
الفعل الرابع والثلاثون : (ليس) وقد ورد في ستة عشر موضعا:	
١ ـ (ولو ترى إذ وقفوا على ربهم أليس هذا بالحق قالوا بلى وربنا قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون). الآية (٣٠) من سورة الأنعام، والآية مكية.	التقرير (بمعنى طلب الاعتراف) والتوبيخ والتهكم والإذلال والاحتقار
٢ ـ (وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء منّ الله عليهم من بيننا أليس الله بأعلم بالشاكرين). الآية (٥٣) من سورة الأنعام، والآية مكية.	التقرير (بمعنى الإخبار) والرد على المشركين والتوبيخ

٣ ـ (وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا) الآية (٧٢) من سورة الأعراف، والآية مكية.	التقرير (بمعنى طلب الاعتراف) والإلزام، والتسجيل عليهم
٤ ـ (وجاء قومه يهرعون إليه ومن قبل كانوا يعملون السيئات قال ياقوم هؤلاء بناتى أطهر لكم فاتقوا الله ولاتخزون في ضيفى أليس منكم رجل رشيد). الآية (٧٨) من سورة هود، والآية مكية.	الإنكار (بمعنى لاينبغي) والتوبيخ
٥ ـ (قالوا يالوط إنّا رسل ربك لن يصلوا إليك فأسربأهلك بقطع من الليل ولايلتفت منكم أحد إلا امرأتك إنه مصيبها مآأصابهم إن موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب). الآية (٨١) من سورة هود، والآية مكية.	التقرير (بمعنى الإخبار) والطمأنة
٦ ـ (ومن الناس من يقول آمنا بالله فإذا أوذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله ولئن جاء نصر من ربك ليقولن إنا كنا معكم أو ليس الله بأعلم بما في صدور العالمين). الآية (١٠) من سورة العنكبوت، والآية مدنية.	التقرير (بمعنى الإخبار) والتكذيب
٧ ـ (ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذّب بالحق لما جاءه أليس في جهنم مثوى للكافرين). الآية (٦٨) من سورة العنكبوت، والآية مكية.	التقرير (بمعنى الإخبار) والتهديد والوعيد

٨ ــ (أوليس الذي خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم). الآية (٨١) من سورة يس، والآية مكية.	التقرير (بمعنى الإخبار) والتوبيخ
٩ ــ (فمن أظلم ممن كذب أو كذّب بالصدق إذ جاءه أليس في جهنم مثوى للكافرين). الآية (٣٢) من سورة الزمر، والآية مكية.	التقرير (بمعنى الإخبار) والتهديد والوعيد
١٠ ــ (أليس الله بكاف عبده)، الآية (٣٦) من سورة الزمر، والآية مكية.	التقرير (بمعنى الإخبار) والتوبيخ والتهكم
١١ ــ (أليس الله بعزيز ذى انتقام). الآية (٣٧) من سورة الزمر، والآية مكية.	التقرير (بمعنى الإخبار) والوعيد
١٢ ــ (ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة أليس في جهنم مثوى للمتكبرين). الآية (٦٠) من سورة الزمر، والآية مكية.	التقرير (بمعنى الإخبار) والتهديد والوعيد
١٣ ــ (ونادى فرعون في قومه قال ياقوم أليس لى ملك مصر وهذه الأنهار تجرى من تحتى أفلا تبصرون). الآية (٥١) من سورة الزخرف، والآية مكية.	التقرير (بمعنى الإخبار) والفخر
١٤ ــ (ويوم يعرض الذين كفروا على النار أليس هذا بالحق قالوا بلى وربنا قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون). الآية (٣٤) من سورة الأحقاف، والآية مكية.	التقرير (بمعنى طلب الاعتراف) والتوبيخ والتهكم

١٥ ــ (أيحسب الإنسان أن يترك سدى (٣٦) ألم يك نطفة من مني يمنى (٣٧) ثم كان علقة فخلق فسوّى (٣٨) فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى (٣٩) أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى) (٤٠). الآيات (٣٦ ــ ٤٠) من سورة القيامة، والآيات مكية.	التقرير (بمعنى الإخبار) والتوبيخ
١٦ ــ (والتين والزيتون (١) وطور سينين (٢) وهذا البلد الأمين (٣) لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم (٤) ثم رددناه أسفل سافلين (٥) إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجر غير ممنون (٦) فما يكذبك بعد بالدين (٧) أليس الله بأحكم الحاكمين) (٨). الآيات: (١ ــ ٨) من سورة التين، والآيات مكية.	التقرير (بمعنى الإخبار) والتهديد والوعيد
الفعل الخامس والثلاثون : (أنزل) وقد ورد في موضع واحد:	
١ ــ (وعجبوا أن جاءهم منذر منهم وقال الكافرون هذا ساحر كذاب (٤) أجعل الآلهة إلها واحدا إن هذا لشيء عجاب (٥) وانطلق الملأ منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم إن هذا لشيء يراد (٦) ماسمعنا بهذا في الملة الآخرة إن هذا إلا اختلاق (٧) أأنزل عليه الذكر من بيننا بل هم في شك من ذكرى بل لما يذوقوا عذاب) (٨). الآيات (٤ ــ ٨) من سورة ص، والآيات مكية.	الإنكار (بمعنى النفي) والتعجب

الفعل السادس والثلاثون : (تواصى) وقد ورد في موضع واحد:	
١ ــ **(كذلك ماأتى الذين من قبلهم من رسول إلا قالوا ساحر أو مجنون (٥٢) أتواصوا به بل هم قوم طاغون) (٥٣)**. الآيتان : **(٥٢ ــ ٥٣)** من سورة الذاريات والآيتان مكيتان.	التعجيب، والإنكار (بمعنى النفى) والتوبيخ
الأفعال الماضية التي دخلت عليها همزة الاستفهام الدالة على التسوية في القرآن الكريم.	
الفعل الأول : (أنذر) وقد ورد في موضعين:	
١ ــ **(إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لايؤمنون)**. الآية (٦) من سورة البقرة، والآية مدنية.	التسوية والتقنيط
٢ ــ **(وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لايؤمنون)**. الآية (١٠) من سورة يس، والآية مكية.	التسوية والتقنيط
الفعل الثاني : (دعا)، وقد ورد في موضع واحد:	
١ ــ **(وإن تدعوهم إلى الهدى لايتبعوكم سواء عليهم أدعوتموهم أم أنتم صامتون)**. الآية (١٩٣) من سورة الأعراف، والآية مكية.	التسوية والتقنيط

الفعل الثالث : (جزع) وقد ورد في موضع واحد:	
١ ـ (وبرزوا لله جميعا فقال الضعفاء للذين استكبروا إنّا كنّا لكم تبعا فهل أنتم مغنون عنّا من عذاب الله من شيء قالوا لوهدانا الله لهديناكم سواء علينا أجزعنا أم صبرنا مالنا من محيص). الآية (٢١) من سورة إبراهيم، والآية مكية.	التسوية والتقنيط
الفعل الرابع : (وعظ)، وقد ورد في موضع واحد:	
١ ـ (قالوا سواء علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين). الآية (١٣٦) من سورة الشعراء، والآية مكية.	التسوية والتقنيط
الفعل الخامس : (استغفر) وقد ورد في موضع واحد:	
١ ـ (سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم). الآية (٦) من سورة المنافقين، والآية مدنية.	التسوية والتقنيط

الجدول الثاني **أدوات الشرط التي دخلت عليها همزة الاستفهام في القرآن الكريم** **الأداة الأولى : (إنْ)** وقد دخلت عليها همزة الاستفهام في ثلاثة مواضع :	
١ ــ **(ومامحمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزى الله الشاكرين)**. الآية (١٤٤) من سورة آل عمران، والآية مدنية.	العتب والإنكار (بمعنى لاينبغى)
٢ ــ **(وماجعلنا لبشر من قبلك الخلد أفإن مت فهم الخالدون)**. الآية (٣٤) من سورة الأنبياء، والآية مكية.	الإنكار (بمعنى النفي) والاحتقار
٣ ــ **(واضرب لهم مثلا أصحاب القرية إذ جاءها المرسلون (١٣) إذ أرسلنا إليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث فقالوا إنا إليكم مرسلون (١٤) قالوا ماأنتم إلا بشر مثلنا وماأنزل الرحمن من شيء إن أنتم إلا تكذبون (١٥) قالوا ربنا يعلم إنا إليكم مرسلون (١٦) وماعلينا إلا البلاغ المبين (١٧) قالوا إنا تطيرنا بكم لئن لم تنتهوا لنرجمنكم وليمسنكم منا عذاب أليم (١٨) قالوا طائركم معكم أإن ذكرتم بل أنتم قوم مسرفون) (١٩)**. الآيات : (١٣ ــ ١٩) من سورة يس، والآية مكية.	االإنكار (بمعنى لاينبغى) والتعجب والتوبيخ

الآداة الثانية : (إذا) وقد دخلت عليها همزة الاستفهام في ثلاثة عشر موضعا :	
١ ــ **(قل أرأيتم إن أتاكم عذابه بياتا أو نهارا ماذا يستعجل منه المجرمون (٥٠) أثم إذا ماوقع آمنتم به الآن وقد كنتم به تستعجلون) (٥١).** الآيتان : (٥٠ ــ ٥١) من سورة يونس، والآيتان مكيتان.	الإنكار (بمعنى لاينبغى) والتوبيخ
٢ ــ **(وإن تعجب فعجب قولهم أإذا كنا ترابا أإنا لفى خلق جديد أولئك الذين كفروا بربهم وأولئك الأغلال في أعناقهم وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون).** الآية (٥) من سورة الرعد، والآية مدنية.	الإنكار (بمعنى النفي) والتكذيب والاستبعاد والاستهزاء والتعجب
٣ ــ **(وقالوا أإذا كنا عظاما ورفاتا أإنا لمبعوثون خلقا جديدا).** الآية (٤٩) من سورة الإسراء، والآية مكية.	الإنكار (بمعنى النفي) والتكذيب والاستبعاد والاستهزاء والتعجب
٤ ــ **(ومن يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد لهم أولياء من دونه ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما وصمّا ومأواهم جهنم كلما خبت زدناهم سعيرا (٩٧) ذلك جزاؤهم بأنهم كفروا بآياتنا وقالوا أإذا كنا عظاما ورفاتا أإنا لمبعوثون خلقا جديدا) (٩٨).** الآيتان (٩٧ ــ ٩٨) من سورة الإسراء، والآيتان مكيتان.	الإنكار (بمعنى النفي) والتكذيب والاستبعاد والاستهزاء والتعجب

٥ ــ (ويقول الإنسان أإذا مامت لسوف أخرج حيًا (٦٦) أولا يذكر الإنسان أنّا خلقناه من قبل ولم يك شيئا) (٦٧). الآيتان : (٦٦ ــ ٦٧) من سورة مريم، والآيتان مكيتان.	الإنكار (بمعنى النفي) والتكذيب والاستبعاد والسخرية والتعجب
٦ ــ (بل قالوا مثل ماقال الأولون (٨١) قالوا أإذا متنا وكنا ترابا وعظاما أإنا لمبعوثون (٨٢) لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا من قبل إن هذا إلا أساطير الأولين) (٨٣). الآيات (٨١ ــ ٨٣) من سورة المؤمنون، والآيات مكية.	الإنكار (بمعنى النفي) والتكذيب والاستبعاد والسخرية والتعجب
٧ ــ (وقال الذين كفروا أإذا كنا ترابا وآباؤنا أإنّا لمخرجون (٦٧) لقد وعدنا هذا وآباؤنا من قبل إن هذا إلا أساطير الأولين) (٦٨). الآيتان : (٦٧ ــ ٦٨) من سورة النمل، والآيتان مكيتان.	الإنكار (بمعنى النفي) والتكذيب والاستبعاد والسخرية والتعجب
٨ ــ (وقالوا أإذا ضللنا في الأرض أإنا لفي خلق جديد بل هم بلقاء ربهم كافرون). الآية (١٠) من سورة السجدة، والآية مكية.	الإنكار (بمعنى النفي) والتكذيب والاستبعاد والسخرية والتعجب
٩ ــ (وإذا رأوا آية يستسخرون (١٤) وقالوا إن هذا إلا سحر مبين (١٥) أإذا متنا وكنا ترابا وعظاما أإنا لمبعوثون) (١٦). الآيات : (١٤ ــ ١٦) من سورة الصافات، والآيات مكية.	الإنكار (بمعنى النفي) والتكذيب والاستبعاد والسخرية والتعجب

١٠ ـ (وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون (٥٠) قال قائل منهم إني كان لى قرين (٥١) يقول أإنك لمن المصدقين (٥٢) أإذا متنا وكنا ترابا وعظاما أإنّا لمبعوثون) (٥٣). الآيات : (٥٠ ـ ٥٣) من سورة الصافات، والآيات مكية.	الإنكار (بمعنى النفي) والتكذيب والاستبعاد والسخرية والتعجب
١١ ـ (بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا شيء عجيب (٢) أإذا متنا وكنا ترابا ذلك رجع بعيد) (٣). الآيتان (٢ ـ ٣) من سورة ق، الآيتان مكيتان.	الإنكار (بمعنى النفي) والتكذيب والاستبعاد والسخرية والتعجب
١٢ ـ (وأصحاب الشمال ماأصحاب الشمال (٤١) في سموم وحميم (٤٢) وظل من يحموم (٤٣) لابارد ولاكريم (٤٤) إنهم كانوا قبل ذلك مترفين (٤٥) وكانوا يصرون على الحنث العظيم (٤٦) وكانوا يقولون أإذا متنا وكنا ترابا وعظاما أإنا لمبعثون (٤٧) أو آباؤنا الأولون) (٤٨). الآيات (٤١ ـ ٤٨) من سورة الواقعة، والآيات مكية.	الإنكار (بمعنى النفي) والتكذيب والاستبعاد والسخرية والتعجب
١٣ ـ (والنازعات غرقا (١) والناشطات نشطا (٢) والسابحات سبحا (٣) فالسابقات سبقا (٤) فالمدبرات أمرا (٥) يوم ترجف الراجفة (٦) تتبعها الرادفة (٧) قلوب يومئذ واجفة (٨) أبصارها خاشعة (٩) يقولون أإنا لمردودون في الحافرة (١٠) أإذا كنا عظاما نخره) (١١). الآيات (١ ـ ١١) من سورة النازعات ، والآيات مكية.	الإنكار (بمعنى النفي) والتكذيب والاستبعاد والسخرية والتعجب

الأداة الثالثة : (لو) وقد دخلت عليها همزة الاستفهام في سبعة مواضع :	
١ ـ **(وإذا قيل لهم اتبعوا ماأنزل الله قالوا بل نتبع ماألفينا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لايعقلون شيئا ولايهتدون).** الآية (١٧٠) من سورة البقرة، والآية مكية.	الإنكار (بمعنى لاينبغي) والتوبيخ والتعجيب
٢ ـ **(وإذا قيل لهم تعالوا إلى ماأنزل الله وإلى الرسول قالوا حسبنا ماوجدنا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لايعلمون شيئا ولايهتدون).** الآية (١٠٤) من سورة المائدة، والآية مدنية.	الإنكار (بمعنى لاينبغى) والتوبيخ والتعجيب
٣ ـ **(قال الملأ الذين استكبروا من قومه لنخرجنك ياشعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن في ملتنا قال أو لو كنّا كارهين).** الآية (٨٨) من سورة الأعراف، والآية مكية.	الإنكار (بمعنى النفي) والاستبعاد والتعجب
٤ ـ **(قال لئن اتخذت إلها غيرى لأجعلنك من المسجونين (٢٩) قال أو لو جئتك بشيء مبين (٣٠) قال فائت به إن كنت من الصادقين (٣١) فألقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين (٣٢) ونزع يده فإذا هي بيضاء للناظرين) (٣٣).** الآيات : (٢٩ ـ ٣٣) من سورة الشعراء، والآيات مكية.	حقيقى، واستدراج
٥ ـ **(وإذا قيل لهم اتبعوا ماأنزل الله قالوا بل نتبع ماوجدنا عليه آباءنا أولو كان الشيطان يدعوهم إلى عذاب السعير).** الآية (٢١) من سورة لقمان، والآية مكية.	الإنكار (بمعنى لاينبغى) والتوبيخ والتعجيب

٦ ـ (أم اتخذوا من دون الله شفعاء قل أولو كانوا لايملكون شيئا ولايعقلون). الآية (٤٣) من سورة الزمر، والآية مكية.	الإنكار (بمعنى لاينبغى) والتوبيخ والسخرية والتعجيب
٧ ـ (وكذلك ماأرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون (٢٣) قال أولو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم قالوا إنا بما أرسلتم به كافرون) (٢٤). الآيتان (٢٣ ـ ٢٤) من سورة الزخرف، والآيتان مكيتان.	التقرير (بمعنى طلب الاعتراف) والإنكار (بمعنى لاينبغى) والتعجب
الأداة الرابعة : (كلما) وقد دخلت عليها همزة الاستفهام في موضعين :	
١ ـ (ولقد آتينا موسى الكتاب وقفينا من بعده بالرسل فآتينا عيسى بن مريم البينات وأيدناه بروح القدس أفكلما جاءكم رسول بما لاتهوى أنفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون). الآية (٨٧) من سورة البقرة، والآية مدنية.	الإنكار (بمعنى لاينبغى) والتوبيخ والتعجب
٢ ـ (ولقد أنزلنا إليك آيات بينات وما يكفر بها إلا الفاسقون (٩٩) أوكلما عاهدوا عهدا نبذه فريق منهم بل أكثرهم لايؤمنون (١٠٠) ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لايعلمون) (١٠١). الآيات (٩٩ ـ ١٠١) من سورة البقرة، والآيات مدنية.	الإنكار (بمعنى لاينبغى) والتوبيخ

الأداة الخامسة : (لمّا) وقد دخلت عليها همزة الاستفهام في موضع واحد: ١ ــ (أولمّا أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا قل هو من عند الله إن الله على كل شيء قدير). الآية (١٦٥) من سورة آل عمران، والآية مدنية.	الإنكار (بمعنى لاينبغى) والتوبيخ

قارئي الكريم :

وإذا أنعمت النظر في هذين الجدولين السابقين ترى أن مواضع همزة الاستفهام الداخلة على الفعل الماضي قد بلغت (مائة وعشرة) مواضع، وأن مواضع همزة الاستفهام الداخلة على أدوات الشرط قد بلغت (ستة وعشرين)، وأن معنى التوبيخ فيها قد جاء في (أربعة وسبعين) موضعا وأن الإنكار الذي بمعنى لاينبغي قد جاء في (واحد وخمسين) موضعا، وأما الإنكار الذي بمعنى النفي فقد جاء في (أربعة وعشرين) وأن معنى التعجب قد جاء في (أربعة وأربعين) موضعا، وأن معنى التعجيب (أي حمل المخاطب أو السامع على التعجب) قد جاء في (سبعة وعشرين) وأن معنى التنبيه قد جاء في (أربعة وعشرين) موضعا، وأن معنى التهكم والسخرية قد جاء في (أربعة وعشرين) موضعا، وأن معنى التهديد والوعيد قد جاء في (تسعة عشر) موضعا، وأن التقرير (بمعنى طلب الاعتراف) قد جاء في (ثلاثة عشر) موضعا.

وأن التقرير (بمعنى الإخبار) قد جاء في (اثنى عشر) موضعا.

وأن معنى التودد والاستدراج قد جاء في (أربعة) مواضع.

وأن معنى الشك والتردد قد جاء في (ثلاثة) مواضع.

وأن معنى العتاب واللوم قد جاء في (ثلاثة) مواضع.

وأن معنى التحسر قد جاء في (موضعين).

وأن كلا من التحضيض والفخر والتقبيح والاحتقار والطمأنة قد جاء في (موضع) واحد.

وأن (مائة وثمانية عشر) موضعا من مواضع هذا الاستفهام قد جاءت في آيات مكية.

وأن مواضع هذا الاستفهام في الآيات المدنية كانت قليلة جدا بالنسبة للاستفهامات المكية.

هذا، وقد كانت هذه الكثرة الكاثرة في الاستفهامات المكية البالغة حوالى سبعة أضعاف الاستفهامات المدنية، كانت بسبب أن القرآن الكريم

نزل أول مانزل على الرسول صلى الله عليه وسلم وهو في مكة، وكان المشركون أول من دعاهم إلى الإسلام، دعاهم إلى أن يعبدوا الله وحده لايشركون به شيئا، ودعاهم إلى أن ينبذوا عبادة الأصنام، وقال لهم إن الله تعالى لم يلد ولم يولد ولم يتخذ صاحبة ولا ولدا، وأنه تعالى لم يخلق الجن والإنس عبثا، وإنما خلقهم ليعبدوه، وسوف يبعثهم جميعا ليحاسبهم على أعمالهم في يوم لاريب فيه.

وقال لهم إنني رسول الله حقا وصدقا، وأن هذا القرآن الذي يتلوه عليهم منزل عليه من عند الله.

ودعاهم إلى أن يتفكروا في خلق السموات والأرض وخلق أنفسهم لعلهم يذّكرون.

ودعاهم إلى أن يتخلوا عن تقليد آبائهم تقليدا أعمى، وأن يعتبروا بمصير الأقوام الذين كذبوا الرسل من قبلهم فيما قصّه القرآن الكريم.

ولقد قابل المشركون في مكة هذه الدعوة ومادعتهم إليه، قابلوها بالإعراض والعناد والاستكبار والتكذيب والإصرار على تقليد الآباء والأجداد وعلى عبادة الأصنام، واعتقدوا الملائكة بنات الله، وكذبوا بالبعث وبقدرة الله تعالى على إحياء الموتى ليوم الحساب، وعموا عما في خلق السموات والأرض وخلق أنفسهم من دلالات واضحة على أن الله على كل شيء قدير.

وكذبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم رسولا يوحى إليه، وأنكروا أن يكون الرسول من البشر، ولم يعتبروا بما حلّ بالأقوام الذين سبقوهم جزاء تكذيبهم الرسل وعبادة الأصنام.

ولقد كان أسلوب الاستفهام أنجع الأساليب في حوار المشركين الذين اتبعوا أهواءهم وركبوا رءوسهم وكانوا قوما لايعقلون.

وكانت همزة الاستفهام هي الأداة القادرة على أداء تلك المعانى التي اقتضاها ذلك الحوار وتطلبتها مواقف العناد والاستكبار والتكذيب التي وقفها مشركو مكة ومشركو الأقوام الذين جاءتهم الرسل من قبل، فكان أن كثرت

المعانى البلاغية لهمزة الاستفهام على النحو الذي سبق تسجيله في الجدولين وكان أكثرها التوبيخ والإنكار والتعجب.

هذا، وأما دعوة الإسلام بعد هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المدينة فلم تلاق إعراضا وعنادا واستكبارا وتكذيبا كالذي لاقته في مكة، بل استقبلت استقبالا حسنا، وأخذ الناس يدخلون في دين الله أفواجا، ونزلت الآيات القرآنية على الرسول صلى الله عليه وسلم تشرّع أحكام الصلاة والزكاة والصيام والحج والجهاد والعهود والمواثيق، وكانت مواقف الحوار التي تقتضى أسلوب الاستفهام بالهمزة على نحو ماكان عليه المشركون في مكة، كانت قليلة جدا.

قارئى الكريم :

بهذا ينتهى هذا الكتاب، والله تعالى أسأل أن يعين على الجزء الثاني الخاص بالهمزة الداخلة على الفعل المضارع وعلى متعلقات الفعل والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على الرسول الصادق الأمين، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

المراجع الرئيسية لهذا الكتاب

١ ـــ تفسير جامع البيان عن تأويل آي القرآن لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري.

٢ ـــ تفسير البحر المحيط لأبى عبد الله محمد بن يوسف بن على بن يوسف ابن حيان الأندلسي الشهير بأبي حيان الأندلسي.

٣ ـــ تفسير الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل لجار الله محمود بن عمر الزمخشري.

٤ ـــ تفسير أبى السعود المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم لأبى السعود محمد بن محمد العمادى.

٥ ـــ التفسير الكبير لفخر الدين الرازى أبى عبد الله محمد بن عمر بن حسين القرشي.

٦ ـــ تفسير الجامع لأحكام القرآن لأبى عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي.

٧ ـــ تفسير أنوار التنزيل وأسرار التأويل لناصر الدين أبى الخير عبد الله بن عمر البيضاوى.

٨ ـــ تفسير القرآن العظيم لأبي الفداء اسماعيل بن كثير القرشي.

٩ ـــ تفسير الجلالين : جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى وجلال الدين محمد بن أحمد المحلى.

١٠ ـــ الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية المشهورة بحاشية الجمل على الجلالين، تأليف سليمان بن عمر العجيلى الشهير بالجمل.

١١ ـــ روح المعانى في تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى لأبى الثناء شهاب الدين السيد محمود الألوسى.

١٢ ـــ تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان لنظام الدين الحسن بن محمد

ابن حسين القمى النيسابورى.
١٣ ــ الإنصاف في مسائل الخلاف لأحمد بن المنير وهو حاشية على تفسير الكشاف.
١٤ ــ تفسير التحرير والتنوير للشيخ محمد الطاهر بن عاشور.
١٥ ــ المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم لمحمد فؤاد عبد الباقى.

الفهـــرس

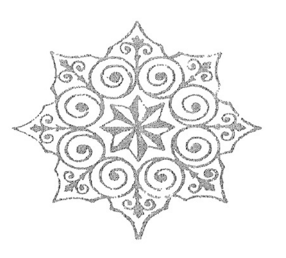
الصفحة

رقم الايداع لدى المكتبة الوطنية
(١٩٩٢/٤/٢١١)

مطابع
وزارة الأوقاف والشؤون والمقدسات الاسلامية
الشيرفة - الوصيفة - ص.ب ٢٥٢٢ تلفون ٨٨٨١٨١ / ٨٨٨١٨٢

تصويب الأخطاء المطبعية

رقم التسلسل	الخطـــأ	الصفحة	السطر	الصـــواب
١	لم يجعل	٢٥	١٤	لم يعجل
٢	أفا	٢٥	١٧	أفاد
٣	حسة	٤٩	١٠	حبسة
٤	ون....س	٤٩	٢٧	ونعاس
٥	الإمانة	٥٨	١	الإماتة
٦	أتخاذهم	١١٦	٤	اتخاذهم
٧	م عولين	١٤٩	٢	مفعولين
٨	فد	١٦٥	٢	وفدا
٩	والمعية	١٦٧	١٤	وألمعية
١٠	وغصب	١٨٧	٦	وغضب
١١	حنئذ	٢٠٤	١٤	حينئذ
١٢	يحفزونهم	٢٠٦	١٨	يحقرونهم
١٣	تقويم	٢١٠	٨	تقوَيم
١٤	وتفّوق	٢٤٢	٨	وتفوّق
١٥	توفت	٢٦١	٢	استوفت
١٦	بتعذيبا	٢٦٥	١٠	بتعذيبنا



مطابع
وزارة الأوقاف والشؤون والمقدسات الإسلامية
المحمدية ـ [illegible] ـ ص ب ١٥١٢ تلفون [illegible]